بسم الله الرحمن الرحيم

كلية الدراسات الفقهية والقانونية

تخصص : أصول الدين

تصور الكون بين التوراة والقرآن والعلم الحديث .

THE PERSPECTIVE OF UNIVERSE BETWEEN THE BIBLE THE HOLY QURAAN AND MODERN SCIENCE .

إعداد الطالبة

عائشة محمود محمد الحمود

بإشراف الدكتور

عامر الحافي

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة آل البيت

كلية الدراسات الفقهية والقانونية

قسم أصول الدين

" رسالة ماجستير "

تصور الكون بين التوراة والقرآن والعلم الحديث

THE PERSPECTIVE OF UNIVERSE BETWEEN THE BIBLE THE HOLY QURAAN AND MODERN SCIENCE .

إعداد الطالبة

عائشة محمود محمد الحمود

الرقم الجامعي : ٤٢٠١٠٥٠٠٤

بإشراف الدكتور

عامر الحافي

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
١ – الدكتور عامر الحافي	(رئيسا مشرفا)	.....
٢ – الأستاذ الدكتور محمد علي الزغول	(عضـــــوا)	.....
٣ – الدكتور أحمد العوايشة	(عضـــــوا)	.....
٤ – محمد عبد الحميد الخطيب	(عضـــــوا)	.....

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص أصول الدين في كلية الدراسات الفقهية والقانونية في جامعة آل البيت . نوقشت وأوصي بإجازتها .

بتاريخ ٢٨ – أيار – ٢٠٠٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى جناب سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم حامل رسالة الإسلام .

إلى والديّ الأعزاء تقديراً وامتناناً .

إلى زوجي الحبيب .

إلى إخواني وأخواتي .

إلى من أسهم في إنجاز هذا العمل الأستاذ عامر الحافي .

إلى أئمة المسلمين وعلمائهم الذين أحيوا القلوب بالعلم والعرفان أهدي هذا العمل سائلا المولى عز وجل أن يجعله في ميزان حسناتهم .

الملخص

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد .....

خلق الله الخلق ، وبعث إليهم الأنبياء ، وأنزل عليهم الكتاب ، فتتابع الأنبياء في موكب مشرق هداة بما حملهم الله تبياناً للحقائق التي حيرت عقول البشرية ، ونوراً هاديا للناظرين في كتاب الله المفتوح من خلال عرض بعض حقائق الكون التي لم تكن غاية في حد ذاتها وإنما وسيلة للتفكر في عظيم خلق الله ، والاستدلال على توحيد العبادة ؛ فجاءت هذه الدراسة لبيان مدى التوافق بين التوراة والقرآن والعلم الحديث ؛ مشتملة على مقدمة وفصلين وخاتمة على النحو الآتي: –

المقدمة : – اشتملت على مشكلة الدراسة وأهدافها وأهميتها ، والمنهج الذي اتبع في الدراسة ، والدراسات السابقة ، وقائمة المصادر والمراجع .

وفي الفصل الأول :حددت الدراسة نشأة الكون حسب تصور التوراة ، وذكر الروايات التوراتية ومقارنتها ، وكيف تأثرت روايات نشأة الكون بثقافات الشعوب الأخرى . ونشأة الكون حسب تصور القرآن وبيان معنى السماء والأرض ، ومدة خلق السماوات والأرض . ونشأة الكون حسب تصور العلم الحديث ، وأهم نظريات نشأة الكون ، والأدلة على صحة النظرية الأكثر شهرة ، ثم بيان الغاية والحكمة من خلق الكون حسب تصور التوراة والقرآن .

أما الفصل الثاني : فقد تناولت الدراسة فيه موضوع نهاية الكون حسب تصور التوراة والقرآن والعلم الحديث ، وأهم الأحداث التي سوف تساهم في نهاية الكون ، وأشهر نظريات نهاية الكون ، وبينت الغاية والحكمة من نهاية الكون في التوراة والقرآن .

أما الخاتمة فقد اشتملت على أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة .

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله . أدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وتركها على المحجة البيضاء .

أما بعد : –

فلقد كشف العلم الحديث كثيراً من الأمور التي تتجاوز حواس الإنسان ومعارفه القديمة ، وكان لهذه الاكتشافات الأثر الكبير في تغيير حياة الإنسان وسلوكه. فجاءت هذه الدراسة من أجل إنهاء الانفصام بين العلوم والدين ، وإعادة التأكيد على الاتصال بينهما ، والعودة إلى التكاملية في اكتساب المعرفة ، من خلال دراسة كتاب الله المنظور والتعرف على ما فيه من الإعجاز؛ لتكون مقدمة لفقه آيات الله في الكتاب المسطور ، من خلال ما قدمه القرآن من الحقائق التي تشكل نقطة البداية للبحث في الكون والطريق التي نشأ بها وما هي نهايته قال تعالى : {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [1] .

والكون : هو الكون المادي أو الفيزيائي المرئي الذي قدر الله لنا أن نراه ونشعر بوجوده ويشمل كل ما يرى بكل وسيلة في الآفاق المحيطة بالأرض والكواكب والشمس والنجوم ويشمل كل الأجرام السماوية . فهو كل جزئيات العالم من سماوات وأرض وما أودع الله في كل منهما على السواء [2] .

ودراسة الكون وما فيه من ظواهر تعمق الشعور بوجود الله وهي من الشواهد الدالة على وجوده تعالى وعلمه وحكمته وأنه لم يخلق هذا الكون عبثا أو لهوا . كما أن دراسة الكون تؤكد وحدانية الله تعالى فلو كان هناك أكثر من إله لما وجد هذا النظام والتناسق في الكون .

---

[1] - سورة غافر : 57 .

[2] - محمد أحمد كعورة ، **نظريات نشأة وطبيعة الكون** ، بدون دار ، السودان ، 1984 ، ص 46 – 47 .

مشكلة الدراسة

أولاً– يثار بين الفترة والأخرى مقالة مفادها :إن القرآن يمكن أن يكون مستوحى من الكتب المقدسة . فالصلة بين القرآن والكتب المقدسة جديرة بالوقوف عندها في أية دراسة عقلانية للكتب المقدسة ، والتعرف على وجه التشابه والاختلاف بينهما .

ثانياً – عرض القرآن والتوراة لمشاهد الكون فهل كان هذا العرض مقصوداً لذاته أم هو وسيلة لغاية أخرى ؟

ثالثاً – ادعاء أعداء الإسلام أن الإسلام فقد مبررات بقائه واستمراره أمام تعاظم النزعة العلمية التجريبية ، وهم بذلك يشككون بعطاء القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفة .

رابعاً – إذا كانت الكتب المقدسة هي كتب هداية ومنهج للحياة فلماذا ذكرت أموراً علمية لم تكن معروفة في زمان نزولها ؟

خامساً – هل تنسجم التصورات الدينية في التوراة والقرآن مع التصورات العلمية الحديثة للكون ؟

سادساً ـ ما هي الحكمة والغاية من خلق الكون بكل ما فيه ؟

أهداف الدراسة

أولاً – الوصول إلى الحقيقة وذلك أن دراسة وجه من وجوه الوحي لدى الأديان لا بد أن ندخل إليه بالمقابلة مع ما يكون للدين الآخر من نظرة في النقطة نفسها ؛ لأن الدراسة الشاملة مع مسألة ما تكون أكثر فائدة من دراسة منفصلة ، ومقابلة بعض الموضوعات المعالجة في الكتب المقدسة مع معطيات العلم فهي تهم الأديان الثلاثة دون استثناء .

ثانياً – توثيق الصلة بين الدين والعلم ، والتأكيد على أنهما توأمان لا عنى لأحدهما عن الآخر.

ثالثاً – بيان علاقة العلم بالقرآن ، وأن العلم سيظل بحاجة إلى الدين مهما قطع وأيقن، لذلك لا يجوز تعليق حقائق القرآن على النظريات العلمية القابلة للتعديل والتغير .

رابعاً – بيان علاقة الإنسان بالكون ، فالإنسان هو محور الخليقة في الأرض فلا بد من بيان العلاقة بين الإنسان والكون، وبيان أن كل شيء في هذا الكون قد جاء مُسخَّراً لصالح الإنسان، وتصحيح الاعتقاد السائد عند البعض أنهم بقدرتهم وبعلمهم فحسب يُسخِّرون مظاهر الكون .

خامساً – بيان أصالة نصوص القرآن الكريم وذلك من خلال موافقة العلم الحديث لما جاء في القرآن الكريم .

سادساً – بيان هيمنة القرآن على التوراة بالاستعانة بما توصل إليه العلم الحديث ، ومقارنة ذلك بنصوص القرآن والتوراة ،وصدق الله القائل : {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } [1]

---

[1] - سورة المائدة : 48

أهمية الدراسة

تظهر أهمية الدراسة في محاولة التوفيق بين كتاب الله المفتوح ، وكتاب الله المنظـــور ؛ لأن مصدرهما واحد ، وأخذ الكل بمنهاج واحد ، فتكون علوم الكون خادمة لعلوم الدين ، وصانعة للإيمان ، كما تكون علوم الدين هادية ومرشدة لعلوم الدنيا ، وضابطة لنشاطاتها على معـــايير الأخلاق والقيم وتحقيق الخير للإنسان بما يكفل له الهدى والرشد . فدراسة كتاب الله المنظور سبيل إلى تعميق الإيمان بالله ، والاستدلال على وجوده وقد أمرنا الله أن ندرسه بتدبر وتمعن للتعرف على الأعجاز والإبداع والقدرة الإلهية التي تتجلى فيه ، والوصول إلى خالقه ؛ لـــذلك جاءت هذه الدراسة للتعرف على تصور الكون في التوراة والقرآن والعلم الحـــديث ، وبيـــان مدى اتفاق كل من التوراة والقرآن والعلم الحديث في نظرتهما إلى كتاب الله المفتـــوح الـــذي باستطاعة أي إنسان رؤيته والتدبر فيه من غير إرسال الرسل .

منهجية الدراسة

سيتم إنجاز هذه الدراسة وفق المنهجية التالية .

أولاً – دراسة التوراة والقرآن دراسة متأنية ، واستخراج النصوص التي تتعلق بخلق الكـــون ونهايته .

ثانياً – محاولة جمع ما يقوله العلم الحديث عن خلق الكون ونهايته .

ثالثاً – بيان ما يوافق العلم الحديث أو يعارضه مما جاء في القرآن والتوراة والعلم الحديث .

رابعاً – تخريج الأحاديث من الكتب الستة فقط ، فإذا لم يوجد الحديث في الكتـــب الـــستة تـــم عزوه إلى مصادره .

الدراسات السابقة

بما أن الأرض التي نعيش عليها هي جزء من هذا الكون الفسيح ، فقد كثرت الدراسات التي تتحدث عن الكون ، إما من الجانب التوراتي ، أو الجانب القرآني ، أو الجانب العلمي ، ولكن لا توجد دراسة جمعت الجانب التوراتي والقرآني والعلمي في آن واحد . توجد رسالة ماجستير بعنوان (الكون الرؤية العلمية في القرآن والأديان الأخرى) في مركز الملك فيصل ، لم أستطع الحصول عليها في الوقت الحاضر ، ولكنها تتحدث عن الكون من ناحية بلاغية . أما رسالتي فهي دراسة عقدية بحتة . وهناك رسالة أخرى بعنوان (اليوم الآخر في اليهودية والنصرانية والإسلام) في جامعة آل البيت . تحدثت عن اليوم الآخر في اليهودية ، وعرض ما يتصل باليوم الآخر كالموت وأشراط الساعة وغيرها . وكذلك بالنسبة للنصرانية والإسلام. ولكن هذه الدراسة لم تذكر ما يقوله العلم الحديث عن نهاية الكون ، وهذا ما سنذكره في الفصل الثاني إن شاء الله .

تحليل المصادر والمراجع .

وفيما يلي تحليلا لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة موضحا مدى الإفادة منها وهي كالتالي : -

أولا – كتب اليهودية : -

- كتاب " حل مشاكل الكتاب المقدس " منسي يوحنا . يعد هذا الكتاب من أهم المصادر اليهودية التي أفدت منها في هذه الدراسة . أهتم الكتاب بحل الكثير من التناقضات المزعومة عندهم فلا يوجد بين الأسفار التوراة تناقض ويقدم تفسيرات لذلك وحل كثيراً من الاضطرابات التي تواجه القارئ للكتاب المقدس .

ر

- كتاب " دلالة الحائرين " لموسى بن ميمون القرطبي الأندلسي . تكمن أهمية هذا الكتاب في حديثة عن عقيدة اليهود . وأن مؤلفه من أكبر علماء اليهود. شرح فيه كثير من الأمور التي تتحدث عن عقيدة اليهود . وكانت الإفادة تتمثل في شرح الإشارات التي تتحدث عن اليوم الآخر عند اليهود حسب وردوها في التوراة وبيان المعنى المقصود بهذه الإشارات حسب فهم اليهود مما ساعد في إغناء هذه الدراسة من هذا الجانب.
- كتاب " قاموس الكتاب المقدس " لنخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين . كان لهذا الكتاب دور بارز في هذه الدراسة في بيان معاني بعض الألفاظ التي جاءت في التوراة مع الاستدلال على مواضع ورودها في الكتاب المقدس .

ثانيا – كتب مقارنة الأديان : –

- كتاب " اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام " لفرج الله عبد الباري أبو عطا الله . من خيرة كتب المقارنة أفادت الدراسة منه في بيان أمور تتعلق باليوم الآخر . وأجرى فيه مقابلة بين اليهودية والإسلام وحدد فيه أوجه الاختلاف والاتفاق وكانت دراسته موضوعية بعيدة عن التعصب أو التحيز لجانب دون الآخر .
- كتاب " التوراة والإنجيل والقران والعلم الحديث " لموريس بوكاي . كتاب يطرح موضوع خَلْق الكون في التوراة والإسلام والعلم الحديث بعيدا عن التعصب لاعتقاد معين مما أعطاني القدرة على إجراء مقابلة

ومقارنة . واعتمد على الحقائق بهدف الوصول إلى الحق ، وطرح الموضوع بدقة وعمق وربط بين التوراة والقرآن والعلم الحديث .

ثالثا – الكتب العلمية : –

- كتاب " الدقائق الثلاث الأخيرة " لبول دافيز . من أهم الكتب العلمية التي تحدثت عن نشأة الكون ومصيره . وهو ذو طابع علمي بحت . استفادت الدراسة منه في تبسيط المصطلحات التي تتعلق بنشأة الكون ومصيره .
- كتاب " الثقوب السوداء " للدكتور ستيفن هوكنج .عرض فيه موجز تاريخي للتطور العلمي في مسألة نشأة الكون . وذكر فيه أشهر النظريات التي تتحدث عن نشأة الكون ، الأمر الذي ساعد على إثراء هذه الرسالة .
- كما أفادت الدراسة أيضا من كتاب " استكشافات ومقدمة في علم الفلك " لتوماس ت آرني ذكر كثيراً من المصطلحات المبسطة التي تتعلق بنشأة الكون .
- وكتاب " خلق الكون بين العلم والإيمان " لمحمد باسل الطائي . ساعد هذا الكتاب على تبسيط الحقائق المتعلقة بالكون سواء أكانت هذه الحقائق قد جاءت في القران أو ما تم التوصل إليه من خلال العلم الحديث وتحدث أيضا عن مصير الكون من خلال الرؤية القرآنية والرؤية العلمية .

رابعا – الكتب الإسلامية : –

- كتب التفسير المشهورة فلا أظن أن باستطاعة أي باحث يبحث في موضوع يتعلق بالقرآن أن يستغني عنها . ساعدت على تفسير الآيات التي تتعلق بموضوع نشأة الكون ومصيره ، وإن كانت في بعض الأحيان تحتوي على تفاسير مخالفة لما توصل إليه العلم الحديث للاقتصار على هذه المعارف فقط في تلك العصور . وأفادت الدراسة من كتاب "التحرير والتنوير " لابن عاشور الذي كثير ما يربط الآيات بالجانب العلمي .
- كتاب " منهج الله في الكون " للداعية محمد متولي الشعراوي . أمتاز بأسلوبه البسيط بعيدا عن التعقيد . وكان له دور بارز في بيان مهمة الإنسان على الأرض من خلال آيات القران الكريم . وتوضيح معنى الأمانة التي كلف بها الإنسان .

قائمة المحتويات

الإهداء ..... ب

الملخص ..... ت

المقدمة ..... ث

مشكلة الدراسة ..... ج

أهداف الدراسة ..... ح

أهمية الدراسة ..... خ

منهجية الدراسة ..... خ

الدراسات السابقة ..... د

تحليل المصادر والمراجع . ..... د – ز

قائمة المحتويات ..... س – ص

الفصل الأول : نشأة الكون حسب تصور التوراة والقرآن والعلم الحديث 1

المبحث الأول : نشأة الكون حسب تصور التوراة 2

المطلب الأول : – روايات نشأة الكون في التوراة . ..... 2 -20

المطلب الثاني : – مقارنة الروايات التوراتية . .....21 - 26

المطلب الثالث : – تأثر روايات نشأة الكون بثقافات الشعوب الأخرى 27-35

المبحث الثاني : نشأة الكون حسب تصور القرآن 36

المطلب الأول : – الآيات القرآنية حول نشأة الكون 37-56

المطلب الثاني : – السماء والأرض في القرآن 57-66

المطلب الثالث : – مدة خلق السماوات والأرض 67-76

المبحث الثالث :نشأة الكون حسب تصور العلم الحديث 77

المطلب الأول : – نشأة الكون في الفكر الإنساني القديم 77-81

المطلب الثاني : – أهم نظريات نشأة الكون 82-98

المطلب الثالث : – الأدلة على صحة نظرية الانفجار ومشاكلها 99-111

المبحث الرابع : – الغاية والحكمة من خلق الكون حسب تصور التوراة والقرآن..112

المطلب الأول : – الغاية والحكمة من خلق الكون حسب تصور التوراة 113-122

المطلب الثاني : – الغاية والحكمة من خلق الكون حسب تصور والقرآن 123-133

الفصل الثاني : نهاية الكون حسب تصور التوراة والقرآن والعلم الحديث ...134

المبحث الأول : نهاية الكون حسب تصور التوراة 135-151

المبحث الثاني : نهاية الكون حسب تصور القرآن 152

المطلب الأول : – أحداث كونية دالة على نهاية السماء 153-157

المطلب الثاني : – أحداث كونية دالة على نهاية الكواكب والنجوم 158-165

المطلب الثالث : – أحداث كونية دالة على نهاية الأرض 166-172

المبحث الثالث : نهاية الكون في ضوء العلم الحديث 173

المطلب الأول : – أحداث تساهم في نهاية الكون 174-179

المطلب الثاني : – أهم نظريات نهاية الكون 180-189

المطلب الثالث : –الكون المفتوح و المغلق 190-194

المبحث الرابع :– الغاية والحكمة من نهاية الكون حسب تصور التوراة والقرآن..195

المطلب الأول : – الغاية والحكمة من نهاية الكون حسب تصور التوراة..196-200

المطلب الثاني : – الغاية والحكمة من نهاية الكون حسب تصور القرآن .201-208

الخاتمة :تحتوي على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث 209-211

قائمة المصادر والمراجع 212-226

الملخص 227

الفصل الأول : -

نشأة الكون حسب تصور التوراة والقرآن والعلم الحديث .

ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : نشأة الكون حسب تصور التوراة .

المبحث الثاني : نشأة الكون حسب تصور القرآن .

المبحث الثالث : نشأة الكون حسب تصور العلم الحديث .

المبحث الأول

نشأة الكون حسب تصور التوراة ، ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول

روايات نشأة الكون في التوراة .

خلق الكون ونظامه من الأمور التي أشكلت على الإنسان منذ أقدم العصور . فرأى البحار تضرب بأمواجها ، والجبال الشاهقة بقممها ، والسماء الصافية ، والشمس تبعث بأشعتها الذهبية ، وفي الليل تضيء النجوم السماء. لقد حاول الإنسان القديم أن يتعرف على هذه الأشياء وكيف نشأت ؟ ويتعرف على زمن البدء ، ويفسر الكون . وكانت نظرته الأولى نظرة بدائية تتفق مع قلة وعدم وجود وسائل للكشف عن الكون . وقد جاء في الكتب المقدسة ما يشير إلى هذه القضية ، فقد ذكرت التوراة رواية الخلق مرتين في موضعين مختلفين ، الموضع الأول جاء في سفر التكوين ما نصه : –

"في البدء خلق الله السماوات و الأرض ، وإذ كانت الأرض مشوشة ومقفرة وتكتنف الظلمة وجه المياه ، و روح الله يرفرف على سطح المياه ، أمر الله : ليكن نور . فصار نور، و رأى الله النور فاستحسنه و فصل بينه وبين الظلام ، وسمى الله النور نهارا ، أما الظلام فسماه ليلا . وهكذا جاء مساء أعقبه صباح ، فكان اليوم الأول . ثم أمر الله : ليكن جلد يحجز بين مياه ومياه . فخلق الله الجلد ، و

فرق بين المياه التي تحملها السحب والمياه التي تغمر الأرض . وهكذا كان . وسمى الله الجلد سماء .ثم جاء مساء أعقبه صباح فكان اليوم الثاني . ثم أمر الله : لتجتمع المياه التي تحت السماء إلى موضع واحد ، ولتظهر اليابسة. وهكذا كان. وسمى الله اليابسة أرضا والمياه المجتمعة بحارا . ورأى الله ذلك فاستحسنه . وأمر الله : لتنبت الأرض عشبا و بقلا مبزرا ، و شجرا مثمرا فيه بزره الذي ينتج ثمرا كجنسه في الأرض . وهكذا كان .فأنبتت الأرض كل أنواع الأعشاب والبقول التي تحمل بزورا من جنسها ، والأشجار التي تحمل أثمارا ذات بذور من جنسها . ورأى الله ذلك فاستحسنه . وجاء مساء أعقبه صباح فكان اليوم الثالث . ثم أمر الله : لتكن أنوار في جلد السماء لتفرق بين النهار و الليل ، فتكون علامات لتحديد أزمنة وأيام وسنين . وتكون أيا أنوارا في جلد السماء لتضيء الأرض . وهكذا كان . وخلق الله نورين عظيمين ، النور الأكبر ليشرق في النهار ، والنور الأصغر ليضيء في الليل ، كما خلق النجوم أيضا . وجعلها الله في جلد السماء لتضيء على الأرض ، لتتحكم بالنهار بالليل و لتفرق بين النور و الظلام . ورأى الله ذلك فاستحسنه .وجاء مساء أعقبه صباح فكان اليوم الرابع . ثم أمر الله : لتزخر المياه بشتى الحيوانات الحية ولتحلق الطيور فوق الأرض عبر فضاء السماء . وهكذا خلق الله الحيوانات المائية

الضخمة ، والكائنات الحية التي اكتظت بها المياه ، كُلاً حسب أجناسها ، وأيضا الطيور وفقا لأنواعها . ورأى الله ذلك فاستحسنه . وباركها الله قائلا : انتجي ، وتكاثري واملأي مياه البحار . ولتتكاثر الطيور فوق الأرض . ثم جاء مساء أعقبه صباح فكان اليوم الخامس . ثم أمر الله : لتخرج الأرض كائنات حية ، كلا حسب جنسها من بهائم وزواحف ووحوش وفقا لأنواعها. وهكذا كان . فخلق الله وحوش الأرض ، والبهائم والزواحف كلا حسب نوعها . ورأى الله ذلك فاستحسنه .ثم قال الله : لنصنع الإنسان على صورتنا ، كمثالنا ، فيتسلط على سمك البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى الأرض ، وعلى كل زاحف يزحف عليها . فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكرا و أنثى خلقهم . وباركهم الله قائلا لهم: "أثمروا وتكاثروا واملأوا الأرض وأخضعوها ، وتسلطوا على سمك البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى كل حيوان يتحرك على الأرض . ثم قال لهم : إني قد أعطيتكم كل أصناف البقول المبزرة المنتشرة على كل سطح الأرض ، و كل شجر مثمر مبزر لتكون لكم طعاما . أما العشب فقد جعلته طعاما لكل من وحوش الأرض وطيور السماء والحيوانات الزاحفة ، ولكل ما فيه نسمة حياة .

وهكذا كان. ورأى الله ما خلقه فاستحسنه جدا . ثم جاء مساء أعقبه صباح فكان اليوم السادس " .[1]

تذكر رواية الخلق الأولى ودون أي غموض تمام الخلق في ستة أيام ، يتبعها يوم الراحة وذلك بالتجانس مع أيام الأسبوع السبعة . وتختلف الآراء بشأن هذه القصة ، فرأي يرى أنها تمثل أقصى ما بلغه الفكر اللاهوتي العبراني من تطور ، حيث يطغى على مفهوم نشأة الكون الطابع اللاهوتي فهو مستمد من مفهوم معين للألوهية أو أُريدَ له أن ينسجم منطقيا مع هذا المفهوم. ويرتكز المفهوم التوراتي على أنّ سبب وجود الكون فردي منفصل ومستقل عنه ، وأنّ هذا السبب وحيد لا يشاركه أحد ويستمر هذا السبب في تسيير العالم بفاعلية عظيمة [2].

بينما يقول رأي آخر : بأنها محرفة ، ومن المحتمل أنها وضعت في شكلها الحالي بعد العودة من السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد [3]. فهي تعكس اهتمام اللاهوتي للعبرانيين بالإصرار على مسؤولية إلههم في عملية الخلق ككل . وأسلوب القصة ترنيمي إلا أنّه يعكس مفهوما مثاليا متساميا للإله . في حين يرى البعض بأن أسلوب القصة مجرد سرد للحقائق بأسلوب مطنب . واستهل مؤلف رواية سفر التكوين بحكم عام يقرر فيه أنّ الرب

---

[1]– سفر التكوين 1 : 1 – 31 .

[2] – انظر : جان بوتيرة ، **ولادة اله التوراة والمؤرخ** ، ترجمة عبد الهادي عباس وجهاد الهوا ش ، ط1، دار الحصاد ، سورية – دمشق ، 1999، ص 173 .

3 – السبي البابلي هو : استيلاء بختنصر البابلي على مملكة يهوذا وسبي اليهود إلى بابل . (انظر : محمد علي آل عمر ، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين ، ط1 ، بلا دار ، 2003) .

المسمى الوهيم خلق السماوات والأرض ، ولم يذكر كيفية الخلق ، ولا المادة التي خلقهما منها ، وكيف كان وضعهما[1].

ويعلق بوكاي على قصة الخلق بقوله : – وتبدأ القصة بذكر مرحلة ما قبل الخليقة حيث كانت الأرض مشوشة ومقفرة ، وعلى وجه الغمر ظلمة . وعناصر المرحلة هي الفراغ والمياه والظلام ، وهي أهم ملامح الحالة الهيولية للكون (المقصود بالهيولية المادة الأولية التي خلق منها الكون) . ويمكن الاعتقاد بأن في المرحلة قبل الخلق كان ما سيصبح كونا مغمورا بالظلمات ، مع وجود الماء[2] . فكثير ما ينتقد وجود الماء في تلك المرحلة ، وأن الخَلق خُلق من الماء ، مع أنه لا يوجد في رواية الخلق أن الله خلق الكون من الماء ، وإنما الذي يذكر أن روح الله كانت ترف على الماء الذي كان موجوداً قبل الخلق ، ولم يخلق منه الخلق .

وتوصف روح الله بشكل مجازي وأنها ترف على المياه مُظهِراً العناية والعطف ، وبهذا تختلف التوراة عن القصص القديمة في بلاد ما بين النهرين والتي تبدأ بالعنف بين الآلهة ، والآلهة المعبودة من دون الله كثيرة ولكن الله هو الإله المعبود بحق . ولكن قوة الله وجبروته لا يحتاجان إلى إثبات فهي واضحة في الكون[3] .

---

[1] – انظر : كارم محمود عزيز ، **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم** ، ط1 ، دار الحصاد ، سورية – دمشق ، 1999 ، ص 79.

[2] – انظر : موريس بوكاي ، **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث** ، ترجمة حسن خالد ، ط3، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1990 ، ص 45 .

[3] – انظر : نخبة من المتخصصين ، **نشأة العالم والبشرية** ، قدم له ونشره الأب يوحنا ثابت ، جامعة الروح القدس ، لبنان ، 1982 ، ص 157 .

وهذه المادة الأولية التي خلق منها الكون ليست أزلية . فسفر التكوين يقول بالخلق من العدم ، فهو يؤكد على أنه بحول الله وإرادته انبثقت المادة إلى الوجود من خلاء كوني تام عند بدء الخليقة . ويؤكد على فكرة الخلق من العدم أن الإصحاح الثاني جاء بتعبير(لأنه استراح فيه من جميع أعمال الخلق) فهذا يدل على الخلق من العدم[1]. وكذلك فإن لفظ "في البدء" هي في الأصل بدون أل التعريف ، وهي تدل على زمن قبل الوقت الذي يشرع الله فيه في إيجاد المواد، وليس هناك ما يدل على وجود شيء من المخلوقات قبل ذلك الوقت المعبر عنه بالبدء ، فكلمة "في البدء" تدل على زمن في الأزل قبل إيجاد شيء من المخلوقات[2] . فقد كان هدف واضع النص تقديم أقوى صيغة يمكن أن تبرز بواسطتها القدرة اللامحدودة التي هي لله طالما يمكن أن نعد الخلق من العدم الدليل الأكثر إقناعا على عظمة هذه القوة المطلقة من القول بمجرد قيامه بتنسيق المادة وتنظيمها ؛ ولذلك لم يستخدم التعبير الذي ربما انطوى على أزلية المادة ،وأن فعل الرب الإله لا يعدو محض تشكيلها على وفق أغراضه الخاصة[3]. لكن هذه الفكرة لا تظهر بوضوح في الإصحاح الأول والثاني ؛ لأن الإصحاح الأول يتكلم عن البدء حين خلق السماوات والأرض ، وليس خلق السماوات والأرض هو البدء ، فالبدء يتمثل في المادة التي خُلقت منها السماوات والأرض . ويُرّدُ على هذا أن الله في البدء خلق المادة الأولى أو عناصر المادة . وقوله مشوشة ومقفرة أي ليس فيها شيء إلا المادة وهي مشوشة لا نظام لها[4].

---

[1] – انظر : ألكسندر هايدل ، **الخليقة البابلية قصة النشوء والتكوين عند قدماء العراقيين وانعكاساتها على العهد القديم** ، ترجمة ثامر مهدي ، ط1، بيت الحكمة ، بغداد – العراق ، 2001، ص 117 .

[2] – الانترنت

[3] – انظر : ألكسندر هايدل ، **الخليقة البابلية قصة النشوء والتكوين عند قدماء العراقيين** ، ص 125 – 126 .

[4] – انظر : منسي يوحنا ، **حل مشاكل الكتاب المقدس** ، مكتبة المحبة ، القاهرة ، بلا سنة ، ص 25 .

وتبدأ مرحلة الخلق في اليوم الأول بخلق النور . ويرى منسي يوحنا أن المقصود من النور المكون في اليوم الأول عبارة عن الحرارة التي أودعها الله للطبيعة لإنتاج النباتات المبدعة في اليوم الثالث قبل وجود الشمس وهو شيء ونور اليوم الرابع شيء آخر مع عدم مراعاة وحدة الاسمية فإنها لا تؤخذ دليل على المسمى ، ويؤيد هذا ما جاء في التوراة في قوله: (في البدء خلق الله السماوات والأرض) و (وسمى الله الجلد سماء) فاختلف المسمى مع وحدة الاسم ، فالسماء في الأولى كناية عن المخلوقات العلوية ، وفي الثانية كناية عن الجلد الفاصل بين مياه ومياه . وكذلك النور في اليوم الأول هو المجرى الكهربائي . أما نور اليوم الرابع فهو النور الشمسي ويخالف الأول في كونه محيزا في الجلد ، أما ذلك فمنتشر ببطن اليابسة والمياه ، وفي كونه حاكما على النهار فقط ، أما ذلك ففي حالة ما يحكم النهار وفي أخرى يحكم الليل ، وفي كونه مخلوقا كأعمال الأيام الستة أما ذلك فمبدع بكلمة كن[1].

علماء اليهود يقولون : إن المقصود بالنور موجات كهرومغناطيسية منتشرة في كل أنحاء العالم فالمقصود بالنور يعود للغيوم السديمية[2] . وهذا خطأ ؛ لأن الغيوم السديمية لم يسبق وجودها الشمس ، وإنما كان تشكلها معاصراً لها في السماء الدخانية . وكذلك النجوم السديمية هذه تختلف عن نجم الشمس ، ولا تسبب اختلاف الليل والنهار ، كما أن تعاقب الليل والنهار على الأرض لم يحدث منذ البدء إلا بسبب الشمس . بينما يدعو الكتاب المقدس أن الله عندما خلق النور الأول فصل بينه وبين الظلام ودعا ذلك النور نهاراً والظلمة ليلاً . فيعتقدون بوجود عصور أنوار كونية قبل خلق الشمس ، ونحن نعلم أن التوراة تفسر الستة أيام التي خلق الله فيها الكون بالأيام المتعارف عليها التي يتتابع فيها الليل والنهار بالمعنى الحرفي

---

[1] – منسي يوحنا ، **حل مشاكل الكتاب المقدس ، ص 25 .**

[2] – . www. Answering- islam . org بقلم منيس عبد النور .

وعقب كل يوم نقرأ "وكان مساء وكان صباح يوما ثانيا – ثالثا ..."[1]. لماذا يخلق الله الشمس في اليوم الرابع لتنير الأرض ، وكان هناك نورا في اليوم الأول من الخلق ؟

ويظهر سؤال هنا كيف فصل الله بين النور والظلمة ؟ وهل معنى ذلك أنهما كانا مختلطين ؟

النور ليس بشيء له وجود إيجابي وإنما يحدث تبعا لسنن كونية معروفة . والظلمة ليست شيئاً مادياً يمكن أن تختلط بالنور ويفصل عنه ، وإنما هو مقدار سلبي يعني احتجاب النور، فقد كانوا يعتقدون أن الظلمة شكل من أشكال المادة[2] .

ويشير النّص إلى أنّ الليل والنهار كان منذ اليوم الأول من الخليقة ، وكذلك الصباح والمساء، وهذا يتناقض مع النص الثاني ، الذي يذكر أن الله خلق الشمس والقمر والنجوم في اليوم الرابع للخلق ، ومن المُسلَّم أن الصباح والمساء يكون نتيجة دوران الأرض حول نفسها، فكيف يكون الصباح والمساء في اليوم الأول ومصدرهما ما زال في العدم[3]؟ ومن المعلوم أنه لا نهار بلا شمس ؛ لأنّ النهار هو الوقت بين طلوع الشمس وغروبها ، إن النهار هنا ليس الوقت بين طلوع الشمس وغروبها بدليل قوله في الإصحاح: (وسمى الله النور نهاراً أما الظلام فسماه ليلاً) فخلق الله الأيام في المدة الأولى فكان اليوم حينئذ من مقابلة جزء من الأرض لكتلة منيرة غير منتظمة وتحركها على محورها إلى رجوعها إلى تلك المقابلة . [4] أما في اليوم الثاني فيقول (ليكن جلد في وسط المياه وليكن فاصلاً بين مياه ومياه وفصل بين المياه

---

[1] – www.imanway1.com بقلم أمير عبد الله .

[2] – انظر: عصام الدين حنفي ، **اليهودية بين الأسطورة والحقيقة**، دار المروج ، بيروت ، 1985، ص91.

[3] – انظر: محمد علي الخولي، **التحريف في التوراة**، دار الفلاح، الرياض– السعودية ، 1990، ط1، ص8.
موريس بوكاي ، **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث** ،ص 45 .

[4] – انظر : منسي يوحنا ، **حل مشاكل الكتاب المقدس** ، ص25 – 26 .

التي تحت الجلد ، والمياه التي فوق الجلد فكان كذلك ، ودعا الله الجلد سماء وكان مساء وكان صباح يوم ثانيا) يخلق الرب جلد في وسط المياه ، ويطلق عليه اسم سماء . يقول موريس في كتابه: "إن انشطار المياه إلى كتلتين غير مقبول من الناحية العلمية"[1] . ولكن ما السبب في أنه لم يقل في اليوم الثاني أنه حسن على غرار ما قاله في الأيام الأخرى ؟ قيل لأن عمل الماء لم ينته ، وقد يكون أنه كلما ذكر أمراً من أمور الوجود الحادثة الموجودة على الاستمرار الدائمة المستقرة قال في ذلك أنه حسن وهذا الجلد والشيء الذي عليه الذي سمي ماء الأمر فيه من الخفاء ، وذلك أنه إذا أخذ على ظاهره بجليل النظر كان أمراً غير موجود أصلاً ؛ لأنه ليس ثم جسم آخر غير الإسقاطات بيننا وبين السماء الدنيا ، ولا ثم ماء فوق الهواء ، وإذ كان الجلد فوق السماء يكون أشد امتناعا وأبعد عن أن يدرك وإن أخذ على باطنه ، وما أريد به كان أشد خفاء؛ لأنه وجب أن يكون من الأسرار المكتومة ، فكيف يسوغ في أمر كهذا أن يقال فيه أنه حسن والحسن هو الذي تظهر منفعته[2] ؟

(ثم أمر الله لتتجمع المياه التي تحت السماء إلى موضع واحد ولتظهر اليابسة ، وهكذا كان وسمى الله اليابسة أرضا والمياه المجتمعة بحارا ، ورأى الله ذلك فاستحسنه ، وأمر الله لتنبت الأرض عشباً وبقلاً مبرزاً وشجراً مثمراً فيه بزره الذي ينتج ثمراً كجنسه في الأرض، وهكذا كان فأنبتت الأرض كل أنواع الأعشاب والبقول التي تحمل بزورا من جنسها ، والأشجار التي تحمل أثمار ذات بذور من جنسها والأشجار التي تحمل أثمارا ذات بذور من جنسها ورأى الله ذلك فاستحسنه وجاء مساء أعقبه صباح فكان اليوم الثالث) . نلاحظ أن قصة المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوقه تعكس اعتقادات الشعوب البدائية ، إذ كانوا

---

[1] – انظر: موريس بوكاي ، **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث**، ص 46 .

[2] – انظر: موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي ، **دلالة الحائرين**، ترجمة حسين اتاي ، مكتبة الثقافة الدينية، ميدان العتبة ، 1988 ، ج1 ، ص 80 .

يعتقدون أن السماء عبارة عن جسم كثيف صلب ، ومنها جاءت تسميتها بالجلد أي القساوة اليابسة ، وكانوا يعتقدون أن تجمعاً مائياً يقوم خلف ذلك الجلد الذي تشكل السماء قاعه ، وكانوا يعتقدون أن المطر ينساب من التجمع المائي العلوي عبر فتحات صممت لهذا الغرض[1]. كون الأرض في عصر ما من تاريخها مغمورة بالماء ثم ظهور اليبس منها مقبول علمياً ؛ إلا أن وجود نبات شديد التنظيم مع الحب قبل وجود الشمس غير مقبول علمياً[2]. ومن المعروف علميا أن ضوء الشمس شيء ضروري لنمو النباتات وإتمام عملية البناء الضوئي ، لكن خلق النبات قبل الشمس أمر غير ممكن علميا ، فكيف تعيش النباتات دون الشمس ؟ فالعلم يقول : إنه لا حياة للنباتات دون الشمس وفي هذا تناقض مع العلم الحديث[3].

يرى موسى بن ميمون[4] أن المقصود بالفصل في الموضعين أن هذا صار فوق وذاك أسفل وطبيعتهما واحدة ، وإنما فصل بينهما بالفصل الطبيعي ؛ أي بالصورة ، وجعل بعض ذلك الذي سماه ماءً أولاً شيئا أخر بصورة طبيعية إليه ، وجعل بعضه بصورة أخرى ؛ وهذا هو الماء لذلك قال ومجتمع المياه سماه بحاراً ، فقد صرح أن الماء الأول المقول عنه على وجه المياه ما هو هذا الذي في البحار بل بعضه فصل بصورة ما فوق الهواء ، وبعضه هو هذا الماء ويكون قوله وفصل بين المياه التي تحت الجلد مثل قوله وفصل بين النور والظلام الذي هو كالفصل في صورة ما ، والجلد نفسه من الماء تكون . وقوله وسمى الله الجلد سماء

---

[1] – انظر : سلامه غنمي ، **التوراة والأناجيل بين التناقض والأساطير** ، ط1، دار الأحمدي للنشر ، القاهرة ، 2000، ص 73 .

[2] – انظر : موريس بوكاي ، **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث** ، ص 46 .

[3] – انظر : محمد علي الخولي ، **التحريف في التوراة** ، ص 8 .

4 – هو أبو عمران اليهودي القرطبي . رئيس اليهود وعالمهم وحبرهم بالديار المصرية . أعلم أهل زمانه بالطب ، ومتفنن في العلوم ، وله معرفة جيدة بالفلسفة . كان طبيب السلطان صلاح الدين . حفظ القرآن، ولما قدم مصر ارتد . له تصانيف بالطب ، وكتاب كبير في اليهودية . (انظر : عبد المنعم الحفني ، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ، مكتبة مدبولي ، بلا دار ، 1994 ، ص 40 .

على ما بينت لك ليبن اشتراك الاسم وأن ليس السماء المقول أولا هي هذه التي سميت سماء ، وأكد هذا المعنى بقوله على وجه الجلد السماء ليبين أن الجلد غير السماء ، ومن أجل الاشتراك في الاسمية يسمى أيضا السماء الحقيقية جلداً كما أسمى الجلد الحقيقي سماء ، وهو قوله وجعلها الله في جلد السماء[1] .

في اليوم الرابع أمر الله : (لتكن أنوار في جلد السماء ؛ لتفرق بين النهار والليل ، فتكون علامات لتحديد أزمنة وأيام وسنين وتكون أيضا أنوار في جلد السماء ؛ لتضيء الأرض وهكذا كان . وخلق الله نورين عظيمين : النور الأكبر ليشرق في النهار ، والنور الأصغر ليضيء في الليل ، كما خلق النجوم أيضا ، وجعلها الله في جلد السماء ؛ لتضيء الأرض لتتحكم بالنهار وبالليل ، ولتفرق بين النور والظلام ، ورأى الله ذلك فاستحسنه ، وجاء مساء أعقبه صباح فكان اليوم الرابع) . معنى هذا أن الشمس هي النور الأكبر لحكم النهار ، والقمر هو النور الأصغر لحكم الليل . والحكمة من خلق الشمس والقمر هو للفصل بين الليل والنهار ، وتكون آيات وأوقات وأيام وسنين ، وبذلك يكون قد تحدد طول اليوم الواحد وطول السنة وهو طول سنتنا وأيام الفصول ، هذا ما دام النوران العظيمان هما نفسهما اللذان خلقهما في اليوم الرابع .لكن أين ذهب النور الذي خلقه الله في اليوم الأول ؟[2].

لكن لماذا خلق الشمس والقمر بعد خلق النور ؟ لقد كان الاعتقاد السائد في ذلك العصر أن الشمس ليست مصدر الضوء بل هي تمرره عبرها وحسب ، وأما الضوء فهو موجود بذاته، واستمر الأمر كذلك حتى جاء العالم (اولاف ريمر) واكتشف أن الضوء الساقط

---

[1] – انظر: موسى بن ميمون ، **دلالة الحائرين** ، ص 378 – 379 .

[2] – انظر: إبراهيم ناصر ، **التوراة بين الحقيقة والأسطورة والخيال** ، ط1 ، دار الحوار ، سورية ، 2005 ، ص 16 – 17 .

فوق عالمنا مصدره الشمس وهو لا ينتشر دفعة واحدة .[1]ولكن وجود الشمس والقمر بعد خلق الأرض هو في غاية المناقضة لأوثق المفاهيم المعتمدة في تكوين عناصر المجموعة الشمسية[2].

وعاد أمر الخلق إلى الأرض مرة أخرى (ثم أمر الله لتزخر المياه بشتى الحيوانات الحية ، ولتحلق الطيور فوق الأرض عبر فضاء السماء ، وهكذا خلق الله الحيوانات المائية الضخمة والكائنات الحية التي اكتظت بها المياه كُلاً حسب أجناسها ، وأيضا الطيور وفقاً لأنواعها. ورأى الله ذلك فاستحسنه ، و باركها الله قائلا : انتجي وتكاثري واملأي مياه البحار ولتتكاثر الطيور فوق الأرض ، ثم جاء مساء أعقبه صباح فكان اليوم الخامس). لكنه جعل الحيوانات تخلق بترتيب يباين رتبها وفصائلها ، فقد خلق الحيتان قبل الثدييات وما الحيتان إلا طور متأخر منها[3]. ويبين سفر التكوين أن ظهور النوع الحيواني بدأ من الحيوانات البحرية والطيور . لكن رواية التوراة تفيدنا بأن الأرض ستكون في اليوم التالي مقر الحيوانات ، ولا شك أن أصل الحيوانات بحري، ومن هنا أصبحت الأرض مستعمرة إذا جاز التعبير للحيوان ، والحيوانات الأرضية لم تذكر في سفر التكوين إلا في اليوم السادس بعد ظهور الطيور ، مع أن وجود الطيور تالٍ لوجود عالم الحيوان[4]. ونلاحظ أن بعد خلق الوحوش نظر الله إلى ما خلق فرأى أنه حَسُنَ (ورأى الله ذلك فاستحسنه) تدل العبارة على أنه سبحانه قد فوجيْ بحسن صنعته . تعالى عما يقولون كيف يفاجأ الخالق بحسن صنعته وكأنه لا يعلم مسبقا هيئة ما سيخلق إلا بعد أن يخلق، وهذا يتناقض مع كمال الله وكمال علمه فهو كلام مناف

---

[1] – انظر: سلامة غنمي ، **التوراة والأناجيل بين التناقض والأساطير** ، ص74 – 75 .

[2] – انظر : موريس بوكاي ، **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث** ، ص 47 .

[3] – انظر : عصام الدين حفني ، **اليهودية بين الأسطورة والحقيقة** ، ص 91 .

[4] – انظر : موريس بوكاي ، التوراة والإنجيل والقران والعلم الحديث ، ص 47 .

لصفات الله[1]. فعَمَلُ الله ليس عن طريق الصدفة البحتة ، وتجربة نجحت فأتت بشيء حسن ، بل فعله عن حكمة وعلم بهيئة ما سيخلق قبل أن يخلق هذا ما يعتقد بمن هو إله .

ثم قال ألوهيم: " لنصنع الإنسان على صورتنا ، كمثالنا ، فيتسلط على سمك البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى الأرض ، وعلى كل زاحف يزحف عليها . فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكرا و أنثى خلقهم . وباركهم الله قائلا لهم: "أثمروا وتكاثروا واملأوا الأرض وأخضعوها ، وتسلطوا على سمك البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى كل حيوان يتحرك على الأرض . ثم قال لهم : إني قد أعطيتكم كل أصناف البقول المبزرة المنتشرة على كل سطح الأرض ، و كل شجر مثمر مبزر لتكون لكم طعاما. أما العشب فقد جعلته طعاما لكل من وحوش الأرض وطيور السماء والحيوانات الزاحفة ، ولكل ما فيه نسمة حياة . وهكذا كان. ورأى الله ما خلقه فاستحسنه جدا. ثم جاء مساء أعقبه صباح فكان اليوم السادس" [2]استخدم هنا صيغة الجمع للحديث عن المفرد للتعظيم ؛ وهذا حال اللغة العبرية وشهد العهد القديم نفسه بنماذج كثيرة[3].

الإنسان يشبه الله في صورته ، فكيف يكون ذلك وما الفرق بينهما ؟ هذا يفسر ظهور الله بصورة إنسان في أماكن متعددة من الكتاب المقدس[4].

الصورة تعني الشكل والمظهر . أما الشبه فيشمل بالإضافة إلى الشكل أموراً أخرى كثيرة الشبه في الأخلاق والمشارب والسلوك والتفكير والفعل ورد الفعل ، والصورة العامة

---

[1] – انظر : محمد علي الخولي ، **التحريف في التوراة** ، ص 8 – 9 .

2 – سفر التكوين : 1 : 26 – 31 .

[3]– www.imanway1.com. أمير عبد الله

[4] – انظر: موفق محادين ، **دورة الدين اليهودي** ، ط1، دار الكنوز الأدبية ، بيروت– لبنان ، 1997، ص9.

للإنسان شكله وتركيبه وبدنه فهل معنى هذا أنّ الله جسماً وأنّ مكونات هذا الجسم هي نفس مكونات جسم الإنسان ؟[1] .

يظن أن الصورة في اللسان العبراني تدل على الشكل وتخطيطه فأدى ذلك إلى التجسيم لقوله: (لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا) وظنوا أن الله على شكل الإنسان وتخطيطه . والصورة المشهورة عند الجمهور والتي هي شكل الشيء وتخطيطه اسمها الخصيص لها في اللسان العبراني صنعة ، أما الصورة فيقع على الصورة الطبيعية التي بها تجوهر الشيء وصار ما هو حقيقة من حيث هو ذلك الموجود الذي ذلك المعنى في الإنسان هو الذي عنه إدراك الإنسان ومن أجل الإدراك العقلي قيل فيه على صورة الله خلقه[2] . وقيل على صورة الله تشير إلى حكم البشر للأرض ومن عليها كما أنّ الله حاكم على البشر وغيرهم وهذا ما يدل عليه مصطلح أخضعوها على حكم البشر للأرض[3] . والمثال اسم من مثل وهو شبه في المعنى فلما خص الإنسان بمعنى فيه غريب جداً ليس في شيء من الموجودات هو الإدراك العقلي الذي لا يتصرف فيه حاسة ولا جارحة شبه بإدراك الإله الذي ليس هو بإله وإنْ كان لا شبه في الحقيقة لكن على بادي الرأي لا أن الله جسم فيكون ذا شكل[4].

ويبين موريس " أن ظهور الإنسان على الأرض بعد ظهور أصناف أخرى من الكائنات الحية كان في موضعه الصحيح "[5] .

---

[1] – انظر : إبراهيم ناصر ، **التوراة بين الحقيقة والأسطورة والخيال** ، ص 17 .

[2] – انظر : موسى بن ميمون ، **دلالة الحائرين** ، ص 23 .

[3] – انظر : نخبة من المتخصصين ، **نشأة العالم والبشرية** ، ص 158 .

[4] – انظر : موسى بن ميمون ، **دلالة الحائرين** ، 24 .

[5] – موريس بوكاي ، **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث** ، ص 48 .

أما أمر الإنسان بأنْ يتسلط على الحيوانات فقد حصل الضد من إرادة يهوه فقد كان الإنسان أضعف من أن يتسلط على البهائم وكل الدبابات التي تدب على وجه الأرض . أما أمره بأنْ يكون نباتيا فقد كان غذاء الإنسان الأول على اللحوم وما يصطاد[1]. وحدد طعام الحيوانات الأخرى بأنها تأكل العشب الأخضر ولم يحدد طعام الحيوانات المائية كما أن الحيوانات الكواسر والطيور الجارحة تعيش على أكل اللحوم[2].

بعد إتمام عملية الخلق في ستة أيام يتبعها يوم السبت . يزعم اليهود أنه في هذا اليوم لم يخلق الرب أي شيء وإنما استراح فيه من عمل الخليقة . وقد تبين أن مفهوم الراحة قد أُدخل إلى الفكر اليهودي من قبل كهنة القرن السادس قبل الميلاد للحث على ممارسة سبت الراحة وذلك اقتداء بعمل الرب بعد أن عمل طيلة الأسبوع . وكلمة يوم تعنى : المسافة الزمنية بين اشراقين متواليين للشمس أو غروبين وذلك بالنسبة لسكان الأرض . وهذه الراحة: هي أسطورة لها تعليل عندهم وهي أن رواية الخلق تأتي من النص الكهنوتي الذي كتبه الكهنة وهم الورثيون الروحيون لحزقيل نبي النفي ببابل في القرن السادس قبل الميلاد . وهؤلاء قد أعادوا روايتي الخلق اليهوية والكهنوتية على مشيئتهم وحسب اهتماماتهم الخاصة ، فقد كان هدف الكاتب الكهنوتي من إدراج مراحل الخلق في إطار الأسبوع هو الحث على الطاعة الدينية . وهكذا تبدو رواية الخلق التوراتية كبناء خيالي مبتكر يهدف إلى شيء آخر غير التعريف بالحقيقة[3].

---

[1] – انظر: سلامة غنمي ، **التوراة والأناجيل بين التناقض والأساطير** ، ص78 .

[2] – انظر: إبراهيم ناصر ، **التوراة بين الحقيقة والأسطورة والخيال** ، ص 18 .

[3] – انظر: علاء الدين المدرس، **الظاهرة القرآنية والعقل**، ط1، دار العاني، بغداد، 1986، ص101– 102.
.

ويذكر علماء الأديان أن اتخاذ يوم من أيام الأسبوع للراحة كان معروفاً عند البابليين ، وكانوا يقدسون هذا اليوم ، ففي يوم الراحة كان محظوراً على الناس أن يغيروا ملابسهم أو يطبخوا أو يقدموا الضحايا ، ومحظوراً على الملك أن يكلم الشعب ، أو يركب مركبه ، أو يقوم بأي واجب مدني. فالتوراة كتبت في أرض بابل والتشابه واضح بالإضافة إلى تطابق الغرض فاليوم مقدس عند الطرفين[1].

يبين عماد حنا أن كلمة "استراح " إنّه أكمل عمل الخلق وانتهى منه لكن الله لم يتوقف عن العناية بخليقته فهو ضابط الكل ، والأدلة على ذلك عدم ذكره أنه رجع إلى العمل مرة أخرى ، كما إنه استخدم أفعال كلها بشرية ، واستخدم أيضا زمن بشري وهو اليوم فالتعابير كلها بشرية ، فالكاتب أعطى صفات بشرية لله حتى يصل المفهوم إلى المستمع ، فقد وضعت لتوصيل فكرة الخلق ، والانتهاء من الخلق ، والتوقف عن الخلق بعد الانتهاء لتقريب الفكرة للمستمع[2].

تبين نصوص التوراة أن خلق السماوات والأرض استمر ستة أيام ، فالتوراة تحصر مراحل الخلق في ستة أيام بشرية تبدأ بالأحد وتنتهي بالجمعة ، ويعقبها يوم السبت المقدس يوم الراحة الذي استراح الله من عملية الخلق ، وباركه وقدّسه . فنصوص التوراة تحدد مفهوم اليوم الطبيعي بقوله " وهكذا جاء مساء أعقبه صباح فكان اليوم الأول " . يقدر علماء الفيزياء الكونية أن انفصال الأرض عن الشمس كان منذ خمسة آلاف مليون سنة تقريبا وأن الأرض ظلت مئات الألوف من السنين كي يبرد سطحها[3].

---

[1] – انظر : إبراهيم ناصر ، **التوراة بين الحقيقة والأسطورة والخيال** ، ص 19 .

[2] – www.answering -islam.org. بقلم عماد حنا .

[3] – www.55a.net.

علماء اليهود يقولون : إنه ليس في سفر التكوين ما يتضاد مع علوم الطبيعة في شأن مدة الخلق؛ لأن كلمة يوم تحتمل أربعة معان :

*أولا – **اليوم الطبيعي المعلوم لدى الناس.***

*ثانيا – **توالي النور والظلمة .***

*ثالثا – **عدد معلوم من الأيام ومن ذلك الكناية عن أيام الخليقة الستة بيوم واحد .***

*رابعا – **حقب طويلة غير محدودة مثل يوم الرب .***

وليس في عبارة التكوين (في البدء خلق الله السماوات والأرض) ما يحدد مدة الخلق مطلقا[1].

وهكذا تنتهي قصة التوراة الأولى والتي تتحدث عن كيفية نشأة الكون .

أما الرواية الثانية للخلق ، وقد وردت أيضا في سفر التكوين ، وفيها :

"وهكذا اكتملت السماوات والأرض بكل ما فيها . وفي اليوم السابع أتم الله عمله الذي قام به ، فاستراح فيه من جميع ما عمله . وبارك الله اليوم السابع و قدّسه ؛ لأنه استراح فيه من جميع أعمال الخلق ، هذا وصف مبدئي للسماوات و الأرض يوم خلقها الرب الإله . ولم يكن قد نبت بعد في الأرض شجر بري ؛ لأن الرب الإله لم يكن قد أرسل مطرا على الأرض ، ولم يكن هناك إنسان ليفلحها ، إلا أنّ ضبابا كان يتصاعد من الأرض فيسقي سطحها كله .

---

[1] – انظر : نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ، **قاموس الكتاب المقدس** ، ط11 ، دار الثقافة ، القاهرة ، 1997 ، ص 1121 – 1122 .

ثم جبل الرب الإله آدم من تراب الأرض و نفخ في أنفه نسمة حياة ، فصار آدم نفسا حية . وأقام الرب الإله جنة في شرقي عدن ووضع فيها آدم الذي جبله . واستنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة بهية للنظر ، ولذيذة للأكل ، وغرس أيضا شجرة الحياة ، وشجرة معرفة الخير و الشر في وسط الجنة . كان نهر يجري في عدن ليسقي الجنة ، وما يلبث أن ينقسم من هناك أربعة أنهر : الأول منها يدعى فيشون ، الذي يلتف حول كل الحويلة حيث الذهب . وذهب تلك الأرض جيد ، وفيها أيضا المقل و حجر الجزع . النهر الثاني يدعى جيحون الذي يحيط بجميع أرض كوش . النهر الثالث يدعى حداقل وهو الجاري في شرقي أشور . والنهر الرابع الفرات . وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليفلحها ويعتني بها . وأمر الرب الإله آدم قائلا : كل ما تشاء من جميع أشجار الجنة ، ولكن إياك أن تأكل من شجرة معرفة الخير و الشر لأنك حين تأكل منها حتما تموت . ثم قال الرب الإله : ليس مستحسنا أن يبقى آدم وحيدا . سأصنع له معينا مشابها له . وكان الرب الإله قد جبل من التراب كل وحوش البرية وطيور الفضاء أحضرها إلى آدم ليرى بأي أسماء يدعوها . فصار كل اسم أطلقه آدم على كل مخلوق حي اسما له . وهكذا أطلق آدم أسماء على كل الطيور والحيوانات والبهائم . غير أنه لم يجد لنفسه معينا مشابها له . فأوقع الرب الإله آدم في نوم عميق ، ثم تناول ضلعا من أضلاعه وسد مكانها باللحم ، وعمل من هذا الضلع امرأة أحضرها إلى آدم . فقال آدم : هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي . فهي تدعى امرأة لأنها من امرئ أخذت . لهذا ، فإن الرجل يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته ، ويصيران جسدا واحدا"[1].

يذهب منسي يوحنا إلى عدم وجود تناقض بين الرواية الأولى والثانية ، إذ تنص الرواية الأولى على خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، وفي الثانية تبدأ بقوله: (هذا

---

[1] – سفر التكوين 2 : 1 – 24 .

وصف مبدئي للسماوات والأرض يوم خلقها الرب الإله) ؛ فكأنها خلقت كلها في يوم واحد فيقال : إن الله كوّن العالم في ستة أيام ، وجعل كلاً منها مفصولا عن الأخر بمساء وصباح ، فكلمة يوم بالعبرانية لا يعبر بها دائما عن اليوم الطبيعي المؤلف من أربعة وعشرين ساعة ، بل كثيرا ما يراد بها مجموعة أيام عديدة ، كما قال موسى عليه السلام : (أنت اليوم عابر الأردن) [1]فالإشارة بذلك إلى المدة . وحقق خبيرون باللغة العبرانية أنه ليس في التوراة لفظ يدل على اليوم والمدة والعصر إلا كلمة يوم فكلمة يوم في الأول لا يراد بها أربع وعشرين ساعة ؛ لأن اليوم الطبيعي مقاسه حركة الشمس ، ولا يصح ذلك إلا بظهور الشمس . فكلمة يوم وصباح في سفر التكوين مجازية لا يراد بها معناها الحقيقي، بل العصر أو الحقبة أو المدة ، فعبر بكلمة يوم عن العصر الذي انقضى بين تكوين تلك الكائنات التي يذكرها وبين ما تلاها ، فغرضه من ذكر المساء نهاية ذلك التكوين ، ومن الصباح بداية تكون غيره . ولم يستطيع العلماء حتى الآن تعيين تلك الأحقاب ، وإنما تدل على ألوف مؤلفة من السنين[2].

ويبدأ يهوه بخلق الإنسان من التراب ، كما ينفخ في أنفه نسمة حياة ليصير نفسا حية ، وبعد ذلك يبدأ بغرس جنة عدن ، ووضع فيها الإنسان الأول ليعمل بها ويحفظها . وينقطع تسلسل الخلق برواية عرضية يذكر فيها وصية الرب للإنسان بأنْ يأكل من جميع شجر الجنة إلا شجرة معرفة الخير والشر وشجرة الحياة . ويعود النص بعد ذلك ليتم عملية الخلق بأنْ رأى أن يصنع نظيراً معينا للإنسان في وحدته ؛ لذلك خلق الحيوانات والطيور لتكون رفيقا للإنسان في الجنة ، لكن لا يجد الإنسان في ذلك رفيقا مؤنسا له ؛ لذلك يقرر الرب بأنْ يخلق

---

[1] - سفر

[2] – انظر : منسي يوحنا ، **حل مشاكل الكتاب المقدس** ، ص 28 .

المرأة من ضلع الرجل[1]. ولكن على العكس يظهر اهتمام الرب بالمرأة من خلال طريقة خلقها. فقصة الخلق تبين علاقة الرجل بالمرأة ، وعلاقتهما بالله ، وهذا يزيد من إدراكنا لمعنى أن يكون المرء مخلوقاً على صورة الله ، والإنسان لا يستطيع أن يعكس شخصيته وحيداً ، وتستطيع المرأة والرجل فعل ذلك . فهناك علاقة حميمة يتميزان بها عن بقية المخلوقات يعبر عنها عندما يخلق الله المرأة من جسم الرجل ، وأنهما مصنوعان لبعضهما ، ومنفتحان تماما على بعضهما ، ويتم تصوير العلاقة التناسلية في عدم شعورهما بالحرج بسبب عريهما ، ويصفهما بأنهما جسد واحد ولهما طبيعة واحدة[2].

" وظهور النبات في الوقت ذاته الذي ظهر فيه الإنسان على الأرض وهو ما ليس بصحيح علمياً ، فقد ظهر الإنسان على الأرض بعد وقت طويل جداً من حملها النبات"[3] . وخلق الإنسان كأنه مزارع لدى الإله ، ثم الحيوانات لرفقة ذلك الإنسان ، ثم خلق المرأة يتشابه مع الميثولوجيا السومرية والبابلية التي جاء فيها أن الرجل خلق لخدمة الآلهة ، وكذلك خلق أول امرأة من ضلع الرجل يتشابه مع الميثولوجيا السومرية والبابلية [4].

---

[1] – انظر :جيمس فريزر ، **الفولكلور في العهد القديم** ، ترجمة نبيلة إبراهيم ، الهيئة المصرية ، 1972 ، ص28 .

[2] – انظر : نخبة من المتخصصين ، **نشأة العالم والبشرية** ، ص 162 – 163 .

[3] – موريس بوكاي ، **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث** ، ص 51 .

[4] – انظر : جان بوتيرة ، **ولادة اله التوراة** ، ص 186 .

المطلب الثاني

مقارنة الروايات التوراتية

يعتقد العديد من علماء التوراة أن هاتين الروايتين يمثل كل منهما رواية لها سماتها الخاصة . أطلق على الإله في الرواية الأول لفظ الوهيم ، ويبدو الإله في هذه الرواية وكأنه مجرد فكرة لشيء معنوي ليس له وجود حسي ، فهو قادر على أن يخلق أي شيء بقوله كن فيكون . وقد وضعت هذه الرواية بعد عودة اليهود من بابل . والرواية الثانية أقدم عهداً ذكرت الجنة ، وحددت موقعها الجغرافي على الأرض ، وركزت على خلق الإنسان[1] . ويبرر علماء اليهود هذا التناقض بأن الإصحاحان يحكيان الرواية نفسها ، وهي قصة خلق أبوينا الأولين آدم وحواء . وردت مختصرة في الإصحاح الأول ؛ لأنه ذكر القصة كجزء من قصة الخليقة كلها ، ووردت مفصلة في الإصحاح الثاني ؛ لأن الكاتب ذكر فيها كيف خلق آدم من التراب ، وحواء من إحدى أضلاع آدم ، ووصف لنا مشاعر آدم قبل خلق حواء وبعده . فالروايتان متكاملتان ولا تناقض بينهما[2].

---

[1] – انظر : عصام الدين حفني ، **اليهودية بين الأسطورة والحقيقة** ، ص 88 .

[2] – www . popekirillos .net بقلم منس عبد النور .

ونلاحظ وجود اختلاف بين الروايتين سوف نقوم بذكر أهم جوانبه : –

أولاً – تختلف الروايتان في ترتيب عملية الخلق كالتالي :

أولاً – الرواية الأولى	الرواية الثانية
ثانياً– خلق السماوات والأرض والنور والظلمة	خلق السماوات والأرض
ثالثاً – خلق الجلد وجعل بعض المياه فوقه بعضها تحته	كان يشق من الأرض ضباباً يسقي أديمها
رابعاً – اجتمعت المياه التي تحت الجلد في البحار فظهرت اليابسة ونبتت الأعشاب والأشجار المثمرة	خلق من التراب إنسانا اسماه آدم
خامساً – خلق الشمس والقمر والنجوم	غرس جنة في عدن شرقا وأسكن آدم إياها
سادساً – خلق الزحافات أي الأسماك والطيور والتنا نين أي الحيتان	خلق الحيوانات البرية والطيور
سابعاً – خلق الوحوش والبهائم وجميع دبابات الأرض ثم خلق آدم وحواء	خلق المرأة من إحدى أضلاع الرجل

هكذا نجد أن هناك اختلافاً بين الروايتين في ترتيب عملية الخلق[1].

ثانياً – أما فيما يتعلق بخلق الجنس البشري فالرواية الأولى تقول :إن الإنسان خلق ذكراًوأنثى دفعة واحدة وعلى صورة الله وكان آدم وحواء آخر ما برأ الله من الخليقة . الرواية الثانية تقول: خلق الله آدم قبل حيوان البرية والطير . ولاحظ الله ليومين من خلق آدم أنه في

[1] – انظر : عصام الدين حفني ،**اليهودية بين الأسطورة والحقيقة** ، ص 89 .

حاجة إلى امرأة تؤنسه ، ولكنه لم يخلقها بل خلق شتى الحيوانات ، وعرضها على آدم وبعد ذلك خلق حواء[1] .

ثالثاً – جاء في الرواية الأولى أن الله بارك الناس وقال لهم : أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض . أما الرواية الثانية لم يفعل ذلك بل جعل الحمل والولادة لعنة على المرأة . فالمرأة سبب شقاء البشرية حسب تعاليم اليهودية [2]. ونلاحظ عدم احترام نصوص التوراة للمرأة على عكس الإسلام الذي كرم المرأة من أول يوم .

رابعاً – يظهر عدم التوافق بين الروايتين فيما يخص أسلوب الخلق . فالقصة الأولى نلاحظ أن الخلق جاء نتيجة أمر الله وكان كذلك . تم الطلب وأنجز نتيجة قول أمر من الرب ، وليس نتيجة فعل أي عمل . أما الرواية الثانية (وجبل ا لرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء) وكذلك الأمر عند خلق آدم (وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية) ؛ فالخلق جاء نتيجة فعل قام به الرب بنفسه جبل تراب الأرض ، وصنع من الطين تمثالا بالحجم الطبيعي لكل الكائنات الحية ، وأكسبها حياة كما أكسب آدم الحياة[3] .

خامساً – تختلف الروايتان فيما يتعلق بالحالة البدائية للكون . ففي الرواية الأولى كانت حالة عماء مائي تتكون عناصرها من الفراغ والمياه والظلام والسكون .أما الثانية فقد تمثلت الحالة البدائية بالقفر والجفاف ثم الضباب الذي ظهر في مرحلة تقع ما بين الفوضى

---

[1] – انظر : جيمس فريزر ، **الفولكلور في العهد القديم** ، ص 26 – 27 .
موفق محادين ، **دورة الدين اليهودي** ، ص 163 – 164 .

[2] – انظر : عصام الدين حفني ، **اليهودية بين الأسطورة والحقيقة** ، ص 90 .

[3] – انظر : إبراهيم ناصر ، **التوراة بين الحقيقة والأسطورة والخيال** ، ص 23 – 24 .

والخليقة وبظهوره يبدو أول ذكر للماء ولا يورد الكاتب ذكر اللجة الأزلية ولا يلمح لعنصر الظلام ولا يذكر النور ولا وسائل إنتاجه . فتعكس هذه العناصر بيئتين متباينتين : الأولى تعكس بيئة بحرية أو نهرية ، أما عناصر الفوضى في الثانية فتعكس بيئة صحراوية ، حيث تتمثل العناصر في القفر والجفاف ، كما وتختلف القصتان في تسلسل الخلق فقد قسم مؤلف القصة الأولى مراحل الخلق إلى ست مراحل ، كما أفرغ كل مرحلة في عنصر زمني يسمى اليوم ، أما مؤلف الرواية الثانية فلم يتبع ذلك التقسيم وإنما جعلها مراحل دون تحديد عنصر زمني لها ، وكان يقطع هذه المراحل بروايات عرضية ليعلق على ما سبق خلقه[1] .

يفسر هذا التناقض أن الروايتين قد استمدهما الكاتب من مصدرين مختلفين ومستقلين أصلاً ، ثم جمع بينهما في كتاب واحد ونقلهما من دون أن يجهد نفسه في التخفيف من حدة التناقض والتوافق بينهما. الإصحاح الأول مستمد مما يسمونه بالمصدر الكهنوتي : الذي ألفه كتّاب كهنوتيون في أثناء السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد وبعده . أما الإصحاح الثاني فمستمد من المصدر اليهوي : الذي ألف قبل المصدر الكهنوتي بمئات السنين أي في القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد . واختلاف وجهات النظر بين الكاتبين فالكاتب المتأخر يصور الإله في صورة مجردة على ما قد يتصوره الإنسان وأنه خلق الكائنات جميعا بقوله كن . أما الكاتب اليهوي فقد صور الإله في صورة حسية فهو يتصرف على نحو ما يفعل الإنسان. فالبساطة في الرواية المتقدمة يتعارض مع الجدية البالغة في القصة المتأخرة[2]. وفي هذا إشارة إلى أن التوراة مكتوبة من قبل أشخاص ، وليست وحياً من عند الله .

---

[1] – انظر : كارم محمود عزيز ،**أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم** ، ص98 .

[2] – انظر : جيمس فريز ، **الفولكلور في العهد القديم** ، ص 27 – 28 .

يرى مفيد عرنوق أن النص الثاني دون أن يدحض النص الأول يركز على كيفية خلق آدم ، ثم حواء ذلك التركيز الذي لم يحدد في النص الذي يذكر بإجمال خلق الإنسان ذكراً وأنثى. إلا أن النص الثاني بهذا الوضع يصبح بدون شك مقتبسا عن تلك الأساطير[1] التي تعود بالأصل إلى الفكر الديني السومري حول نشأت الكون والخلق ، فكتبة التوراة بعد أن كتبوا الإصحاح الأول اطّلعوا على أساطير سومرية وبابلية ، فصححوا ما كتبوا بإضافة الإصحاح الثاني حول كيفية خلق الإنسان بالنسبة لآدم وحواء كما جاء في الأساطير الرافدية[2] .

ونحن إذ نذكر نقاط الاختلاف فإنه مع ذلك يوجد نقاط تشابه بين الروايتين ، فهما تتشابهان في الأسلوب الاستهلالي ؛ فالقصة الأولى تبدأ بعبارة (في البدء خلق الله السماوات والأرض)، والثانية تبدأ بعبارة (هذا وصف مبدئي للسماوات والأرض يوم خلقها الرب الإله). والروايتان لم تتعرضان لوصف كيفية خلق السماوات والأرض لكن الرواية الأولى فصلت ذلك فيما بعد في أثناء حديثها عن أيام الخلق الستة ؛ أما الثانية فلا تذكر تفصيلاً لخلق السماوات والأرض ، وإنما ركزت على قصة آدم وحواء . وتستخدم الأولى للدلالة على الإله اسم الوهيم بينما الثانية اسم يهوه[3].

---

[1] – والأسطورة جاءت من السطر وهو الخط والكتابة وجمعه أسطار وجمع الجمع أساطير وكان أفلاطون أول من استخدم تعبير mythohogy المستخدمة في اللغات الأوروبية . فالأسطورة هي حكاية مقدسة مؤيدة بسلطان ذاتي وهذا السلطان لا يأتي من أية عوامل خارجة عنها بل من صياغتها وطريقة مخاطبتها للجوانب الانفعالية وغير العقلانية في الإنسان فهي تنشأ عن المعتقد الديني وتكون امتدادا طبيعيا له فهي تعمل على توضيحه واغنائه وتثبته في صيغة تساعد على حفظه وتداوله بين الأجيال فالمهمة الأساسية للأسطورة تزويد فكرة الألوهية بألوان وظلال حية فالأسطورة هي إحدى المقومات المكونة للدين الوضعية.(انظر : فراس السواح ، دين الإنسان ، ط2 ، دار علاء الدين ، دمشق، 1995 ، ص56– 59)

[2] – انظر : مفيد عرنوق ، **التوراة والتراث السوري** ، ط2، دار النضال ، بيروت ، 1987 ، ص 45 .

[3] – انظر : كارم محمود عزيز ، **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم** ، ص 97 .

وهكذا نرى أنّ التوراة وإنْ ذكرت روايتين مختلفتين لنشأة الكون ؛ إلا أن هناك شيئاً مشتركاً ، وهو أن هذا الكون مخلوق ، وأنّ خالقه شيء فوق الطبيعة يسمو على الأفهام .

المطلب الثالث

تأثر روايات نشأة الكون بثقافات الشعوب الأخرى

عملية الخلق في ثقافات الشعوب القديمة تلي التغلب على المياه وعلى التنانين وفي هذه الإشارات يسحق الرب قوى الهيولي المائي التي سميت بعدة أسماء منها : يم ، ونهر ، ولوياثان ورهب ، والتنين ، واللجة ، والغمر . وأهمها ما يتعلق برهب ولوياثان والتنين . ففي هذا تشخيص لقوى المياه على أنها طرف صراع ضد الرب وهذا يوحي لفكرة صراع الرب ليس ضد المياه وإنما ضد الكائنات المائية المرعبة التي من بينها التنين وهي إشارات ضمنية يؤكدها ما ورد في بعض أسفار التوراة[1] .

أما الإشارات التي تشير إلى فكرة صراع الخالق مع التنين والتي ترتبط بشكل ما بالخليقة فهي كالتالي : -

اشعياء 27 : 1

(في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد الحية الهاربة لوياثان الحية الملتوية ويقتل التنين الذي في البحر) . في ذلك اليوم يشير إلى يوم الرب حيث وردت إشارات عديدة إلى ذلك اليوم بتعبيرات مختلفة منها يوم الرب 13: 6 (فان يوم الرب بات وشيكا قادما من عند الرب محملا بالدمار) ، في ذلك الوقت 18: 7 (في ذلك الوقت يقدم الشعب الطويل القامة الأجرد) ، ويكون في ذلك اليوم 22 : 12 (في ذلك اليوم يدعوكم السيد الرب القدير للبكاء والنوح وحلق الشعر) . لكن علاقة النص بالخليقة غير واضح غير

---

[1] – انظر : كارم محمود عزيز ، **الأسطورة والحكاية الشعبية في العهد القديم** ، ط1 ، دار عين ، الهرم ، 2001 ، ص37 .

أنه لما كان أنموذج الصراع يرتبط بالخليقة فإنه يفترض أن النص يعد استكمالا لنص آخر كان يتحدث عن نفس المعركة عندما جرت قبل خلق العالم ومما يؤكد ذلك استخدام المؤلف الحية الهاربة والذي يوحي بأنْ الحية قد هربت من وجه الرب أثناء الصراع وظل هاربا لكنه سيقضى عليه ويقتله في صراع آخر في يوم الرب[1]

أشعياء 51 : 9–10

(استيقظي استيقظي البسي قوة يا ذراع الرب استيقظي كما في أيام العدم كما في الأدوار القديمة ألست أنت قاطعة رهب الطاعنة التنين ألست أنت هي المنشفة البحر مياه الغمر العظيم الجاعلة أعماق البحر طريقا لعبور المفديين). يحيي النص ذكرى الصراع الذي جرى عند بدء العالم ترنما بعظمة الرب ومجده ويؤيد ذلك قوله كما في الأدوار القديمة . ويمكن الاستدلال من خلال النصوص السابقة واللاحقة على قصة الخلق فقد وردت بعض الألفاظ التي تشير إلى بدء العالم منها منذ البدء ، منذ الأزل ، وكذلك ورد في السفر إشارات صريحة إلى خلق العالم على يد الرب ووردت إشارات إلى قهر الرب لقوى المياه وكذلك وصف لجبروت يهوه كمصارع[2] .

المزمور 74: 13–14 .

(أنت شققت البحر بقوتك كسرت رؤوس التنانين على المياه أنت رضضت رؤوس لوياثان جعلته طعاما للشعب لأهل البرية) يحيي الكاتب ذكرى انتصار الرب على لوياثان . وعلاقة النص بالخليقة تتضح في الفقرات التي تلي النص مباشرة حيث يتحدث المؤلف عن

---

[1] – انظر : كارم محمود عزيز ، **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم** ، ص 103– 104 .

[2] – انظر : كارم محمود عزيز ، **الأسطورة والحكاية الشعبية في العهد القديم** ، ص 42 – 43 .

صنائع الرب وخلقه لبعض عناصر الكون . وذكرى الصراع هنا يتماشى مع الترتيب المفترض لأساطير خلق العالم حيث تشير إلى صراع الرب مع الفوضى الأزلية ممثلة في التنين ، ثم يأتي بعد انتصار الرب مرحلة النظام الكوني ممثلة في الخليقة نفسها[1] . وكذلك في المزمور 89 : 10-11 إلا أن قوله (جعلته طعاما لأهل البرية) يوحي بأنّ الخليقة كانت قد تمت عند وقوع المعركة ، ولكن يقال: إنه جعل لوياثان فيما بعد نوع من الحيتان أو الأسماك العادية التي يمكن للإنسان تناولها كغذاء [2].

أيوب 26 :12-13 .

(بقوته يزعج البحر وبفهمه يسحق رهب بنفخته السموات مسفرة ويداه أبادتا الحية الهاربة). يبدأ الإصحاح بحديث أيوب الذي يذكر بقوة الرب على إعانة الضعفاء ومن لا حكمة لهم ثم يتبع ذلك بصنائع الرب في الكون وفيها ما يشير إلى بداية الخليقة ، بعدها يشير إلى الصراع بين الرب والتنين ؛ وهنا عكس المؤلف الترتيب المفترض حيث أن المعركة سابقة على الخلق وليس العكس[3] .

أيوب 40 : 15-24

(هو ذا بهيموث الذي صنعته معك يأكل العشب مثل البقر ها هي قوته في متنه وشدته .....) النص لا يشير إلى الصراع ، ولا إلى الخليقة ، وإنما يصف نوعاً من التنانين يسمى بهيموث ويغلب عليه الطابع الصحراوي . فكتّاب العهد القديم اعتقدوا بوجود شقين للتنين: أحدهما بحري ، والثاني صحراوي ، غير أن هذا النص في سياق السفر يمكن

---

[1] – انظر : كارم محمود عزيز ، **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم** ، ص 106 .

[2] – انظر : كارم محمود عزيز ، **الأسطورة والحكاية الشعبية في العهد القديم** ، ص 44 .

[3] – انظر : كارم محمود عزيز ، **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم** ، ص 108 .

اعتباره نصاً مكملاً لقصة الصراع التي وردت في الإصحاح 26 : 12-13 وللإشارات التي وردت في السفر عن الصراع وتتضح العلاقة من خلا ل الإشارات التي وردت في سياق السفر عن الخلق وعن قدرة الرب[1].

أيوب 41 : 1 – 34 .

(أيمكن أن تصطاد لوثان بشص أو تربط لسانه بجبل أتقدر أن تضع خزامة في أنفه أو تثقب فكه بخُطَّاف أيكثر من تضرعاته إليك أم يستعطفك أيبرم معك عهداً لتتخذه عبدا مؤبدا لك أتلاعبه كما تلاعب العصفور أم تطوقه بترس ليكن لعبة لفتياتك .....)

يركز النص على وصف لوياثان وهو وصف يلقي الرعب في النفس وهو وصف يصل إلى أقرب صورة شائعة عن التنين في الأساطير وبخاصة الزفير الناري والأسنان المرعبة وقوة البنيان وعدم تأثير الأسلحة فيه ، ولا يشير النص إلى علاقته بالخليقة ولكن يشير في ثناياه إلى صراع الرب ضد ذلك التنين لوياثان بشكل ضمني فكان هدف المؤلف التذكير بعظمة الرب وقدرته وإبراز الفارق بين أيوب الإنسان الضعيف ، وبين الرب القادر الذي بقدرته ساس هذا المسخ الهائل المرعب فالرب هو الذي اصطاده بالشص وتضرع إليه التنين وتكلم معه باللين .

فهذه النصوص تجعل بداية الخلق عبارة عن صراع قوي بين الرب وبين قوة المياه التي تبدو على شكل تنين وحية ذات رؤوس سبعة ويطلق عليها رهب .

ويمكن ملاحظة الملامح التالية لأسطورة التنين في العهد القديم :

---

[1] – انظر : كارم محمود عزيز ، **الأسطورة والحكاية الشعبية في العهد القديم** ، ص 39 – 40 .

أولاً – النموذج العبري لأسطورة التنين: هو صراع في العالم الإلهي بين الرب والتنين فقط .

ثانياً – لا يمثل النص العبري نصا أسطوريا كاملا يحكي وقائع الصراع بين الرب والتنين بالتفصيل أو بترتيب وسياق معين ، وإنما هو عبارة عن مجموعة من الترانيم الشعرية المتناثرة التي تهدف إلى إبراز عظمة الرب وقوته ومجده وفي هذا السياق تعيد ذكرى انتصار الرب على قوى المياه في إيماءات شعرية مختصرة جدا .

ثالثاً – قدم التنين على هيئة مخلوق جبار قوي صارع الرب ولكنه انهزم وقدم شخصية التنين تدرجا من العام إلى الخاص ، حيث تحدث عن البحر والمياه كقوة مطلقة مناوئه للرب ، ثم في عملية التجسيد ليتحدث عن أنواع بعينها من تلك الوحوش البحرية أهمها : لوياثان ، ورهب، وبهيموث .

رابعاً – جاء النص العبري على هيئة نصوص متناثرة أحدث بعض التناقض بين هذه النصوص وبين بعضها الآخر ، كما في أشعياء والمزمور وأشعياء 27 . فالنص الأول والثاني يشيران إلى انتهاء المعركة ، أما أشعياء 27 فإنه يشير إلى أن المعركة لم تنتهِ . وسبب هذا التناقض أن النص الأول أشعياء 27 ينتمي إلى نبي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد وعرف باسم أشعياء ، ويطلق عليه نقاد العهد اسم أشعيا الأول ، أما النص الثاني أشعياء 51 فانه ينتمي إلى شخص مجهول عاش بعد اشعياء بحوالي قرنين من الزمان وسمي اشعياء وأَطْلَقَ عليه النُقّاد اسم اشعياء الثاني وهو الذي أعاد صياغة أفكار اشعياء الأول[1].

قبل الانتهاء من هذا المطلب لا بد من ذكر أن هناك تشابه بين أساطير البابليين والسومريين والكنعانين والتوراة من حيث تصور كل منهما لنشأة الكون .

---

[1] – انظر : كارم محمود عزيز ، **الأسطورة والحكاية الشعبية في العهد القديم** ، ص 52 .

البابليون تبنوا المعتقدات السومرية فوصلت إلينا بتفاصيل كاملة وواضحة . ونذكر هنا نص الاينوما ايليش[1] لشدة التشابه بينها وبين النص التوراتي . في البدء لم يكن سوى المياه وكان الخراب عامًّا ، ومن هذا الخراب المخيف ولدت الآلهة ابسو ، وهو المحيط الأزلي من المياه الحلوة ، وتيامات البحر المالح . ويستمر توالد الآلهة ، ومع مرور الزمن وفي هذه المرحلة كان الكون غارقا في المياه العذبة والمالحة في آنٍ واحدٍ ، وبفعل لهو الآلهة وضجيجهم تعكر صفو ابسو ، وقرر التخلص منهم . وهذا يبين نزع المادة البدئية إلى السكون ومقاومة الحركة . وهكذا اصطدم الصمت والسكون بالضجيج والحركة ، ونشأت معركتان قادتا إلى ابتداء التاريخ ، قاد المعركة الأولى الإله أيا ضد ابسو وممو ، وقُتِلَ الأول وأُسِرَ الثاني . وقاد المعركة الثانية الفاصلة الإله مردوخ ، بكر الإله أيا فقتل تيامات ، وشطرها نصفين ، رفع أحدهما وسماه سماء ، وأرسى الثاني وسماه أرضا . فنشأ الشكل عن الهيولى ، والنظام عن الفوضى . وفي السماء سجل مردوخ في قصر ابسو وحدد سير النجوم ، وتحديد الزمن وتشكيل الأرض ومن عليها من أعضاء تيامات . وبعد ذلك خلق الإنسان من الطين المجبول من دم الإله كنحو . وبعد ذلك اجتمع مردوخ بجميع الآلهة واحتفلوا بتتويجه سيدا للكون ، ثم بنوا مدينة بابل . وخلق الإنسان من أجل أن يريح الآلهة من بعض الأعمال وخدمتهم[2] . أما الكنعانيون فقد روي عنهم قصة مماثلة لقصة البابليين عن بعل الذي ورد ذكره في التوراة . فقد كان يعيش مع يم إيل الإله الكنعاني ، ويحدث صراع بين بعل ويم يتمكن بعل من هزيمة يم بسلاحين سحريين، ولكنه لا يقتل يم بسبب توسل زوجة إيل وأم الآلهة . وفي رواية أخرى يقتل بعل لوتان ذو الرؤوس السبعة ، وبني له قصراً جميلاً تكريماً

---

[1] – الاينوما ايليش هي : عبارة عن ملحمة كانت تحتفل بانتصار الآلهة على العماء فهي تخبر كيف تم تنظيم العالم خارج الفوضى الأولى . فهي قصيدة تعليمية تتضمن بعض التصورات الأسطورية (انظر : كارم محمود عزيز ، أساطير التوراة الكبرى ، ص37)

[2] – انظر : جان بوتيرة ، **ولادة اله التوراة** ، ص 93 – 94 .

له ، ومات بعل ووجب عليه النزول إلى عالم موت إله الموت والعقم وعندما يسمع إيل بمصير بعل ينزل من عربته ويضع عليه وشاحا ويخرج خديه ولكنه لا يستطيع إحياء ابنه وتقيم عنات عاشقة بعل وأخته مأدبة تكريما له فتلقي القبض على موت وتشطره بسيفها[1].

نلاحظ التشابه بين القصتين في التتابع المذهل الذي تتصف به القصتان :

القصة البابلية	القصة التوراتية
أولاً – العماء الأول تعامة الماء المالح وزوجها الماء الحلو. يحيط بهما الظلام	الظلام يغلف المياه الأولى وروح الرب ترف فوق المياه .
ثانياً – النور يشع ويتولد من الآلهة	النور
ثالثاً – السماء	السماء
رابعاً – الأرض	الأرض
خامساً – الأجرام السماوية	الأجرام السماوية
سادساً – الإنسان	الإنسان
سابعاً – مردوخ ينتهي وتحتفل به الآلهة	الله يستريح من جميع عمله الذي عمله

هذا التشابه الكبير بين الروايتين في عملية خلق الكون[2].

ونلاحظ أنّه يجري الحديث عن روح الله التي ترف على المياه ، وقد أولوا هذه العبارة تأويلات مختلفة إلى أن وجد في الألواح المسمارية في الأسطورة التي تحكي نشأة الكون أن الله يجلس على المياه كما يجلس الطير على بيوضه وكما يفرخ هذا الأخير صغاره كذلك يفرخ

---

[1] – انظر : كارين آرمسترونغ ، **الله والإنسان على امتداد 4000 سنة من إبراهيم الخليل حتى العصر الحاضر** ، ترجمة محمد الجورا ، ط2، دار الحصاد ، سورية – دمشق ، 2002، ص23 – 24 .

[2] – انظر : ناجح المعموري ، **الأسطورة والتوراة قراءة في الخطابات الميثولوجية** ، ط1، دار الفارس ، عمان ، 2002، ص 165 – 166.

الله الحياة من الخراب[1]. سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا . فالله منزه عن هذه الأمور ، ولا يتصف إلا بصفات الكمال .

فالكون قبل مردوخ في ضجة وبلبلة ثم جاء مردوخ وأصلحه ونظمه . فمرحلة ما قبل المردوخية تلتقي مع التعبير التوراتي (وكانت الأرض خربة) .

ونجد في النص التوراتي والبابلي الإشارة إلى وجود الضوء واختلاف الليل والنهار قبل خلق الأجرام السماوية ، فمردوخ نفسه كان يشع بالنور . وخلق السماء والأرض العملية واحدة في كلتا الروايتين ، وكذلك بالنسبة للأجرام السماوية . ويعتقد أن هناك ألواح بابلية مفقودة تتحدث عن خلق الحيوان والنبات . ويأتي الإنسان في المرحلة الأخيرة من الخلق في كلتا الروايتين وأنّه خلق من طين [2]، لكن هناك اختلاف بين الروايتين فيما يتعلق بخلق الإنسان ، فالقصة البابلية أنّه خلق من طين مجبول بدم إله مذبوح هو كنجو ، والغاية من خلقه هو القيام بالأعمال التي كانت تقوم بها الآلهة ، والقيام على خدمة الآلهة . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فالمقصود خدمة الآلهة المعبودة من دون الله . أما التوراة فتقول بخلق الإنسان من طين وأنّه مكون من ذكر وأنثى متصلين من الخلف ثم رأى فيما بعد أن يفصل أحدهما عن الأخر ، فعبارة التوراة (على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى). فالتشابه يظهر من المادة التي خُلق منها

---

[1] – انظر : زينون كاسيدوفسكي ، **الواقع والأسطورة في التوراة** ، ترجمة حسان اسحق ، ط1، دار الأبجدية ، سورية – دمشق ، 1990، ص 27 .

[2] – انظر : مفيد عرنوق ، **التوراة والتراث السوري** ، ص 101 – 102 .

الإنسان وهي الطين ، ومن أنه مخلوق وخالقه إله ، وأنه على صورة الإله ، وأنه ذكر وأنثى[1].

إن عماء البدء في أساطير الخلق السومرية والبابلية والكنعانية مثل بتنين يقتله الإله قبل القيام بعملية التكوين وتنظيم الكون . فالتوراة تنسب قتل التنين إلى يهوه ، وفي السومرية يقتل انكي تنين العماء كور والبابلية يقتل مردوخ تيامات وينظم الكون ، والكنعانية يقتل بعل الحية الملتوية ذات الرؤوس السبعة والملتوية الهاربة قبل القيام بعملية التكوين[2] .

---

[1] – انظر : عبد المجيد همو ، **بابل ولصوص اليهود** ، ط1 ، دار معد ، سورية – دمشق ، 1996، ص 59 – 60 .

[2] – انظر : جورجى كنعان ، **مفهوم الالوهة في الذهن العربي القديم** ، ط2، بيسان ، بيروت ، 1996 ، ص 160 – 161 .

المبحث الثاني

نشأة الكون حسب تصور القرآن الكريم

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : – الآيات القرآنية حول نشأة الكون .

المطلب الثاني : – السماء والأرض في القرآن .

المطلب الثالث : – مدة خلق السماوات والأرض .

المطلب الأول

الآيات القرآنية حول نشأة الكون

القرآن الكريم كتاب هداية وإعجاز ، نزل كي يُقوّم حياة الناس ، ويخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم ، وليس هو كتاب علوم ، ووجود بعض الإشارات العلمية فيه تدعو إلى النظر والتفكر والتأمل في السماوات والأرض ، والحث على الانتفاع بكل ما فيهما ؛ لأن في ذلك دليل على أحقيته سبحانه وتعالى بالعبادة .

وفي عرض القرآن الكريم لحقائق نشأة السماوات والأرض لا يذكر الآيات المتعلقة بالموضوع في مكان واحد ، بل نجدها متفرقة في أكثر من سورة ، وليس لها ترتيب معين ، وهذا طابع آيات القرآن في كثير من المواضيع .

وأول الحقائق التي يذكرها القرآن في هذا الموضوع ويبني عليها جميع الحقائق هي : أولا – ً أن جميع ما في السماوات والأرض من مخلوقات مخلوقة من مادة واحدة ؛ وأن خالقها واحد ، لقوله تعالى { قل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سبيلا سبحانه وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيرا} [1] فالآية تشير إلى أن خالق الكون واحد ، مبرهناً على ذلك بقوله (إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جعلوا مع الله إلها آخر إذن لابتغت تلك اآلهة القربة من الله ذي العرش العظيم والتمست الزلفة إليه .[2] فلو كان هناك أكثر من إله لسلكوا إلى مالك العرش طريقاً ينازعونه العرش

---

[1] – سورة الإسراء : 42 – 43 .

2- انظر: محمد بن جرير الطبري ، **جامع البيان في تفسير أي القرآن** ، المطبعة اليمنية ، مصر ، 1321، ج15 ، ص 91 .

والسلطان . فأصحاب النظريات العلمية يدركون حقيقة المادة التي كونت منها جميع أشياء هذا العالم والذي يمثلها أصغر جسيم ذري ، والملحدون منهم لا يزالون ينكرون كون المادة مخلوقة ويقرون بذلك إقرارا جازما[1]. فالمادة مخلوقة وليست أزلية ،بدليل : –

أ – لقوله تعالى: { قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَـمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ }[2] ، "وفطر الله الخلق يفطرهم: أي خلقهم وبدأهم "[3]. قال ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني إعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرته ؛ أي أنا ابتدأت حفره[4]. فالآية تشير إلى أن هناك إلهاً، وأنه هو خالق المادة ، والمادة مخلوقة كأداة مرحلية ، وأنها ليست أزلية[5].

ب – قال تعالى: { بديع السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ}[6] البديع المحدث العجيب وأبدعت الشيء اخترعته لا على مثال . والبديع من أسمائه تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها. ويجوز أن يكون بمعنى مبدع أو يكون من بدع الخلق ،

---

[1] – انظر: سليم الجابي، **النظرية القرآنية الكونية حول خلق العالم** ، ط1 ،دار الجيل ، 1995 ، ص21–2.

[2] – سورة إبراهيم : 10 .

[3] – جمال الدين محمد بن مكرم ، **لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت ، 1956 ، ج5 ، ص56 .

[4] – أخرجه الشافعي في مسنده رقم 216 ص 242 ، والبيهقي في كتاب شعب الإيمان 2 / 257 رقم 168.

[5] – انظر : سليم الجابي ، **النظرية القرآنية الكونية حول خلق العالم** ، ص 23 .

[6] – سورة البقرة : 117 .

أي بدأه وقوله بديع السماوات والأرض أي خالقها ومبدعها فهو سبحانه الخالق لا على مثال سابق[1] . وهذه الآية تؤكد على وجود الكون من العدم.

ثانياً – الحقيقة الثانية التي يقررها القرآن هي : – الخلق من العدم ، وما يدل على خلق السماوات والأرض من العدم قوله تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَق}[2] فالكينونة نوعان : كينونة منشئة : وهي أن يكون فعل الأمر كن نزل على غير محل فيكون ما أراد الله . فهي كينونة منشئة للسماوات والأرض إذ لم تكن هناك سماوات وأرض يوم خلقهما الله فدل على الخلق من العدم ، والدليل انه لم يرد عبارة (له) . وكينونة كاشفة : وهي أن ينزل فعل الأمر كن على محل لأي أمر فيظهر فيكون الشيء موجوداً، وإلا لما قال له (يقول له) فالخطاب لشيء موجود هنا . أما التدبير الكوني الذي ورد في الآيات (فإنما يقول له كن فيكون) أياً كان الشأن ، ولأي أمر من الأمور ، فهو أمر كاشف كان خافياً علينا معلوم لله سبحانه علام الغيوب[3] .

والخلق في القرآن يأخذ صورتين : الصورة الأولى : إيجاد شيء لم يكن موجودا من شيء آخر على وجه يتفرد به الله ويعجز غيره عن إيجاد مثله . ويذكر القرآن في مثل هذا النوع الشيء الآخر المستعمل في عملية الخلق صراحة مثل قوله: (خلق الإنسان من نطفة) .

---

[1] – انظر : محمد بن احمد القرطبي الأنصاري ، **الجامع لأحكام القرآن** ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، 1967 ، ج2 ، ص86 .

[2] – سورة الأنعام : 73 .

[3] – انظر : عبد الهادي ناصر ، **نظرات في القرآن والكون** ، ط1 ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، 1995 ، ص 150 .

الصورة الثانية : إيجاد شيء لم يكن موجودا من لا شيء ويكتفي هنا بذكر الشيء المخلوق فقط وهنا يأتي الخلق بدستور كن فيكون[1] .

ثالثاً – ويبين الله تعالى أنه خلق السماوات والأرض ومن فيهن بالحق ، ولم يخلق السماوات والأرض عبثاً أو لهواً ، بل كل ذلك لأجل مسمى يقع في علمه تعالى ، ولا يوجد في السماوات والأرض عنصر أقــوى من خالقه ، فالمخلوقات مسخرة بقوة الخالق وهــي أضعف منه ، لقــوله تعالى: { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[2] .

رابعاً – ويشير القرآن إلى وحدة الخلق فبين أن كل ما خلق الله مكون من نفس واحدة واشتق منها زوجها لقوله تعالى{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا}[3] النفس الواحدة آدم ، وقوله وجعل منها زوجها وهو آدم زوجها حواء فجعلت من ضلع من أضلاعه ليسكن إليها فنظام الزوجية مبثوث في الكون [4]. وقال تعالى : {وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }[5] والزوجية في الطبيعة هي الجنس بين موجب وسالب . وفي هذا إشارات إلى وحدة الخلق ، وإنّ الكهارب الموجبة في البروتون والسالبة في الإلكترون

---

[1] – انظر : منصور محمد حسب النبي ، **الكون والإعجاز العلمي للقران** ، ط3 ، دار الفكر العربي ، مدينة نصر ، 1996 ، ص 334 .

[2] سورة الدخان : 38 – 39 .

[3] – سورة الأعراف : 189 .

4 – انظر: الطبري ، **جامع البيان في تفسير أي القرآن** ، ج 9 ، ص 143 .

[5] – سورة الذاريات : 49 .

إذا تساويا تماما كانا السبب في بقاء الذرة وحفظ توازنها، وأي اختلاف قد يؤدي إلى تحطم الذرة وإلى فنائها . [1].

والقرآن قد ذكر الذرة وما هو أصغر منها في آيات كثيرة . وهذا لم يكن معروفاً ؛ لأن العلماء كانوا يعتقدون بوجود الذرة التي لا تنقسم إلى أصغر منها ، قال تعالى: { وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِين}[2] وذكر الذرة في الأرض وفي السماء يدل على أن جبلَّة الكون واحدة في جميع أجزائه[3] .

كيف كانت السماوات والأرض حين خلقهما الله ؟

يقول تعالى في محكم كتابه الكريم: { أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ}[4] يقول تعالى: أولم ينظر هؤلاء الذين كفروا بأبصارهم فيروا بها ويعلموا أن السماوات والأرض كانتا رتقا[5] . وفي الآية استفهام لتوبيخهم بسبب ادعاء الآلهة مع الله ودلالة على تنزيهه عن الشرك وتوكيد ما سبق ذكره من أدلة التوحيد[6] . الرؤية قد يراد بها الرؤية البصرية أو العلم . والأول فيه إشكال

---

[1] – انظر :عبد السلام الشافعي وعبد العاطي الشافعي ، **عن آيات الله في الكون** ، ط1 ، ج2 ، 27 – 28 .

[2] – سورة يونس : 61 .

[3] – انظر : كمال محمد بزي ، **المعارف والعلوم الحديثة في القرآن الكريم** ، ط1 ، دار النون ، بيروت – لبنان ، 1995 ، ص 100 .

[4] سورة الأنبياء : 30 .

[5] – انظر : الطبري ، **جامع البيان في تفسير أي القرآن** ، ج17 ، ص12 .

[6] – انظر : محمد بن احمد الأندلسي ، **البحر المحيط** ، ط2 ، دار الفكر ، 1983 ، ج 7 ، ص308 .

لأنّ القوم ما رأوا ذلك البتة ، ولقوله { مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ }[1] . وأما العلم فمشكل ؛ وذلك لأنّ الأجسام قابلة للرتق والفتق في أنفسها فالحكم عليها بهذا لا سبيل إليه إلا السمع . والمناظرة مع الكفار الذين ينكرون الرسالة فكيف يجوز التمسك بهذا الاستدلال ، والجواب المراد العلم وما ذكروه من السؤال فدفعه بما يلي :

أولا – أن نثبت نبوة سيدنا محمد ، ونستدل بقوله ، ثم نجعله دليلاً على النظام وانتفاء الفساد ، وذلك يؤكد دلالة التوحيد .

ثانيا – يحمل الفتق والرتق على إمكان ذلك والفعل يدل عليه ؛ لأنّ الأجسام يصح فيها الاجتماع والافتراق واختصاصهما بأحدهما يستدعي مخصص .

ثالثا – اليهود والنصارى كانوا عالمين بذلك ، فقد ورد في التوراة أن الله خلق جوهرة فنظر إليها بعين الهيبة ، فصارت ماء ، ثم خلق السماوات والأرض منها ، وفتق بينهما . وكان من بين عبدة الأصنام من يصدق اليهود لاشتراكهم في عداوة الرسول ، وكان بعضهم على التوحيد الذي جاء به الأنبياء جميعاً [2]. ولكن التوراة في حديثها عن الخلق لا تذكر هذه الرواية فمن أين جاء بها الرازي ؟

" والرؤية يحتمل أن تكون الرؤية بصرية وأن تكون علمية ، والاستفهام صالح لأنْ يتوجه إلى كلتيهما ؛ لأنّ إهمال النظر في المشاهدات الدالة على علم ما ينقذ علمه من التورط في العقائد الضالة حقيقي بالإنكار وإنكار إعمال الفكر في دلالة الأشياء على لوازمها حتى لا

---

[1] – سورة الكهف : 51 .

[2] – انظر : محمد بن عمر بن حسين القرشي الرازي ، **التفسير الكبير**، ط3 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج 22 ، ص 162 .

يقع أحد في الضلال جدير أيضا بالإنكار أو بالتقرير المشوب بالإنكار "[1] . ويرجح طنطاوي أن الرؤية بصرية والذي يرونه بأبصارهم هو أن السماء تكون رتقا ففتقها الله بالمطر ، وكذلك كانت الأرض رتقا ففتقها الله بالنبات ، والدليل على ذلك أنه قال: (وجعلنا من الماء كل شيء حي) والظاهر اتصال هذا الكلام بما بعده أي وجعلنا من الماء الذي أنزلناه بفتقنا السماء ، وأنبتنا به أنواع النبات بفتقنا الأرض كل شيء حي ، وقد جاء مثل ذلك في قوله تعالى:{ وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ }[2] والرجع نزول المطر من السماء ، والصدع انشقاق الأرض عن النبات[3] . فإن قيل كيف يراد بالفتق والرتق انشقاق السماء بالمطر والغيث إنما ينزل من السماء الدنيا قيل ذلك مختلف فيه فبعضهم يقول بنزول المطر من السماء السابعة ، وقيل من السماء الرابعة ، وإن أراد السماء الدنيا فلا خلاف فيه ؛ لأنه لا يمتنع أن يقال السماوات والمراد منها واحدة فتجمع ؛ لان كل قطعة منها سماء[4] . فتفسير الطبري للآية يتعلق بمعارف عصره عن السماء .

والرتق ضد الفتق وهو إلحام الفتق وإصلاحه . وقال تعالى رتقا ولم يقل رتقتين ؛ لأنه أخذ من الفعل . وقال الزجاج قيل رتقا لأن ؛ الرتق مصدر المعنى كانتا ذواتي رتق فجعلتا ذواتي فتق[5] . والفتق خلاف الرتق فهو الشق والانفصال [6] .

---

[1] – محمد الطاهر بن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، الدار التونسية ، تونس ، 1985 ، ج17 ، ص 53 .

[2] – سورة الطارق : 11 –12 .

[3] – انظر: محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، دار المعارف ، القاهرة ، 1992 ، م9 ، ص 203 .

[4] – انظر : محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان في تفسير أي القرآن** ، ج17 ، ص13 – 14 .

[5] – انظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، ج10 ، ص114 .

[6] – انظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، ج10 ، ص296 .

" وقال آخرون بل معنى ذلك أن السماوات كانت مرتتقة طبقة ففتقها الله فجعلها سبع سموات ، وكذلك الأرض كانت مرتتقة ففتقها فجعلها سبع أرضيين " .[1] وقال قتادة والحسن رضي الله عنهما أنهما كانتا ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهواء . وسئل ابن عباس الليل كان قبل أو النهار ، فقال أرايتم السماوات والأرض حين كانتا رتقا هل كان بينهما إلا الظلمة وذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار[2] . وهذا يتفق مع ما جاء في التوراة التي تبين أن الظلام هو إحدى عناصر الحالة البدائية للكون . وإن الكون مظلم ابتداءً وبعد الفتق كذلك هو مظلم .

" وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ، ثم أصعد الدخان ، وخلق منه السماوات ، وأمسك الفهر في موضعها، وبسط منها الأرض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وإما لإظهار كمال العناية بإبداع العلويات"[3] . وقول الحسن رضي الله عنه فيه أبعاد أسطورية فالأسطورة كانت مؤثرة في بعض التفاسير الإسلامية .

وقد يراد ما رواه الرازي عن أبي مسلم الأصفهاني في تفسيره الفتق بالإيجاد والظهور كقوله تعالى (فاطر السموات والأرض) فأخبر عن الإيجاد بلفظ الفتق ، وعن الحال قيل الإيجاد بلفظ الرتق ، وتحقيقه أن العدم نفي محض فليس فيه ذوات متميزة وأعيان متباينة ، بل كأنه أمر واحد متصل متشابه ، فإذا وجدت الحقائق فعند الوجود والتكوين يتميز بعضها عن بعض ، فجعل الرتق مجازا عن العدم ، والفتق عن الوجود ، ولكن هذا بعيد عن

---

[1] – الطبري ، **جامع البيان في تفسير أي القرآن** ، ج17 ، ص13 .

[2] – انظر : إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، **تفسير القرآن العظيم** ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، ج3 ، ص177 .

[3] – محمد بن محمد العمادي ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان م 3 ، ج 6 ، ص64 .

معنى الرتق والفتق. وكذلك قوله كانتا رتقا لا يجوز كونهما كذلك إلا وهما موجودان[1] . ويحتمل أن يراد بالرتق معان غير مشاهدة ، ولكنها مما ينبغي طلب العلم به ، لما فيه من دلائل على عِظَمِ القدرة وعِظَمِ الوحدانية ، والظاهر أن الآية تشمل جميع ما ذكر ، فتكون الآية اشتملت ، على عبرة تعم كل الناس وعلى عبرة خاصة بأهل النظر والعلم [2] .

ويمكن أن يفهم من هذه الآية بأن أصل الأجرام السماوية كان واحداً متصلا ثم انفصل بعد ذلك إلى أجزاء شكل كل منها النجوم والكواكب والشهب . فالمادة كانت حشدا هائلا مجتمعا في أبسط صورة لقوى الذرات المتصلة الواقعة تحت ضغط هائل لا يكاد يتصوره العقل . وقوله ففتقناهما إشارة لما حدث لذلك الجسم الأول من انفجار عظيم انتشرت بسببه مادة الكون فيما حولها من أجواء وتكونت مختلف أجرام السماء[3] .

وقوله: (وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) جعلنا إذا تعدت لواحد كانت بمعنى خلقنا من الماء كل حيوان أي مادته النطفة ، ويكون كل شيء عاماً مخصوصاً خرج منه الملائكة والجن ، فليسوا مخلوقين من نطفة ولا محتاجين للماء . وقيل خلقنا كل نامٍ من الماء فيدخل النبات ، وتكون الحياة مجازاً ، أو عبر بالحياة عن القدر المشترك بينها وبين الحيوان وهو النمو . وإن تعدت جعلنا لاثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه. ويتعجب الله من إنكار عقولهم ، وعدم تدبرهم ، وإنكاره لعدم إيمانهم بالله وحده مع ظهور ما يوجبه من الآيات[4] .

---

[1] – انظر : الرازي ، **التفسير الكبير** ، ج22 ، ص 163 .

[2] – انظر : ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج17 ، ص 55 – 56 .

[3] – انظر : سليم الجابي ، **النظرية القرآنية الكونية حول خلق العالم** ، ص102 – 103 .

[4] – انظر : أبو حيان الاندلسي ، **البحر المحيط** ، ج6 ، ص309 .

وهناك إعجاز عظيم يظهر في الآية وهي عندما يقول (أولم ير...أولم يروا... الم ير) فمعنى ذلك أن الإنسان سيرى عاجلاً أم آجلاً ما أخبرت به الآية الكريمة سواء أكان فعل يرى في الماضي أو الحاضر أو المستقبل . وفي القرن العشرين رأى الذين كفروا من خلال المعادلات الحسابية والمراصد والمحطات الفضائية ، والذين اكتشفوا ذلك كانوا من الذين كفروا مصداقا لقوله تعالى[1] . ولكن كيف التوفيق بين هذه الآية وبين قوله تعالى { مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ }[2] فيقال : إن جملة ما أشهدتهم بمعنى ما أشركتهم في خلق السماوات والأرض فهم لم يكونوا مخلوقين بعد ، بدليل قوله تعالى{ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين }[3] أي ادعوا شركاءكم[4] .

وبعد أن عرفنا أن السماوات والأرض كانتا قطعة واحدة ملتحمة ، فمعنى ذلك أن السماوات والأرض ذات أصل واحد ، وأنّ المادة التي تكونت منها السماوات هي نفسها المادة التي تكونت منها الأرض . فمم تكونت السماوات والأرض ؟

قال تعالى { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ }[5] السماء هنا بمعنى البناء .

---

[1] – انظر : عدنان الشريف ، **من علم الفلك القرآني الثوابت العلمية في القرآن** ، ط1 ، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ، 1991 ، ص32 .

[2] – سورة الكهف : 51 .

[3] – سورة البقرة : 23 .

[4] – انظر : عدنان الشريف ، **من علوم الأرض القرآنية الثوابت العلمية في القرآن** ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، 1993 ، ص18 .

[5] – سورة فصلت : 11 .

المهم في هذا المقام بيان المادة التي تكونت منها السماوات والأرض . ثم استوى إلى السماء شروع في بيان كيفية التكوين أثر كيفية التقدير . وقصد إلى خلق السماء وتوجه دون إرادة تأثير في غيرها . وظاهر الآية أن الدخان هو المادة التي خلقت منها السماء ، ففي التوراة أن الله كان عرشه على الماء قبل الخلق فأحدث الله في ذلك الماء سخونة فارتفع زبد ودخان فأما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق منه اليبوسة وأحدث منه الأرض وأما الدخان فارتفع وعاد فخلق منه السماوات[1]. واستدلال المفسرين بالتوراة يدل على تسرب الإسرائيليات إلى كتب التفسير ، ولكن هذا ليس في رواية الخلق الموجودة في التوراة .

وقيل: إن الله خلق السماء من أجزاء مظلمة ، والظلمة هي الأساس لاختلاف أحوال الناظرين ، وهي عبارة عن عدم النور ، فالله قبل أن يخلق السماوات والأرض كانت مظلمة عديمة النور ، وبخلق السماوات والأرض والشمس والقمر وأحدث صفة الضوء صارت مستنيرة فثبت أن تلك الأجزاء متفرقة غير متواصلة تحجب النور[2]. وقيل : إن المراد بالدخان شيئا مظلما، وهذا موافق لما جاء في سفر التكوين" وعلى وجه الغمر ظلمة " وهذا بعيد عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم حين سئل: (يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء قال أحمد بن منيع قال يزيد بن هارون العماء أي ليس معه شيء إنه لم يكن إلا العماء والعماء سحاب رقيق)[3] والعماء سحاب رقيق أي رطوبة دقيقة وهو تقريب للعنصر الأصلي الذي خلق منه

---

[1] – انظر : أبو حيان ، **البحر المحيط** ، ج7 ، ص 486 .

[2] – انظر : الرازي ، **التفسير الكبير** ، ج17 ، ص104 .

[3] – أخرجه الترمذي 288/5 ، كتاب تفسير القرآن ، باب سورة هود ، رقم 3109 . ابن ماجه 64/1 ، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ، باب فيما أنكرت الجهمية ، رقم182. ضعفه الألباني

الموجودات ، فأصل السماء هو ذاك الكائن المعبر عنه بالدخان[1]. " وقيل هو أمر ظلماني عبر به عن مادتها أو عن الأجزاء المتصغرة التي ركبت هي منها أو دخان مرتفع من الماء ".[2] لكن ما معنى الدخان حسب اللغة؟ قيل هو : العثان ودخان النار معروف وجمعه أدخنة ودواخن ودواخين ، وقوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾[3] أي بجذب بَيِّن . وقيل : إن الجائع كان يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من شدة الجوع . بل قيل للجوع دخان ليبس الأرض في الجدب وارتفاع الغبار فشبه غبرتها بالدخان وربما وضعت العرب الدخان موضع الشر إذا علا ، فيقولون : كان بيننا أمر ارتفع له دخان ، ويوم دخنان أي سخنان ، وليلة دخنانة شديدة الحر والغم ، ودخن الغبار دخونا أي سطع وارتفع[4] .

" وقيل مادة على هيئة جسيمات صلبة وسائلة مجزأة على نحو دقيق ومعلقة في وسط غازي يتكون من جسيمات من الكربون التي ينتجها الوقود المحترق "[5].

فالقرآن يبين أن السماوات قبل خلقها كانت مثل الدخان وبذلك يشير إشارة إلى أن مادة السماء الأولى تشبه الدخان العادي في أهم صفاته فهي مفككة الأجزاء ومظلمة وخفيفة ومنتشرة في الفضاء الكوني ساخنة[6] .

---

[1] – انظر : ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج 24 ، ص 246 .

[2] – أبو السعود ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** ، ج8 ، ص5 .

3 – سورة الدخان : 10 .

[4]– انظر: ابن منظور ، **لسان العرب** ، ج13 ، ص 149 – 150 .

[5]– مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر ، **الموسوعة العربية العالمية** ، ط1 ، السعودية ، 1996 ، ج10 ، ص270 .

[6] – انظر: عبد العليم خضر ، **هندسة النظام الكوني في القرآن**، ط2 ، تهامة ، السعودية ، 1984 ، ص137 .

والدخان يدل على الحرارة المتوفرة في السديم بالمعنى الفلكي والقوام الغازي للسماوات والأرض وهذا من أهم صفات السديم ؛ وهو مصطلح يطلق على الضباب الرقيق والإخبار بأن السماء كانت دخانا قبل أن تتطور إلى ما تطورت إليه معجزة ثبت صحتها من الأرصاد الحديثة التي كشفت عن انتشار السدم في الكون على بعد مئات الألوف أو ملايين السنين الضوئية ، وهذه السدم أجرام سماوية سحابية الشكل بعضها معتم وبعضها مضيء ؛ بسبب ما يتخلله من نجوم[1].

وينقل عبد الهادي ناصر عن البروفسور يوشيدى كوزاني قوله : (إنه يقرر بصورة التقطها لنجم في السماء وهو يتكون قد بدا كتلة من الدخان في وسطها يكون الجزء المضيء من النجم ، وحوله دخان وتحيط بالدخان حافة حمراء دليل على ارتفاع درجة الحرارة) . وقد كان يعتقد أن السماوات كانت ضباباً ، والضباب خامد وبارد على عكس الدخان حار وفيه حركة، ومكوناته هي الكربون والأوكسجين وهذا الأخير من مكونات الماء ، فبالماء والكربون كانت الحياة ، فبالماء المنزل من السماء ، وبدخان السماء كانت الحياة على الأرض[2] . وليس كل الدخان تحول إلى نجوم وكواكب بل بقي جزء من ذلك مبعثرا على هيئة سحب في المجرَّات وبينها ، وتجر الكواكب والنجوم من ذلك الدخان بفعل الجاذبية فهي تقوم بعملية الكنس كنس السماء من الغبار والغاز العالق به وصدق الله القائل: { فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ}[3] فالجوار الكنس: هي الكواكب والأقمار التي تدور حول نفسها وحول غيرها وفي الوقت تكنس السماء مما علق بها من غاز وغبار[4] . ويرى بعضهم أن القرآن في هذه الآية لم

---

[1] – انظر : منصور محمد حسب النبي ، **الكون والإعجاز العلمي للقران** ، ص314 .

[2] – انظر : عبد الهادي ناصر ، **نظرات في الكون والقرآن** ، ص96 .

[3] – سورة التكوير : 15 – 16 .

[4] – انظر : مصطفى حسين ، **مع القرآن في الكون إعجاز وهداية** ، 1987 ، ص 12 – 13 .

يصرح بأنّ السماء كانت في بدء خلق الكون دخانا ، بل كانت خلال فترة من فترات تكوينها دخانا ، ولا تدل على أن أصل كينونة السماء هو الدخان. فالنشأة الأولى إذن ستظل إلى يوم الدين في علم الله وحده ، ولا يقر العلم شيئاً في هذا الشأن ، بل كل ما يقدمه هو مجرد نظريات واقتراحات لا تغني شيئا . وأوضحت الآيات بأنّ عملية الخلق بمشيئة الله عز وجل تختلف عن مفهوم الإنسان حسب قدرته وفكره لعمليات النشوء والخلق ، فليس من الضروري في التشريع الإلهي أن يخلق شيئاً من أصل مادة ما ، بل إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون ، وما أمره إلا واحدة كلمح البصر[1].

ويصف لنا القرآن الكريم خلق السماء بعمد غير مرئية ، قال تعالى {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا}[2] وقوله تعالى: {اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا}[3] جاءت هذه الآية استئنافاً للذين عادتهم الإعراض عن آيات الله تبين بأن الله هو خالق المخلوقات فلا يستحق غيره أن تثبت له الإلهية . فكان ادعاء الإلهية لغير الله هو العلة للإعراض عن آيات الله فهم كمن يزعم أن الأصنام مماثلة لله في أوصافه فلذلك تنتفي عنه الحكمة كما هي منفية عن الأصنام فموقع هذه الآية من الآيات موقع دليل الدليل[4] . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لها عمد ولكن لا ترونها ، والعمد التي لا نراها هي عمد القدرة . ويمكن أن تكون ترونها حال من السماوات فيكون المعنى لا عمد البتة[5]. وقيل كَوّنَ وسَوّى السماوات من أجزاها بعمد

رجا عرابي، **الكون والأرض والإنسان في القرآن العظي**، ط1، دار الخير، دمشق–بيروت، 1994، ص67.

[1] – انظر : حسن السيد أبو العينين ، **من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في ضوء الدراسات الجغرافية الفلكية والطبيعية** ، ط2 ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، 2005 ، ص112 – 113 .

[2]– سورة لقمان : 10 .

[3] – سورة الرعد : 2 .

[4] – انظر : ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج21 ، ص145 – 146 .

[5] – انظر : الطبري ، **جامع البيان في تفسير أي القرآن** ، ج 21 ، ص 38 .

لا ترى أصلا بطبيعتها فهي غير مادية ، وليس معناه أنها بعمد مادية مختفية عن الأنظار ؛ لأن هذا لا يوجد فيه إظهار لقدرته تعالى[1]. ويقال :إن هناك تجاذب بين أجزاء السماء بما يسمى بخطوط أو أقواس الجذب وهي : تعمل عمل الأعمدة في البنيان ، وحيث العمد العادية تؤثر أثرها ، وتحمل أحمالها بإرساء قوى تتساوى وتتضاد مع ضغوط الأبنية عليها ، وهذا ما يحصل بالضبط بين الكواكب المتجاذبة فكل كوكب يجذب الأخر بقانون الجاذبية . فتوجد أعمدة جذب تمسك مراكز ثقل الكواكب والنجوم لكي تظل وكأنها مقامة فوق عمد لا ترى[2] . ويثبت العلم الحديث وجود قوة مستترة في اللبنات الأولية للمادة ، وفي كل من الذرات والجزئيات في كافة أجرام السماء تحكم بناء السماء وتمسك أطرافة هي : قوة الجاذبية وهي تعتبر على المدى القصير أضعف القوى وعلى المدى الطويل تصبح القوى العظمى في الكون لكونها تمسك بكافة أجرام السماء ومختلف التجمعات ، ولولا ذلك لما كانت السماء ولما كانت الأرض . وترتبط الجاذبية بكتل الأجسام ومواقعها فكلما تقاربت الأجسام وزادت كتلتها كانت الجاذبية أكبر ، وبسبب دوران الأجرام حول نفسها تنشأ القوة النابذة المركزية التي تدفع بالأجرام الصغيرة بعيدة عن الأجرام الكبيرة حتى تتساوى القوتان المتضادتان[3] .وهذه القوة غير مرئية لنا ، وهذا معنى قوله تعالى: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا}[4] إلا أن العلم استطاع أن يرى القوى الرابطة بطريقة غير مباشرة من خلال المعادلات الحسابية وما تتركه من آثار في الأشياء[5] . هذا على اعتبار أن السماء بمعنى الفلك والمجرَّات فإنه يكون لها عمد

---

[1] – انظر : حنفي أحمد ، **التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن** ، ص242 .

[2] – انظر : سليمان عمر قوش ، **الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم** ، ط2 ،دار الثقافة والسياحة ، الدوحة ، 1995 ،ص127

[3] – www. Afkaar.com .

[4] – سورة القمان : 10 .

[5] – انظر : عدنان الشريف ، **من علم الفلك القرآني الثوابت العلمية في القرآن** ، ص29.

غير مرئية . أما إذا كانت بمعنى البناء السماوي فقد رفعت قدرة الله البناء السماوي من غير عمد[1].

والسماء في حالة تغير وتبدل ، قال تعالى: { وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ }[2] المقصود بالسماء هنا هو الكون المحيط بنا . لقد كانت شبهة نفاة البعث قائمة على استحالة إعادة الأجسام بعد فنائها فأعقب ذلك بأن بين لهم خلق أعظم المخلوقات ولم تكن شيئا فإعادتها بالنسبة إليه أمر يسير . والأيد القوة أي بقوة لا يقدر عليها أحد[3]. " وقوله (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) أي قادرون من الوسع بمعنى الطاقة ، والموسع القادر على الإنفاق ، أو لموسعون السماء أو ما بينها وبين الأرض ، أو الرزق "[4]. وتشير هذه الآية إلى حقيقة البناء الكوني ، وهذا البناء منظم ومعقد ومحكم ، وفي السماء هندسة مبهرة ، فالسماء تحوي أعمدة وجسورا من المجرَّات وخيوطاً وكل خيط يتألف من آلاف المجرَّات ، ويمتد لمئات البلايين من السنين الضوئية ، ولا وجود للفراغ أبدا فالطاقة والمادة تملآن المكان كله[5]. والكون ذو بنية نسيجية ويطلق العلماء على مادة الكون مصطلح النسيج الكوني{ وَالسَّمَاء ذَاتِ الْحُبُكِ }[6] فالكون من الخارج نسيج رائع متماسك ومحبوك بدقة فائقة تتألف من الملايين من المجرَّات والغبار الكوني[7] . إن عملية ميلاد النجوم والمجرَّات في الكون مستمرة ، فالكون يجب أن يتمدد ويتسع ؛ والسبب أن الله أراد أن يكون خلق المادة مستمراً ،وهذا يدفع الكون إلى التمدد ؛ لأنّ

---

[1] – حسين يوسف العمري ، **بناء السماء والمادة المظلمة الباردة** ، ص200 .

[2] – سورة الذاريات : 47 .

[3] – انظر : ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج27 ، ص 15 – 16 .

[4] – أبو السعود ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** ، م4 ، ج8 ،ص143 .

[5] – www.kaheel7.com.

[6] – سورة الذاريات : 7 .

[7] – www.55a.net.

خلق المادة يؤدي إلى مط الفضاء مطا ، وهذا يؤدي إلى تباعد المجرَّات عن بعضها[1] . وحرف اللام (وإنا لموسعون) بمثابة التأكيد لهذا التوسع الكوني ، وكأنها إشارة إلى أنّ الاتساع يعمل ضد قوة التجاذب التي تجبر المجرَّات على التقارب[2].

وهناك خلط بين أنْ تكون الزيادة في حجم الفضاء متولدة عن تباعد أجزاء الكون نفسه وامتدادها في المكان حتى يصير الحيز الذي يشغله الكون أكبر مما كان عليه ، أو تكون الزيادة متولدة في المبنى نفسه . فالآية تدل على أنّ الزيادة في المبنى نفسه ، وهذا يعني خلقا مستمراً للمادة الكونية يوسع الفضاء ، ويزيد في المحتوى المادي للكون . فالمقصود أن المسافات بين المجرَّات تتزايد ، وهذا المقصود بتمدد الكون . فالذي يتوسع هو الفضاء بين النقاط جميعا دون استثناء[3] . وقيل إن الله يوسع السماء دون زيادة أو نقصان عليها فالتوسع في شيء يتم بتضخم هذا الشيء واتساعه ومباعدة أجزائه بعضها عن بعض دون إضافة أي شيء آخر إليه . وما زالت السماء في توسع دون إضافة عليها[4] . وهذا يخالف المكتشفات العلمية التي تتحدث عن تخلق مستمر للمادة .

يفهم من الآيات السابقة أن المادة التي تشكل منها الكون كانت مادة دخانية على شكل كتلة كروية الشكل ذات كثافة كبيرة جدا وحرارة مرتفعة ، بعد ذلك انشطرت هذه الكرة إلى عدة أجزاء مختلفة الحجم ، وأخذت هذه الأجزاء تدور حول نفسها ، وحول مركز الكرة

---

[1] – انظر : عبد العليم عبد الرحمن خضر، **الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن** ، ط1 ، الدار السعودية ، جدة ، 1985 ، ص 105 – 107 .

[2] – انظر : أسامة علي خضر ، **القرآن والكون من الانفجار العظيم إلى الانسحاق العظيم**، ط1 ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء – اليمن ، 2004 ، 744.

[3] – www.cosmokalam .com

[4] – انظر: عبدو محمد خير الأحمر، **الكون والنسبية بين القرآن والنظرية**، مكتبة الأسد، دمشق، 1994، ص79 .

الأصلية وبنفس الوقت أخذت هذه الكتل تتباعد عن بعضها البعض وبسرعات مختلفة إلى كافة الاتجاهات[1].

خلق الإنسان

أما فيما يتعلق بخلق الإنسان فقد ورد في القرآن آيات تتحدث عن خلق آدم عليه السلام منها : – أنه خلق من طين ، وفي أخرى من طين لازب ، وفي أخرى من صلصال . والحقيقة أن آدم عليه السلام خلق من كل هذه الأشياء على النحو الآتي : –

الأولى من التراب قال تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ }[2] . والمرحلة الثانية دمج التراب بالماء فأصبح طينا قال تعالى: {{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ }[3] ثم تأتي مرحلة الطين اللازب فقد دمج التراب مع الماء فأصبح طينا فترك حتى جف فأصبح طيناً لازباً متماسك ، قال تعالى: {فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ }[4] المراحل السابقة مجتمعة أدت إلى مرحلة الصلصال ، ويترك الصلصال فترة حتى يتغير بسبب عوامل التعرية فتتغير رائحته ولونه قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ }[5] والصلصال من حمأ مسنون حصل به تجويف فأصبح صلصالاً كالفخار قال تعالى: {خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ }[6] ثم تأتي مرحلة عظيمة في خلق الإنسان وهي نفخ الروح في

---

[1] – انظر: محمود مصطفى ، **الجيولوجيا من درب الإيمان**، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1995، ص66–67.

[2]– سورة آل عمران : 59 .

[3]– سورة الأنعام :2 .

[4]– سورة الصافات : 11 .

[5]– سورة الحجر : 26 .

[6]– سورة الرحمن : 14 .

آدم قال تعالى: { فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ }[1] نفخة واحدة وبعد هذه النفخة ينطلق الدم ويجري في العروق والقلب ينبض والعيون ترى[2] .

ووصف الله هذا المخلوق عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خلق الله آدم على صورته ، طوله ستون ذراعا ، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، فقال : السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه ورحمة الله ، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن)[3] يعني صورة من الصور التي خلقها الله وصورها قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ } [4] أي أن الله هو الذي صوره على هذه الصورة التي تعد أحسن صورة في المخلوقات[5]. كما أن الهاء في قوله " صورته" عائدة إلى آدم عليه السلام وليس إلى الله . وبالتالي فالحديث ينفي نظرية التطور التي تقول: بأن أصل الإنسان يعود إلى فصيلة القرود حتى تطور إلى هذا الشكل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا

---

[1] – سورة الحجر : 29 .

2 – انظر: محمد فياض ، **إعجاز القرآن في بيان خلق الإنسان** ،ط1، دار الشروق ،القاهرة ، 1999 ،ص37.

3 – أخرجه البخاري 2299/5 ، كتاب الاستئذان ، باب بدء السلام ، رقم 5873 . ومسلم 2183/4 ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير ، رقم 2841 .

4 – سورة الأعراف : 11 .

[5] – انظر: محمد العثيمين ومحمد هراس وأخرون ، **شرح العقيدة الواسطية** ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، بلا سنة ، ص 70 .

بالنساء)[1] حواء عليها السلام لم تخلق من تراب ، بل خلقت من آدم عليه السلام وسميت بذلك ؛ لأنها من الحياة . وقيل : حواء من الاحتواء ، فهي التي تحتوي آدم حتى يصبح قادرا على عمارة الأرض . وقيل: من الحياة فالمرأة لا تستطيع القيام بدورها كأنثى إلا بهذا الحياء ، فهي وسيلة لعمارة الأرض عن طريق عمارة آدم . فكل من آدم وحواء خلق من الشيء الذي سيتعامل معه ، فآدم خلق من الأرض ؛ لأنه سيتعامل مع الأرض مزارعاً وصانعاً وغير ذلك، وحواء خلقت من ضلع آدم لأنها ستتعامل مع آدم[2] .

فما جاء من خلق آدم وحواء في التوراة في أصولها السماوية قبل التحريف يؤكده ما جاء في القرآن الكريم عن خلق آدم عليه السلام .

---

[1] – أخرجه البخاري 2299/5 ، كتاب الاستئذان ، باب بدء السلام ، رقم 5873 . ومسلم 4/ 2183 ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير ، رقم 2841 .

[2] – عمرو خالد ، **إني جاعل في الأرض خليفة** ، ط1، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، 2006 ، ص 46 – 48 .

المطلب الثاني

السماء والأرض في القرآن

السماء في اللغة سقف كل شيء وكل بيت . والسماوات السبع أطباق الأرضيين ، والسماء لكل ما ارتفع وعلا قد سما يسمو ، وكل سقف فهو سماء ؛ لذلك قيل للسحاب السماء لأنها عالية . والسماء كل ما علاك فأظلك . وقيل : السماء التي تظل الأرض أنثى لأنها جمع سماوة . وقال الجوهري : السماء تذكر وتؤنث وقوله: (ثم استوى إلى السماء) لفظه الواحد ومعناه معنى الجمع والدليل قوله فسواهن . وقد يراد بالسماء المطر لأنه ينزل من السماء[1].

ذكر القرآن السماء بصيغة المفرد في مواضع كثيرة ، فقد ذكرت مائة وعشرين مرة، في حين جاءت كلمة السماوات بصيغة الجمع مائة وتسعين مرة[2] . والعدد سبعة ورد سبع مرات مضافا إلى السماوات ومرة بمعنى السماوات المضمرة ، ومرة مع الطرائق التي هي فوقنا[3] . وقيل : إن عدد السماوات حقيقي وليس مجازيا فلقد دعانا تعالى مرارا وتكرارا إلى التفكر في السماء والأرض فلا بد أن يكون موضوع هذه الآيات شيئا حقيقيا لا مجازيا فوصفه السماوات بأنها سبع هي فعلا سبعة وليس المقصود الكثرة فلا يمكن أن يدعونا إلى التفكر في أشياء لا يمكن إدراكها ومعرفتها وهي حقائق راسخة لا تذكر على سبيل المجاز[4].

---

[1] – انظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، ج14 ، ص398 – 399 .

[2] – www.cosmokalam.com and www. Afkaar. com .

[3] – انظر : موريس بوكاي ، **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث** ، ص172 .

[4] – انظر : داود سليمان السعدي ، **أسرار الكون في القرآن الكريم**، ط1 ، دار الحرف العربي ، بيروت – لبنان ، 1996 ، ص24 – 25 .

ماذا يعني ورود هذا اللفظ في القرآن الكريم ؟

ذكرت السماوات السبع بهذا اللفظ في سبع آيات ، وذكرت دون العدد سبعة مقرونة بالأرض في سبع آيات وأنّه تم الخلق في ستة أيام وهي نفس فترة خلق السماوات السبع والأرض نفسها فيكون لها نفس المدلول[1].

{أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا}[2] هذا يوحي بالتشابه بين السماء والأرض ويقربها من بعضها البعض ، وأنها أفراد لمجموعة واحدة خلقت معا ، والواو تدل على التشابه بين المعطوف والمعطوف عليه من غير تماثل[3]. في اللحظة التي تلت الانفجار بدأ أيضاً خلق الأرض بمعنى جهة السفل أي الأرضين السبع أي الاتجاه نحو مركز الكون ، وجهة العلو الاتجاه نحو السماء . فالسماوات والأرض كانتا رتقا في بداية خلقهما ، ثم فتقت السماء الدخانية في مستويات مختلفة للطاقة لتشكل أصلا لخلق طبقات البناء السماوي ، كما أن الأرض فتقت سبعا. والخلق للأرض هو إيجاد للمادة الأولية في الأرضين السبع عندما كانت الأرض رتقا وهذه المادة ضرورية لمراحل الخلق التي جاءت متأخرة وفي حالة الرتق لم يكن الماء أو الزرع أو الإنسان مخلوقا بعد بل إن مجرتنا ومجموعتنا الشمسية لم يكن شيء منها مخلوقا آنذاك[4] .

قوله تعالى:{ إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ

---

[1] – انظر : داود سليمان ، **أسرار الكون في القرآن** ، ص32 – 33 .

[2] – سورة الأنبياء : 30 .

[3] – داود سليمان ، **أسرار الكون في القرآن** ،

[4] – حسين يوسف العمري ، " خلق الكون بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية " ، **مؤتة للبحوث والدراسات** ، المجلد 19، العدد 4 ، الكرك ، 2004 ، ص 18 .

وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِين َ}[1] ابتدأت الآية بذكر السماوات السبع والأرضين السبع ثم ذكر النجوم والشمس وهذا دليل على أن هذه الأجزاء ليست من السماوات السبع والأرضين السبع .

وقوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُور }[2] أي على شكل طبقات بعضها فوق بعض . والطباق المطابقة والتوافق وطابق بين الشيئيين جعلهما على مثال أو حذو واحد . وهذا يعطي السماوات معنى أنها يقع بعضها فوق بعض[3].

وجاءت السماوات السبع بعدة أوصاف قال تعالى : {وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ }[4] فهي سماوات سبع طباق مسوَّاة ومزينة . والطرائق هي الطبقات بعضها فوق بعض ، أو وراء بعض ، وهو بناء قوي متماسك ؛ لخلوه من الفطور والشقوق ، قال تعالى : {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ }[5] أي واحدة فوق واحدة وهي سبع طبقات مسوَّاة . فهي سبع سماوات مستويات متماسكات وبناء مزين ومتماسك . ويصف القرآن السماء بأن لها أبواباً ، قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ } [6] فتبين الآية أن أبواب السماء لا تفتح لأرواح الكافرين ولا أعمالهم . وعلى هذا فالسماوات السبع والعلى هي البناء السماوي الذي يشكل جزءً كبيراً من المادة المظلمة الباردة ، وهي ضرورية لتماسك النجوم ، واجتماعها داخل

---

[1] – سورة الأعراف : 54 .

[2] – سورة الملك : 3 .

[3] – داود سليمان ، **أسرار الكون** ، ص133 .

[4] – سورة المؤمنون : 17 .

[5] – سورة الملك : 3 .

[6] – سورة الأعراف : 40 .

المجرة الواحدة ، وضرورية لاجتماع المجرَّات ضمن العنقود المجري ، ولكن علماء الفلك لم يهتدوا لوجوده بعد ، ولن تتم الرؤية البصرية للبناء السماوي الطبقي والمسوَّى والمصقول ، بدليل قوله تعالى : { الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ}[1] فغياب التفاوت والفطور وتمام التسوية جعل من بناء السماء جرماً هائلاً ضخماً أملساً ومتجانساً ، ولعل هذا البناء هو مصدر إشعاع الخلفية الكوني المتجانس والمتماثل فتردد إشعاع الخلفية يعكس انخفاض درجة حرارة بناء السماء ، وبالتالي يشير إلى انعدام إمكان الرؤية البصرية للبناء[2] .

وجاء في الكتاب الكريم قوله تعالى:{ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ }[3] والدنيا معناها الأقرب فهي السماء الأقرب إلينا . وكل ما وصف بالزينة في القرآن الكريم فهو مرئي لنا قطعاً بحكم العقل[4]. والزينة هي الكواكب فالسماء الدنيا المقصود بها المنظومة الشمسية ، بدليل قوله تعالى " بزينة الكواكب " فالكواكب لا ترى بالعين المجردة إلا لمراقب داخل المجموعة الشمسية[5] . وقيل : إن السماء الدنيا هي سماء الأرض وغلافها الجوي الأرضي ، ففيها يحدث البرق وتتكون السحب دون أن تكون الزينة جزءا من هذه السماء[6] .

---

[1] – سورة الملك : 3 – 4 .

[2] – حسين يوسف العمري، "بناء السماء والمادة المظلمة الباردة "، **مؤتة للبحوث والدراسات**، المجلد 17، العدد 6، الكرك ، 2002 ص 192 – 194 .

[3] – سورة الصافات : 6 .

[4] – انظر : داود سليمان ، **أسرار الكون في القرآن** ، ص 133.

[5] – حسين يوسف العمري ، خلق الكون في القرآن ، ص 7 .

[6] – انظر : طلال غزال ، قصة الخلق من التكوين إلى التكوير ، ص63.

وكذلك قوله تعالى: {وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ }[1] السماء هنا هي الكون المحيط بنا[2].

وعلى هذا نجد للسماء في القرآن عدة معان هي : –

أولاً – تأتي السماء بمعنى العلو ، قال تعالى : {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء }[3] أي في العلياء[4].

ثانياً – الغلاف الجوي للأرض ، كما في قوله تعالى : { أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون }[5] فالسماء هنا بمعنى الغلاف الجوي للأرض[6].

ثالثاً – السماء بمعنى مجرَّات الأرض العليا القريبة من البناء السماوي الأول المزينة، قال تعالى : { وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ

---

[1] – سورة الذاريات : 47 .

[2] – انظر: سيد وقار احمد حسيني ، **القرآن الكريم للعلوم الفلكية**، ترجمة زكريا زيتوني ، فصلت ، حلب ، 1999 ،ص 61.

[3] – سورة إبراهيم : 23 .

[4]– انظر : نزيه القميحا ، **القرآن يتجلى في عصر العلم** ، تحقيق السيد نزار فضل الله ، ط1 ، دار الهادي ، بيروت ، 1997 ، ص71 .

[5] – سورة النحل : 79 .

[6] – حسين يوسف العمري ، **خلق الكون في القرآن** ، قيد النشر ، ص7.

السَّعِير }[1] ولعل في هذه الآية إشارة إلى أن مجرَّات باقي الأرضين أقل لمعانا من مجرَّات الأرض العليا المحاذية للبناء السماوي الأول[2].

رابعاً – المجموعة الشمسية أي الكواكب السيارة حول الشمس ، كقوله : {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ }[3] فالكواكب لا ترى بالعين المجردة إلا لمراقب داخل المجموعة الشمسية . وكذلك قوله تعالى : {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً }[4] فالمجموعة الشمسية تحوي الشمس سراجا والقمر . ويمكننا من داخل المجموعة الشمسية أن نرى البروج[5].

خامساً – قد يرمز إلى السماء على أنها مصدر الرحمة ، قال تعالى :{ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُون}[6]. أو بمعنى السحاب ، قال تعالى : { أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ} [7] أي كمطر من السحاب

---

[1] – سورة الملك : 5 .

[2] – حسين يوسف العمري ، " الأرضون السبع لغز المادة المظلمة وبوابة تكميم الكون " ، **مجلة كلية المعارف** ، العدد 6 ، 2004 ، ص30 .

[3] – سورة الصافات : 6 .

[4] – سورة الفرقان : 61 .

[5] – حسين يوسف العمري ، **خلق الكون في القرآن** ، قيد النشر ، ص7

[6] – سورة الأعراف : 96 .

[7] – سورة البقرة : 19 .

. وتأتي بمعنى المطر ، قال تعالى: {يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً }[1] فالمقصود بالسماء هنا المطر . وجاءت في آيات كثيرة للدلالة على أنها مصدر العذاب[2] .

سادسا – تأتي السماء بمعنى البناء ، كما في قوله تعالى : { الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ }[3] فلفظ السماء الأول بمعنى البناء والثاني بمعنى الغيم . وقد يأتي لفظ السماء بأكثر من معنى حسب وروده في الآية[4].

سابعا – جاءت السماوات السبع ولفظ السماوات العلى والطرائق بمعنى المادة الكونية المظلمة الباردة التي تساعد على تماسك المجرات[5] .

أما عن قوله تعالى :{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ}[6] فالقرآن الكريم كتاب معجز بكل ما فيه ، وإعجازه لكل زمان ومكان ، وربما كانت هذه الآية هي معجزة للأجيال القادمة . فهناك آيات تشير إلى أن ثمة أحياء في الكواكب الأخرى يسبحون بحمده لقوله تعالى :{وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ }[7] فقد استخدم لفظ مَنْ الذي يستخدم للعاقل للتأكيد على عقلانية بعض هذه المخلوقات . فهي سبع أراض غير قاحلة

---

[1] – سورة نوح : 11 .

2 – انظر: احمد الحوفي ، **معاني السماء والأرض في الكون**، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة، بلا سنة، ص 15 – 16 .

[3] – سورة البقرة : 22 .

4– حسين يوسف العمري ، **خلق الكون في القرآن** ، قيد النشر .

[5] – حسين يوسف العمري ، " **بناء السماء والمادة المظلمة الباردة** " ، ص199 .

[6] – سورة الطلاق: 12 .

[7] – سورة الروم: 26

وتعج بالحياة وقد تكون أكثر فليس هناك ما يمنع[1] . فلا يستبعد العلم الحديث وجود حياة على كوكب غير الأرض، وإلا لماذا كان خلق هذا العدد الكبير من المجرَّات التي تقدر بمئات الألوف من الملايين بل هي أكثر ؟ فهذا العدد الهائل من المجرات لم يخلق عبثاً ، فالله تعالى منزه عن العبث .

يرى جمهور المفسرين أن معنى ذلك أنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض ، بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والسماء . وينقل الباحث عن عبد الملك السعدي أستاذ الشريعة في جامعة مؤتة أن " أل " في كلمة الأرض جنسية وإذا دخلت على النكرة أريد بها الجنس لا الإفراد حتى لو كانت الكلمة الداخلة عليها جمعا ، فالمراد جنس الأرض بغض النظر عن أفرادها المتعددة . وجاءت الأرض بصيغة الجمع في العديد من الأحاديث منها : –

عن عبد الله بن عمر أنه قال- : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟[2] .

قال النبي صلى الله عليه وسلم (من أخذ من الأرض شيئا بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين)[3] المقصود في الحكم العام هو ذكر الأرضين ، والعدد سبعة

---

[1] – انظر : مصطفى حسين ، **مع القرآن في الكون إعجاز وهداية** ، ص 39 .

[2] – أخرجه مسلم 2148/4 كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، رقم 2788 ، وأبو داود 647/2 كتاب السنة ، باب الرد على الجهمية ، رقم 4732 ، ابن ماجه 1 / 71 كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ، باب فيما انكرت الجهمية ، رقم 198 .

[3] – أخرجه البخاري 2 / 866 كتاب المظالم ، باب إثم من ظلم شيئا من الأرض ، رقم 2322 .

كالوصف لها فعاقبة أخذ الأرض بغير وجه حق هو الخسف بمغتصبها يوم القيامة إلى سبع أرضين .

فالأرضين سبع طباق وهن فتق وتوجد مسافة تفصل بين كل أرض والأرض التي تليها قال تعالى :{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ} فالمثلية من حيث أنهن سبع وطباق . والسماء الدنيا تحيط بجميع الأرضين وكذلك بالأرض السفلى . والكرة الأرضية تقع في الأرض العليا أي القريبة من بناء السماء الدنيا وبين السماء الدنيا والأرض مسيرة خمسمائة عام ، قال تعالى : {وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ }[1] قال ارتفاعها كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة [2]. فالأرض العليا التي تتواجد عليها مجرتنا ، بل وعناقيد عديدة هي الأقرب إلى البناء السماوي . فالأرضين السبع تختلف تماما عن كرتنا الأرضية . ولعلها سبع مستويات كروية متحدة المركز تتوزع عليها مجرَّات الكون طرائقيا كما هي الحال في طبقية البناء السماوي الطرائقي . والأرض السفلى هي الأقرب إلى مركز الكون ، والأرض العليا هي التي يوجد فيها مجرة الدرب اللبنية ، وفي كل أرض أعداد هائلة من المجرَّات والعناقيد ، ومجرَّات الأرض العليا هي الأقرب إلى البناء السماوي ، وهي مزينة ، بدليل قوله تعالى : (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ }[3] ولعل هذا إشارة إلى أن مجرَّات باقي الأرضين أقل لمعانا من مجرَّات الأرض العليا المحاذية للبناء السماوي الأول . وعلى هذا فالأرضين تحتوي على جزء لا بأس به من المادة الكونية المعتمة ، فتكون بمعنى الأرضية التي تتشكل عليها المجرَّات . فتشكل جزءً كبيراً من المادة المظلمة التي تساعد على تماسك المجرَّات والكون . ولعل السبب في جمع السماوات وإفراد الأرض

---

1 – سورة الواقعة : 34 .

2 – الطبري ، جامع البيان ، ج27 ، ص185 .

3 – سورة الملك : 5 .

هو الخفة على اللسان، فكل كلمة في القرآن في غاية الفصاحة والحسن والعذوبة ، فجمع الأرض ثقيل ، وهو مخالف للقياس[1] .

[1] – حسين يوسف العمري ، **الأرضون السبع لغز المادة المظلمة وبوابة تكميم** ، ص 19 – 32 .

المطلب الثالث

مدة خلق السماوات والأرض

هل تم خلق السماء دفعة واحدة أم خضع هذا الخلق لقانون النشوء والارتقاء ؟

القارئ لقوله تعالى :{ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ}[1] يذهب ظنه إلى أن الله خلق كل شيء خلقا واحداً ، ولا يذهب إلى أن هذا الكون قد تدرج في الخلق من طور إلى طور. فالله راعى عقل الإنسان ، وخاطبه في تلك الفترة بإيجاز؛ لأنه حتى يصدر أحكام سديدة يجب أن تتوفر لديه معلومات عن الموضوع ؛ لذلك جاءت الآيات توحي بأن الكون قد خلق دفعة واحدة ، ولكن الإمعان في هذه الآيات يتجه إلى الاعتقاد بكون هذا الكون قد خلق عن طريق تطور طويل ، فالله حين تقتضي مشيئته خلق شيء ما يخلقه في منتهى الدقة والخفاء ثم يتبع ذلك لقانون النشوء والارتقاء حتى يصل إلى الغاية المقصودة . والمقصود بالنشوء والارتقاء : أن الله خلق كل مخلوق من هذه المخلوقات حين تتأتى الأحوال البيئية لولادته[2].

وردت مدة خلق السماوات والأرض في سبع آيات مجملة وفي آية واحدة ذكرت مدة الخلق مفصلة هي كالتالي :

أولا – سورة الأعراف : 54 { إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } لما ذكر تعالى أشياء من مبدأ خلق الإنسان

---

[1] – سورة البقرة : 117 .

[2] – انظر : سليم الجابي ، **النظرية القرآنية الكونية حول خلق العالم** ، ص 81 – 110 .

وانقسامهم إلى مؤمن وكافر ، وذكر معادهم وحشرهم ، ذكر بعد ذلك مبدأ العالم واختراعه والتنبيه على الدلائل الدالة على التوحيد ، وكمال القدرة والعلم والقضاء ، ثم إلى النبوة والرسالة إذ مدار الآيات على مسائل التوحيد والقدرة والمعاد والنبوة[1] . يذكر تعالى أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، والأيام هي : الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة . والحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال : (أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال: خلق الله عز وجل التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء و، بث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل)[2] . فقد جعل العلماء هذا الحديث من رواته أبي هريرة عن كعب الأحبار ليس مرفوعا ؛ لأن الحديث استوعب أيام الأسبوع كاملة وهذا يناقض صريح الآية[3] . والصحيح أنه لا تعارض بين الحديث والآيات القرآنية . فالقران أخبر أن خلق السماوات والأرض كان في ستة أيام ، وهذا الحديث تعرض لذكر خلق ما على الأرض من تربة وجبال وغير ذلك فهو لا يتحدث عن خلق السماوات والأرض . فالحديث تحدث عن مرحلة من مراحل تطور الخلق على وجه الأرض حتى صارت صالحة للسكنى[4] . والأيام هي من أيام الدنيا أي بقدرها؛ لأنه لم يكن موجوداً شمس ولا قمر ولو شاء خلقهن في لمح البصر، لكن كي يعلم خلقه التريث . أو كي

---

[1] – انظر : الرازي ، **التفسير الكبير** ، ج14 ، ص99.

[2] – أخرجه مسلم 2149/4 ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام ، رقم 2789، والنسائي 293/6 ، كتاب التفسير ، باب سورة البقرة ، رقم 11010 . قال شعيب الأرنؤوط الأصح أن الحديث موقوف على كعب الأحبار وليس من قول النبي عليه افضل السلام .

[3] – انظر : ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج2 ، ص220 .

[4] – www.ejabh.com

يظهر قدرته للملائكة شيئا بعد شيء عند من يقول بخلق الملائكة قبل خلق السماوات والأرض ، ولأن لكل شيء عنده أجلا[1] . أو أن الله تعالى قد ذكر في أول التوراة أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، والعرب قد سمعوا ذلك من اليهود لمخالطتهم إياهم ، فكأنه سبحانه يقول لا تشتغلوا بعبادة الأوثان والأصنام فإن ربكم هو الذي سمعتم من عقلاء الناس أنه هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام . وقيل إن الخلق لو وقع دفعة واحدة فقد يخطر بالبال إنه وقع على سبيل الاتفاق ، وإذا حدث على التعاقب مع كونه موافق للمصلحة والحكمة كان ذلك أقوى في الدلالة على كونها واقعة بإحداث محدث قديم حكيم[2]. وفي هذا يلتقي النص القرآني مع النص التوراتي في خلق الأيام قبل خلق مصدرها وتقسيم مراحل الخلق على ستة أيام والانتهاء من الخلق بالاستواء على العرش مع تنزيهه عن مشابهة المخلوقات .

ثانيا – سورة يونس: 3 قال تعالى :{إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ} جاءت هذه الآية لأن المشركين لم ينكروا وجود إله للسماوات والأرض بل كانوا يشركون غيره بالعبادة ليقربوهم إلى الله ، والقرآن يلمس الفطرة ، وخلق السماوات والأرض أمر يلمس بالحس فالذي خلق هذا هو الذي يجب أن يكون ربا تدين له البشرية بالعبودية ولا يشركون به شيئا . ويبين لنا أن الأيام الستة ليست هنا نتيجة لتحديد مداها ونوعها ، وإنما ذكرت لبيان حكمة التقدير والتدبير في الخلق حسب مقتضيات الغاية من هذا الخلق وتهيئته

---

[1] – انظر : محمد بن احمد القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج 7 ، ص229 .

[2] – انظر : الرازي ، **التفسير الكبير** ، ج14 ، ص99 .

لبلوغ هذه الآية ، وعلى ذلك فالأيام غيب من غيب الله لا سبيل إلى معرفتها وإدراكها إلّا من خلال الوحي الإلهي[1].

ثالثا – سورة هود : 7 قال تعالى : {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ} جاءت لتبين أسبقية خلق الماء و العرش على خلق السماوات السبع والأرضين السبع . فلما أثبت سبحانه بالدليل كونه عالما بالمعلومات أثبت بهذا الدليل كونه قادرا على كل المقدورات ، وكل واحد من هذين الدليلين يدل على كمال علم الله وعلى كمال قدرته .[2] وهذا يتفق مع النص التوراتي الذي يبين وجود الماء قبل خلق السماوات والأرض .

رابعا – سورة الفرقان: 59 قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً } لما أمر الرسول عليه السلام بأن يتوكل عليه وصف نفسه بأمور منها : أنه حي لا يموت ، وعالم بجميع المعلومات ، وقادر على كل شيء وهو المراد من قوله : (الذي خلق السماوات والأرض) ، وإقامة الدليل بأن الله هو خالق السماوات والأرض ، فالذي خلق متصل بقوله تعالى: (الحي الذي لا يموت) لأنه سبحانه لما كان هو الخالق للسماوات والأرض ولكل ما بينهما ثبت أنه القادر على جميع المنافع ودفع المضار وحينئذ لا يجوز التوكل إلا عليه[3].

---

[1] – انظر : سيد قطب ، **في ظلال القرآن** ، دار الشروق ، بيروت ، 1973 ، م3 ، ج11 ، 1761 – 1761 .

[2] – انظر : الرازي ، **التفسير الكبير** ، ج17 ، ص187 .

[3] – الرازي ، **التفسير الكبير** ، ج24 ، ص103 .

خامسا – سورة السجدة : 4 قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } لما كان الركن الأعظم من أركان القرآن إثبات الوحدانية وإبطال الشريك ، عقب ذلك بالثناء على الكتاب بإثبات هذا الركن ، ونفي الولاية والشفاعة عن غير الله[1].

سادسا – سورة ق: 38 قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ } جاءت هذه الآية لتثبت خلق الله للسماوات والأرض ردا على ادعاء اليهود أن الله استراح من الخلق في يوم السبت ، فجاء القرآن بلفظ ينزه الخالق عن التعب وهو الاستواء.

عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السماوات والأرض فقال : خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين ، وخلق الله الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع ، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة فقال عز و جل : (أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين) وخلق يوم الخميس السماء ، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه فخلق في أول ساعة من هذه الثلاث الساعات الآجال حين يموت من مات و في الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس و في الثالثة آدم أسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له و أخرجه منها في آخر ساعة ثم قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد ؟ قال : ثم استوى على العرش قالوا : قد أصبت لو أتممت ، قالوا ثم استراح قال : فغضب النبي صلى الله عليه و سلم غضبا شديدا فنزلت : { ولقد خلقنا السماوات

[1] – انظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج12 ،ص211 .

والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب * فاصبر على ما يقولون}[1]. فقد نسبوا إلى الله الإعياء والتعب في توراتهم فشبهوه بالبشر .

سابعا – سورة الحديد : 4 {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }" جاءت للاستدلال على انفراده بالالهية ليقلعوا عن الإشراك به"[2] .

معنى اليوم

اليوم يعبر به عن الفترة الزمنية من طلوع الشمس إلى غروبها ، ويعبر به عن الشدة أو مدة من الزمان أيا كان طولها .

جاء لفظ اليوم في القرآن بعدة معان هي :

أولاً – النهار " من طلوع الفجر إلى غروب الشمس " لقوله تعالى : { فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَج }[3].

ثانياً – اليوم الأرضي المطلق : أي فترة دوران الأرض حول محورها في أربع وعشرين ساعة {وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْه }[4].

---

[1] –أخرجه النسائي 427/6 ، كتاب التفسير ، سورة السجدة ، رقم 11392 . قال الحاكم في هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه

[2] – ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج27 ، ص 363 – 364 .

[3] – سورة البقرة : 196 .

[4] – سورة البقرة : 203.

ثالثاً – جاء في معنى يوم محدد من أيام الأسبوع{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ }[1].

رابعاً – يوم محدد من أيام السنة {يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ }[2].

خامساً – يوم من أيام الله { يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّون }[3].

سادساً – مرحلة أو طور أو حدث كوني كما في أيام الخلق الستة {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ }[4]. فاليوم هنا بمعنى مدة طويلة وليست محددة[5].

ونلاحظ في أيام خلق السماوات والأرض غياب المرجع الذي يقاس إليه اليوم (في ستة أيام) ، فهو ليس يوم أهل الأرض لعدم قوله (مما تعدون) ، ولا ما جاء في قوله: (في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) لذلك المرجح صرف اليوم إلى مراحل أو أطواراً تم خلالها خلق السماوات والأرض[6]. كما أن القرآن الكريم يؤكد على حقيقة نسبية الزمن.

أما الآيات التي جاءت تفصل أيام الخلق في قوله تعالى:{ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا

---

[1] – سورة الجمعة : 9 .

[2] – سورة آل عمران: 155 .

[3] – سورة السجدة : 5 .

[4] – سورة ق : 38 .

[5] – www .afkaar .com .

[6] – انظر : محمد باسل الطائي ، **خلق الكون بين العلم والإيمان** ، ط1، دار النفائس ، بيروت – لبنان ، 1998 ، ص 161 – 162 .

وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ }[1] جاءت هذه الآية لتنفي الشراكة بين الله تعالى وبين الأصنام بأنْ بيّنَ لهم كمال قدرته وحكمته في خلق السماوات والأرض في مدة قليلة ، وتبين أن الأيام متساوية غير مختلفة قي المقادير[2] ، وبين أنه خلق الأرضين السبع في مقدار يومين ، وجعل فيها الرواسي وأكثر خيرها وأرزاق ساكنيها ومعايشهم في تمام أربعة أيام باليومين المتقدمين[3]. فليس فيها ترتيب لخلق السماوات والأرض .

قسمت الأيام الستة للخلق إلى ثلاث أقسام متساوية كل قسم يعادل يومين من أيام الخلق بالمفهوم النسبي هي كالتالي :

أولا – يومان لخلق الأرضين السبع من السماء الدخانية لقوله: (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما) وقوله تعالى: (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) .

ثانياً – يومان لخلق السماوات السبع (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ) وهذا يشير إلى الحالة الدخانية للسماء بعد الانفجار الكوني بيومين ، حيث بدأ تشكل السماوات فقضاهن سبع سماوات في يومين .

---

[1] – سورة فصلت 9 – 12

[2] – انظر : الرازي ، **التفسير الكبير** ، ج27 ، ص103 .

[3] – انظر : أبو حيان ، **البحر المحيط** ، ج7 ،ص486 .

ثالثاً – يومان لتدبير الأرضين السبع وتسخير الكرة الأرضية للإنسان (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا) واحلال البركة والأرزاق في الأرض[1].

وجعل الرواسي بمعنى الأرض متأخراً كثيراً عن خلق السماوات السبع والأرضين السبع، فالآية هنا تتحدث عن الأرض بمعنى الجهة السفلى ، وليس المقصود كرتنا الأرضية ، والمراد بالرواسي هنا المادة الكونية المظلمة التي بدأت تتشكل في الجزء العلوي من الأرضين السبع ، وهذه المادة هي أساس بناء الأرض العليا بعد فتق الأرض . والخلق في الآية بمعنى تقدير وقضاء الله أن يخلق كرة الأرض في يومين ، ولا يراد به التكوين والإيجاد . وقوله تعالى " في أربعة أيام " أي كل خلق الأرضين السبع وتقدير خلق كرتنا الأرضية ، وما يتبعه من إحلال البركة والأقوات كائن في تمام أربعة أيام باليومين المتقدمين كاملة مستوية لا زيادة فيها ولا نقصان . وجاء خلق المجرَّات والنجوم والشمس وكرتنا الأرضية متأخرا . وبعد خلق الشمس أخذت الكرة الأرضية شكلها ودحيت وجعلت مهاداً وقراراً لأهلها . وحديث التربة يبين أن المقصود بالرواسي هي المادة التي بدأت تتشكل وترسو بكميات كبيرة في الأجزاء العليا من الأرضين السبع . وكذلك الكشوفات العلمية التي تحدد عمر الكون بحوالي 15 مليار سنة ، وعمر الشمس بحوالي 5 مليار سنة ، وانقضى على تكون القشرة الأرضية حوالي 4،5 مليار سنة[2].

فدورتي خلق السماوات متداخلة مع دورتي الأرض . وقد جاءت آيات بذكر السماوات أولاً ، وآيات جاءت بذكر الأرض أولاً ، مما يجعل الإنسان يفكر بأنّ القرآن لا يحدد ترتيبا معينا في خلق السماوات والأرض ، ولا يوجد مقطع واحد يحدد ترتيباً معيناً إلا قوله تعالى

---

[1] – www . 55a . net.

[2] – حسين يوسف العمري ، خلق الكون بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية ، ص 20 – 25 .

في{ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ }[1] فهذا تعداد لنعم الله مساق بعبارة تناسب بدو الجزيرة العربية مسبوق بدعوة إلى التفكر في خلق السماء وذكر المرحلة التي بسط الله فيها الأرض وجعلها صالحة للحياة بعد أن تكون الليل والنهار . فهنا ذكر مجموعتين من الأحداث : أحدهما متعلق بالسماء ، والآخر يتعلق بالأرض ، وهي متتابعة في الزمن ، فيفرض وجود الأرضين السبع قبل أن تنبسط كرتنا الأرضية ، فوجودها قائم حين أقام الله السماء . ويستنتج معية التطور السماوي والأرضي مع تداخل بعض الأحداث[2]. وهذا يشبه التقديم والتأخير الذي جاء في قصة الخلق التوراتية .

---

[1] – سورة النازعات : 27 – 33

[2] – انظر : موريس بوكاي ، **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث** ، ص 170 .

المبحث الثالث

نشأة الكون حسب تصور العلم الحديث

المطلب الأول

نشأة الكون في الفكر الإنساني القديم

الإنسان البدائي افترش الأرض، والتحف السماء في أكثر أيامه، واستغرقت نظرته في السماء في الليل والنهار معظم أوقاته، ولا يفهم ما يراه وكلما نضج عقله ازدادت اهتماماته بالكون الذي حوله، فجعل من بعض أجرام الكون آلهة يعبدها لكي تجلب له المطر أو تصد الكوارث الطبيعية ، وبالتالي أصبحت السماء شغله الشاغل واتسع خياله وازداد نضوجه ، واعتقد أن الأرض مركز الكون ، واعتبر السماء مسرحا تمثل النجوم الأبطال على خشبته ، واستخدم النجوم والأجرام السماوية كفنجان قهوة يقرأ فيه البخت والطالع ويقرر مستقبل الناس[1]. وهذا نوع من الشعوذة قد حرمها الإسلام.

لم يكن العرب أول من اهتم بعلم الفلك . فرسم البابليون عام 500 ق . م قبة السماء بشكل هندسي ، ووضعوا خريطة للكون بشكل دائرة تتوسطها السماء . ثم جاء اليوناني فون ساموخ فوضع الشمس مكان الأرض في خريطة الكون كمركز للعالم وقلبه . وجاء بعده هيبار خوس فصنع الآلات الدقيقة كالإسطرلاب[2].

لم يكن العرب في العصر الجاهلي يعرفون شيئا عن علم الفلك سوى المعلومات التي تتطلبها أمور حياتهم العادية من ضرورات مثل مراقبة تحركات الشمس والقمر لتحديد المواسم

---

[1] – انظر:علي الأمير، الكون العميق، **دار الشؤون الثقافية العامة** ، بغداد – العراق، 1986 ، ص12 .

[2] – انظر: الفانا مصطفى حمود ، **موسوعة الفلك** ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، 1994 .

والأعياد ، وتحديد مواعيد رحلات الصيف والشتاء ، واستخدام النجوم لهداية القوافل في الصحراء. وفي سنوات الإسلام الأولى كان جل اهتمام الخلفاء تثبيت دعائم الإسلام ، ونشره في الأفاق ، ففتحوا البلاد واختلطوا بغيرهم ودخلوا مدينة الإسكندرية التي كانت مزدهرة بالعلم والعلماء، ووجدوا جزءاً من كتبها التي أحرقت بسبب الاضطرابات السياسية ، وقاموا بنقلها إلى بلادهم ، وفي هذا رد على فرية اتهام العرب بحرق مكتبة الإسكندرية . والتقى العلماء المصاحبون للجيوش بكثير من علماء مصر ، وأخذوا عنهم كثيراً من العلوم والمعارف بشكل مباشر . وفي ظل حرية الإسلام ترجمت الكثير من الكتب التي حصل عليها العلماء المسلمون ، ودرسوا تلك الكتب دراسة مفصلة ، وصححوا الأخطاء وقدموا بعض الشروح المبسطة لها ، وكتبوا في موضوعات هذه الكتب وما يتصل بها من موضوعات ، وقدموا أفكاراَ جديدة في بعض هذه المجالات . فسبق علماء المسلمين علماء الغرب إلى بعض الآراء العلمية فتكلم بعضهم في الجاذبية قبل أن يفعل ذلك نيوتن ، وكتبوا عن انكسار الضوء قبل ديكارت[1]. وناقش الغزالي وابن رشد مسألة حجم العالم ، وإمكانية أن يكون أكبر أو أصغر مما هو عليه . فذهب الغزالي إلى مثل هذا ، ونفاها ابن رشد بحجة أن القول بعالم أكبر أو أصغر مما هو عليه سيعني إمكان وجود عظم لا نهاية له ، وهذا مستحيل عند أرسطو . ولأن حقيقة توسع الكون قد أصبحت اليوم حقيقة علمية ، فإن ما ذهب إليه الغزالي كان الأصوب . وكذلك ناقش الغزالي مقولة الحكيم جالينوس من أن الشمس جسم أثيري لا يعتريه الفساد والذبول والغزالي يجيز ذبول الشمس وفسادها مستندا إلى مبدأ أن الأجرام السماوية هي من جنس

---

[1] – انظر : أحمد مدحت إسلام ، **الكون في فكر الإنسان قديما وحديثا** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2001 ، ط1 ، ص 50 – 53 .

مكونات الأرض لا تختلف عنها بشيء ولا يمتنع عنده من فساد الشمس الاحتجاج بعدم رؤية حصول نقص من جرمها ؛ لأن النقص ضئيل بالقياس إلى جرمها الكلي[1].

اعتقد الفيلسوف اليوناني ديموكريتس (460 – 371 ق.م) أن الكون ممتد ولا نهائي وتتناثر فيه النجوم على هيئة دائرة كبرى تغلف الأرض في المركز وتدور حولها الشمس والكواكب الأخرى . والفيلسوف أرسطو(340 ق.م) اعتقد أن الكون في حالة ثبات أي كون استاتيكي لا يتحرك فيه شيء إلا إذا تأثر بقوة ما ثم يعود مرة أخرى إلى حالة الجمود . وفي عام 1543 أعلن الفلكي نيوكولاس كوبرنيكوس أن الأرض ليست مركز الكون وأنها تدور حول الشمس مع الكواكب الأخرى[2] .

في عام 1610 استطاع جاليليو رصد النجوم بتلسكوب صنعه بنفسه فكانت الضربة لما وصفه بطليموس عام(150 ق . م) باعتبار الأرض مركز الكون . أعلن كيبلر عام 1609 أن الكواكب تدور في مدارات حول الشمس وهناك قوة تجبر الكواكب على الدوران حولها، وجاء الدليل على ذلك عام 1687 عند اكتشفت قوى الجاذبية ووضع قوانين لها من قبل العالم إسحاق نيوتن ؛ فأي جسم سماوي يمكنه جذب الآخر بالجاذبية التي تزداد كلما ازدادت كتلة هذا الجسم ، وكلما قربت المسافة بينهما فالنجوم تجذب بعضها الآخر، ولا يمكن أن يكون الكون ساكنا بلا حراك[3].

---

[1] – انظر: محمد باسل الطائي ، التحقيق العلمي لتراث المتكلمين المسلمين ، بحث مقدم إلى مؤتمر تحقيق التراث ، جامعة آل البيت ، ص9 ،15 .

[2] – انظر: عامر علي غبرة، **نشأة الكون حتى عصر الفضاء**، دار معد، دمشق ، 1994، ط1، ص14.

[3] – انظر: جلال عبد الفتاح ، **موسوعة عالم الفضاء** ، المكتب العربي للمعارف ، القاهرة – مصر ، 1998 ، ط2 ، ص 47 .

أما فيما يتعلق بفكرة هل للكون بداية ؟ ظهرت مدرستان من الفكر : المدرسة الأولى : تعتقد أن الكون له بداية في الماضي القريب إلى حد كبير. وأهم الحقائق المستخدمة لفكرة بداية حديثة للكون : هو إدراك أن الجنس البشري ما زال على نحو واضح ناشئا في تطوره في الثقافة والتكنولوجيا فلا يمكن أن نكون قد عشنا في الكون زمنا طويلا ، فلو كان قد حدث ذلك لتقدمنا بالفعل لأكثر مما نحن عليه ، إما المدرسة الثانية : من أهم علمائها أرسطو فهم لا يميلون لفكرة أن الكون له بداية ، ويفضلون أن الكون موجود منذ الأبد ، فما هو أبدي يكون أكثر كمالا مما له بداية . ويجيبون عن مسالة التقدم البشري المذكورة أن وقوع الفيضانات الدورية وغيرها من الكوارث قد أدى بصورة متكررة إلى أن يعود الجنس البشري إلى نقطة البداية . وكل منهما تؤمنان بأن الكون لا يتغير بالوقت ، اما قد بدأ بشكله الحالي أو ثابت للأبد ؛ والسبب أن الحياة البشرية والتاريخ كل منهما قصير بحيث لا يظهر أي تغير له مغزاه . وفي القرن العشرين بدأت تظهر البراهين بما يثبت أن الكون يتغير بمرور الزمن. ومن مشاكل الكون الساكن حسب قوانين الجاذبية لنيوتن أن كل نجم ينجذب تجاه الآخر وعلى ذلك كيف تظل النجوم بلا حراك ؟ ألن يحدث أنها كلها ستتهاوى معا ؟ تنبأ نيوتن لمثل هذا وكتب إلى ريتشارد بيلي ووافق على أن المجموعة اللامتناهية من النجوم لا يمكن أن تظل بلا حراك فهي سوف تهوي معا إلى نقطة ما في المركز، ولكن حاجّة بأن النجوم لا تهوى لأنه لا يوجد نقطة مركزية تهوي إليها . فوجود مشاكل في الكون الساكن لم يتنبأ لها نيوتن لعدم تطور المراصد . وكذلك اينشتاين فنظريته تنبأت بأن الكون يتمدد ولكنه ظل مقتنعا بما هو سائد في ذلك العصر[1] .

[1] – انظر ستيفن هوكنج ، **الثقوب السوداء** ، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي ، المجمع الثقافي، أبو ظبي – الإمارات ، 1995 ، ط1 ، ص 126 – 129 .

كان السائد عن الكون عند علماء الفيزياء والفلك أن الكون يتكون بشكل أساسي من مجموعة هائلة من المجرَّات التي تحتوي على آلاف الملايين من النجوم ، وهذه المجرَّات ساكنة في مواضعها ولم يكن شيء عن تكون المجرَّات معروفا ؛ إلا أنهم يعتقدون أنها لا بد أن تكون مماثلة لمجرتنا . طرح ألبرت اينشتاين عام 1917 تصوره للكون من خلال معادلات المجال الجذبي التي اكتشفها بدلالة تحدب الزمكان ، وعندما حل المعادلات وجد أن ذلك يقضي إلى أن الكون يتقلص مع الزمن ، والمسافة بين المجرَّات لا بد وأن تتقلص، فالقوة الجاذبية تعمل على تجمع المجرَّات إلى بعضها ولكن ذلك مخالف لما هو سائد في ذلك الوقت القائل باستقرار الكون وثبات المسافات بين المجرَّات ، وحتى تتطابق المعادلات مع الاعتقاد السائد قام بإدخال معامل جديد أسماه التنابذ الكوني لموازنة قوة جاذبية الثقالة الكونية لكتلة المادة . والتنابذ الكوني تناسب طرديا مع المسافة. وقوة الثقالة الكونية تتناسب عكسياً مع مربع تلك المادة ؛ لذلك كان العبث بتلك المعادلات غير موفق[1]. ويسميها الأكثرية الثابت الكوني : وهي قوة يفترض أنها تعادل قوة الجاذبية لكتلة الكون فهي تلغي بعضها بعضا مما يحدث كونا ثابتا لا ينكمش ولا يتمدد[2].

---

[1] – انظر : عبدو محمد خير الأحمر ، **الكون والنسبية بين القرآن والنظرية** ، ص 64 .

[2] – انظر : فري بيتو ، **إبداع الفنان نظرة شمولية للكون** ، دار الحوار ، 2005 ، ص 63 .

المطلب الثاني

أهم نظريات نشأة الكون

لقد وضع العلماء عدة نظريات تبين كيفية نشأة الكون منها :

أولاَ – نظرية الانفجار الأعظم والتي تقول : إن المادة الكونية كانت مجتمعة في نواة أولية واحدة شديدة التركيز لا تشغل سوى حيز محدود جدا ، ودرج العلماء على تسميتها الذرة الأولى ، ولهذا التركيز الشديد انفجرت النواة الكونية ، وتشتت أجزاؤها في أرجاء الفضاء وكأنها تقفز بعيدا عن أماكنها بسرعة خارقة ، وبعد فترة بدأت المجرَّات تتكون بتجمع وتقارب أجزاء هذا الشتات ، وهي لا تزال تجري ضمن توسع الكون إلى أن يشاء الله. ويبين جورج لوميتر أن تمدد الكون في تلك الفترة كان في حدود مليون سنة ضوئية ، وكان الكون حافلا بغاز الهيدروجين الذي تكثف على هيئة عناقيد سديمية ، ودخل عليها وهي لا تزال تتكاثف عامل التنافر والتباعد وعليه أخذ الكون يتمدد ولا يزال حتى يومنا هذا [1]. وأول من استعمل لفظ الانفجار هو فرد هويل الذي كان يعمل على تطوير الرادار ، وقد استعمل لفظ انفجار عام 1948 عبر هيئة الإذاعة البريطانية على محمل السخرية ؛ لأنه كان مدافعاَ عن كون ثابت غير متحرك[2] .

ثانياَ – نظرية الحالة الثابتة أو المستقرة : إن العلماء الذين دافعوا عن فكرة المادية والكون اللامتناهي أصبحوا يناظرون ضد الانفجار لدعم العقيدة الأساسية لمذهبهم ، فجاء فريد هويل في منتصف الأربعينيات بنموذج الحالة الثابتة ، وكان امتدادا لفكرة الكون اللامتناهي وبنفس

---

[1] – انظر: جلال عبد الفتاح ، **موسوعة علم الفضاء** ، ص5 – 8 .

[2] – انظر:هاني خليل رزق، **موجز تاريخ الكون**، دار الفكر العربي، دمشق– سورية، 2003. ط1، ص29.

الوقت تقبل الدليل الذي لا جدال فيه ، وهو أن الكون يتمدد فالكون كان لا متناه في البعد والزمن وأثناء التمدد تنبثق مادة جديدة باستمرار بكمية مضبوطة تجعل الكون في حالة ثابتة . وكان هدف فريد دعم عقيدة وجود المادة في زمن لا متناه وهي أساس فلسفة الماديين ، وكانت على خلاف كلي مع نظرية الانفجار[1] . فهي تفرض كون متجانس في كل موضع فيه وفي كل زمان أي هناك تناسقاً تاماً في توزيع المادة في الفضاء ، وكثافة المادة في وحدة الحجم ثابتة على الدوام ولا تتغير بمرور الزمن ، وبعض المجرَّات الجديدة تتكون ببطء شديد في الفراغ الناشئ عن تباعد المجرَّات القديمة ، وأول ما يظهر من صور المادة في الفضاء يكون على هيئة ذرات الهيدروجين ، وتتكون منها بعد ذلك ذرات العناصر الأخرى الأثقل منها وبعد انقضاء زمن يؤدي إلى تكوين المجرَّات وما بها من نجوم . ولكن من أين تأتي هذه المادة الجديدة التي تظهر في الفضاء الواقع بين المجرَّات وهل هذا نقض لقانون بقاء الطاقة؟ لم يستطع أحد أن يثبت خطأ هذه النظرية بطريقة مباشرة ، أو إنكار أن هناك خلقاً مستمر للمادة في الفضاء . والمادة التي يفترض تكوينها في الفضاء طبقا لهذه النظرية تمثل قدرا متناهيا في الصغر ، ولا توجد وسيلة علمية لاكتشافها أو قياسها فمن الصعب إثبات هذه النظرية أو نقضها. واكتشف علماء الفلك أن توزيع المادة في الفضاء ليس منتظما على الدوام ، والمادة التي تظهر على هيئة مجرَّات وسحب من الغازات والغبار يختلف توزيعها من مكان لآخر، وتزيد كثافتها في بعض المناطق ، وذلك خلال استخدام التلسكوبات التي تستقبل موجات الراديو . وهي تفترض خلق كتلة أو طاقة من العدم . وقوانين الفيزياء تنص على أن كمية الكتلة أو الطاقة الموجودة في الكون ثابتة ولا تتغير أبداً ، وإنْ كان توزيعها يختلف في بعض الأحيان. ولا تقدم تفسيرا لتمدد الكون ، ولا انخفاض السرعة التي تنطلق بها المجرَّات

---

[1] – انظر : هارون يحيى ، **خلق الكون** ، دار الرسالة ، بيروت – لبنان ، 2003 ، ط1 ، ص 19 .

مما دفع هويل إلى تركها وعدم الدفاع عنها [1]. وكما أن الطاقة لا تفنى ولا تتجدد على الرغم من تحولات المادة إلى طاقة أو العكس داخل النظام المعزول ، وعلى هذا يعتبر الكون كجهاز ينظم نفسه بنفسه عند بعض الملحدين ليكون في حالة توازن دقيق وتام ، ومهما تمدد وانتشر فان كثافة أي جزء كبير من الفضاء لا يتغير كثيرا فهو في حالة ثبات . وهذه ليست نظرية جديدة ولكن قال بها برونو منذ أكثر من ثلاثمائة عام فكان يقول: لا نهاية ولا حدود ولا حواجز تحرمنا من التكاثر اللانهائي للأشياء ؛ لأن كمية وفيرة جديدة من المادة تتولد باستمرار من اللانهاية [2] .

ثالثاَ – نظرية الكون الاهتزازي أو الكون النابض وتنص على أن: الكون بدأ بانفجار كوني عظيم ولكنه لن يستمر في تمدده للأبد ، وفي أزمنة مستقبلية ستقوم الجاذبية بإيقاف التمدد . وتنص أن الكون كان دائما في حالة اهتزازية دورية أي تمدد للخارج ثم ينكمش للداخل فهي نهاية مرحليَّة .وهكذا شاء الخالق أن نعيش حاليا في طور التمدد الكوني . ومضى على الكون وهو في حالة التمدد حوالي ثمانية عشر بليون عام وسيتباطأ في المستقبل التمدد الكوني ، ويتوقف نهائيا وبعدها يبدأ طور الانكماش ، وبينما وهو في حالة الانكماش سترجع المجرَّات للداخل نحو بعضها البعض حتى تتجمع كل المادة في الكون بشكل متراص وكثيف مرة أخرى حيث تتسبب فيه درجة الحرارة والضغط العاليان في تكسير المادة إلى دقائق أولية وسيحدث انفجار كوني آخر وسيتولد عنه كون متمدد جديد من نفس المادة وهكذا يبقى الكون في حالة اهتزازية مستمرة[3]، وهذا من أجل أنْ يجعلوا نظرية الانفجار تتلاءم مع أفكارهم حول الكون

---

[1] – انظر : احمد مدحت إسلام ، **الكون في فكر الإنسان قديما وحديثا** ، ص 161 – 162 .

[2]– انظر : جون فايفر ، **بداية الكون من الأفلاك إلى البشر** ، ترجمة محمد الشحات ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، 1959 ، ص52 – 53 .

[3] – بركات بطاينة ، مقدمة في علم الفلك ، اربد ، 1994 ، ج2 ، ط1 ، ص 186 .

اللامتناهي ، ولم يتم دعم هذا النموذج بنتائج الأبحاث العلمية التي جرت خلال 15 – 20 سنة الماضية والتي تشير إلى أنه ليس من الممكن لفكرة الكون الهزاز أن تظهر للوجود ، وكذلك قوانين الفيزياء لا تقدم أي سبب معقول يدعو لإنفجار الكون المتقلص ثانية بعد انهياره في نقطة واحدة ، ولم يقدموا أي سبب يوضح لماذا يجب على الكون أن يبدأ بالتقلص في المكان نفسه ، ولا تستطيع عملية الانفجار والانكماش الاستمرار فكمية الطاقة ستصبح أقل في كل مرة وسيكون كل انفجار تال للانفجار أكثر بطأ من نقطة أكبر قطرا ، وهنا سيولد كون أصغر ثم تبدأ المرحلة التالية وأخيرا يتلاشى في اللاشيء حتى لو كانت فكرة الكون المفتوح أو المغلق تستطيع أن تكون موجودة فهي غير قادرة على التحمل حتى يصلوا إلى الخلود وعند نقطة ما يصبح من الضروري أن يخلق الشيء من لا شيء فهو مجرد خيال جامح لا أمل فيه[1]. وهذا إنكار لقدرة الله تعالى في خلق الكون تعالى عما يقولون علواً كبيراً .

وللتأكد من صحة هذه النظريات يجب مقارنتها حسب درجة اتفاقها مع الخواص المرصودة والمعروفة للكون . الحالة المستقرة تبين أن الكون لم يتغير أبدا على عكس نظرية الانفجار والحالة الاهتزازية ، وأفضل الطرق للتأكد من تطور الكون مقارنة مظهر الكون الحالي مع ما كان عليه منذ بلايين السنوات الماضية ، ولصعوبة عمل قياسات رصدية مع تقدم عمر الكون يقوم الفلكيون برصد المجرَّات الواقعة على أبعاد مختلفة عنا ، أي دراسة الصور الفوتوغرافية للمجرَّات البعيدة جدا عنا ، ولكن هذا صعب لعدم تطور التكنولوجيا المسؤولة عن ذلك ، وعلى ذلك كل الأرصاد الموجودة حاليا مليئة بالأخطاء ، فهي غير دقيقة تماما ، ولا توجد أدلة ثابتة تؤيد صحة واحدة من هذه النظريات بشكل قاطع[2] .

---

[1] – www.55a.net بقلم هارون يحيى .

[2] – انظر : بركات بطاينة ، **مقدمة في علم الفلك** ، ص 188 – 189 .

كيف جاءت فكرة الانفجار الأعظم إلى الوجود ؟

في عام 1840 اكتشف العالم كريستيان دوبلر أن طول الأمواج الصوتيَّة يقلّ عندما يكون مصدر الصوت قادما نحونا ، ويزداد عندما يبتعد مصدر الصوت عنا ، والتي عرفت باسم إزاحة دوبلر. وكان لما قام به دوبلر الأثر في ولادة أعظم نظرية ، فقد قام بتغيير ترددات الأمواج خلال حركة المصدر أو الجهاز المستقبل فلاحظ زيادة الترددات عند اقتراب المصدر وبالعكس حين ابتعاده . ولم يعرف أحد أهمية هذا الاكتشاف ، وأنه ينطبق على الموجات الضوئية والراديو وبعض أنواع الإشعاعات.

وأكد العالمان ويليام دي سيتر وفون سيلجر عامي 1895 – 1896 أنه لا يمكن اعتبار الكون ليس نهائيا ويخضع لقوانين نيوتن للجاذبية ؛ لأن القوى التي تؤثر على كل نقطة أخرى لا يمكن تحديدها أيضا . وفي عام 1897 اقترح دي ستير نموذجا للكون بطريقة غير نسبية ، وهي أن الكون يتمدد على نحو ما. وانهمك العلماء في البحث عن دلائل تؤيد نظرية دي ستير[1].

في عام 1900 قام بيلوبولسكي في استخدام نتيجة دوبلر لدراسة النجوم فتبين أن خطوط الطيف للنجوم تنزاح إلى الجهة الحمراء وحسب مفهوم دوبلر فإنَّ النجوم تتباعد وسمحت هذه الظاهرة لافتراض تمدد الكون ، وتأكدت باكتشاف هابل عندما قام بقياس انزياح الخطوط الطيفية في الضوء الصادر من مجرَّات أخرى غير مجرتنا ، فأكدت النتائج انزياح

[1] – انظر : جلال عبد الفتاح ، **موسوعة عالم الفضاء** ، ص 48 – 49 .

خطوط الطيف لكل المجرَّات نحو الأحمر . ويزداد هذا الانزياح كلما ازداد بعد المجرَّات المراقبة ، وهذا ناتج عن تزايد سرعة ابتعادها[1].

في عام 1917 حاول اينشتاين تطبيق النسبية على الكون بأجمعه ، وكانت النتيجة أنّ الكون وفق النسبية إما أن يكون في حالة تقلص ، أو في حالة اتساع . فالفضاء والزمن تحت تأثير الجاذبية ، فلو تركت المسافة لقوة الجاذبية فقط لوجب أن يتقلص الكون ، وينطوي على نفسه ، أما في حالة وجود تأثير آخر أو قوة أخرى فالمتوقع أن يتوسع الكون . قام اينشتاين بإضافة عامل القوة الكونية الدافعة إلى المعادلات التي وضعها متوصلا إلى نموذج الكون الساكن .

في عام 1922 اكتشف ألكسندر فريدمان أن تركيب الكون ليس ساكنا ، حتى أن أصغر اندفاع فيه ربما كان كافيا ليسبب تمدد التركيب بأكمله طبقا لنظرية النسبية ، وتوصل إلى أن الكون في اتساع دائم ، وزيادة المسافة تعني أن هذه المسافات كانت أقل في الماضي[2]. ووضع تصوره لو كان الكون في حالة تمدد، وأوضح ذلك بثلاث نماذج رياضية يمكن أن يكون عليها الكون المتمدد هي :

أولاَ – الكون المفتوح المتسارع : وهو الذي تتباعد فيه نقاط الزمكان (المجرَّات) في بدء الانبثاق بتسارع كبير ثم يقل هذا التسارع كلما تقدم الزمن .

ثانياَ – الكون المفتوح المستقر المنبسط : الذي يبدأ بتسارع كبير لا يلبث بعد حين من أنْ يستقر في حالة التوسع بسرعة ثابتة منتظمة .

---

[1] – انظر : عامر علي غبرة ، **نشأة الكون حتى عصر الفضاء** ، ص 15 .

[2] – انظر : أميد شمشك ، **الانفجار الكبير أو مولد الكون** ، ترجمة أور خان محمد علي ، دار البشير ، عمان – الأردن ، 1998 ، ط1 ، ص 37 – 38 .

ثالثاَ – الكون المغلق : الذي يتوسع فيه الكون بتسارع في بدايته ، ثم يقل هذا التسارع تدريجيا حتى يصل إلى نقطة يتوقف عندها توسع الكون ، ثم ينكمش الكون إلى أن يعود إلى النقطة التي بدا منها.

العامل الأساسي الذي يحدد إمكانية تحقيق أي من هذه النماذج هو كثافة المادة والطاقة الإجمالية في الكون ، وعليه يعتمد إذا كان الكون مفتوحا أو مغلقا أو منبسطا[1].

ظلت هذه النماذج التي وصفها ألكسندر فريدمان بناء على تمدد الكون مجهولة عند الغرب حتى عام 1935 حين وضع روبرتسون في الولايات المتحدة ووكر في إنكلترا استنادا إلى توسع هابل للكون نماذج ثلاثة مماثلة لنماذج فريدمان تتنبأ بكون محدود الفضاء إنما بدون حدود أو حواف حادة تغلفه على نفسه قوة الثقالة . وأمكن البرهان لاحقا أن الكون يتوسع ما بين 5 إلى 10 في المائة كل مليار عام . والسمة الأساسية لنماذج فريدمان تتمثل بأن المسافة بين المجرَّات كانت في البدء معدومة ، وكانت الكتلة التي ولد منها الكون نهائية الكثافة من حيث الارتصاص وفي هذه الكتلة حدث الانفجار[2]. كان جورج لوميتر أول من أدرك أهمية أعمال ألكسندر ؛ وبناء على ذلك أعلن لوميتر أن للكون بداية وهو في تمدد متواصل ، وأنّ معدل الإشعاع يمكن استخدامه كمقياس عقب حدوث ذلك الشيء ، ودفعته الفكرة لحساب الزمن اللازم لانكماش الكون وتجمع المجرَّات في جسم مركزي واحد . واعتمد في حساباته على السرعات المعروفة التي تنطلق بها المجرَّات . وأطلق على تجمع المجرَّات اسم البيضة الكونية ، ولكن الزمن الذي قدره كان صغيراً إلى حد كبير ولا يمكن معه تفسير العمر الكبير لبعض تجمعات النجوم ، ولاحظ أن البيضة الكونية لم تكن ثابتة وأنها انفجرت لسبب من

---

[1] – انظر : محمد باسل الطائي ، **خلق الكون بين العلم والإيمان** ، ص 85 .

[2] – انظر : هاني خليل رزق ، **موجز تاريخ الكون** ، ص 32 .

الأسباب ، وتناثرت أشلاؤها في الفضاء في كل اتجاه ، وهذه هي التي كونت المجرَّات فيما بعد . ولم يصدق الكثير هذه النشأة للكون لعدم وجود الأدلة الكافية ، وإنْ كان تمدد الكون وتباعد المجرَّات يشهد بذلك . ويرى البعض أنه ليس من الضروري أنْ يحدث هذا الانفجار ومن الممكن أن يكون الكون نابضا فقط [1].

وضع العلماء سيناريو لبيان كيف تمت عملية الخلق في مراحل الخلق الأولى فهو كالتالي :

يبين السيناريو أنه من العبث البحث عما جرى قبل لحظة الانفجار ، فالزمان والمكان لم يكونا موجودين ، وما توصل إليه العلم هو زمن بلانك أي 10^{-43} من الثانية بعد الانفجار ، وهو أقصر زمن، وقطر الكون في تلك اللحظة هو 10^{-33} من السنتمتر ، وهو أقصر طول ، وحرارة الكون 100تريليون درجة الحد الأقصى للحرارة ، وقبل ذلك تصمت الفيزياء أمام السؤال ، ففي تلك اللحظة وجد الزمان والمكان والطاقة والمادة[2] . ويبدأ السيناريو عند 10^{-43}من الثانية بدأ العمل فبدأ المكان والزمان يتخذان معنى، وعند درجة حرارة 10^{32} شهد الكون الحقبة الأولى من تاريخه ، وأخذ شكل نقطة دقيقة جدا قطرها 10^{32} سنتمتر، وتحوي مزيجا غريبا من الجسيمات وأضداد الجسيمات التي تتولد ، أي تحول الإشعاعات إلى جسيمات ذات كتله ، وتفنى أي تحول الجسيمات ذوات الكتل إلى إشعاعات ، وتضم جميع القوى الأساسية الأربع وهي:القوة النووية الشديدة والضعيفة والقوة الكهربائية المغناطيسية والقوة الجاذبية في قوة واحدة مجتمعة معا تعرف باسم النظرية الموحدة الكبرى . وفي 10^{-42} من الثانية انفصلت الثقالة كقوة بحد ذاتها ، وهذا الانفصال هو واحد من التحولات الطورية

---

[1] – انظر : احمد مدحت إسلام ، **الكون في فكر الإنسان قديما وحديثا** ، ص 160 – 161 .

[2] – انظر : فري بيتو ، **إبداع الفنان نظرة شمولية للكون** ، 94 .

التي تجمدت فيه قوى الكون وانفصلت عن القوى الموحدة بانخفاض درجة الحرارة . وفي اللحظة 10^{-35} من الثانية بدأ الانتفاخ أثناء محاولة القوة الشديدة التجمد والانفصال فتسربت الفقاعات الكمومية إلى الخلاء المحيط فتنتفخ إحدى الفقاعات بسرعة هائلة ويبلغ عالمنا المرئي في داخلها حجم كرة المضرب . وتكونت جسيمات الكوارك الأولى الثقيلة وكذلك جسيمات الليبتون الخفيفة . وفي انتهاء مرحلة التضخم التي استمرت من10^{-35} – 10^{-32} بدأت لبنات المادة الكوارك والإلكترونات وبروتونات ونيوترونات وأضدادها تتحرك كجزئيات حرة تسبح في الفضاء كالخيوط . فالكون الذي تسيطر عليه الظلمات والحرارة الجهنمية توسع بشكل مخيف إذ بلغ قطره 300 متر فتوسعت دائرته وبهذا ازداد حجم منزلنا الكوني .

أحدث التمدد غير الاعتيادي تضخما في نتوءات صغيرة تحولت فيما بعد إلى مجرَّات وهناك فرضيات تبين أن التغيرات التي حدثت للمادة عندما انهار التوازن الأول أحدثت خللا طوبوغرافيا تضاريسيا فأوجد مهد المجرَّات.

في 10^{-30} من الثانية تباطأ تمدد الكون وظهر عدد لا يحصى من مليارات الجزئيات وعكسها المتطايرة وكانت المادة المتولدة تعادل تماما المادة الموجودة فوقع تصادم جزيئاتها لعدم التبادل .

في اللحظة 10^{-11} من الثانية انشطرت القوة الكهروضعيفة وتنخفض درجة الحرارة إلى ما دون 10^{15} وهي نقطة تجمد أخرى تنشطر القوة الكهروضعيفة إلى قوة كهروطيسية بآلية تحطيم متناظرة أن حاملات القوة الضعيفة أي الجسيمات ZEW ثقيلة في حين أنه ليس للفوتونات التي هي حاملات القوة الكهروطيسية أية كتله .

في اللحظة 10^{-6} من الثانية انخفضت درجة الحرارة وكانت الكوارك وأضدادها تسبح في الفضاء وتتولد ويفنى بعضها بعضا وتتفاعل مع جسيمات أخرى وعندما برد الكون حتى حرارة 10^{13} لم يعد هناك طاقة لتوليد الكوارك تلقائيا وتستمر الأزواج الموجودة في الفناء ويبدو وكان الكوارك سوف تختفي إلى الأبد .

في اللحظة 10^{-4} من الثانية انخفضت درجة الحرارة ، وتوقف فناء الكوارك واتحد ما تبقى منها لتصنع بروتونات ونيترونات ، وبانتهاء الثانية الأولى تنجو معظم النترينوهات فتحررت وانطلقت وحدها وما زالت بأعداد كبيرة ، وقلت نسبة تصادم النيوترونات مع البوزيترونات لخلق البروتونات، وكانت نسبتها ستة وسبعون بالمئة وأربعة وعشرين نيوترونات. وعند هذا القدر قد تمدد وتكونت المواد الخام اللازمة لبناء المادة الأساسية للكون.

بعد14 ثانية هبطت الحرارة إلى ثلاث مليارات درجة فأصبحت دون الحرارة الملائمة لخلق الالكترونات وتوقف توليد أزواج الإلكترونات والبوزيترونات وهذه درجة مناسبة لتكوين نواة الهليوم المستقر إلا أن التوسع السريع حال دون ذلك ، فهناك سلسلة تفاعلات يجب إكمالها قبل الوصول إلى تكوين هذه النواة .

وبعد دقيقة واحدة هبطت الحرارة لتسمح باتحاد البروتونات عندما تصطدم ببعضها البعض لتشكل نواة ذرة الهيدروجين والهليوم المادة الأولية لتكوين النجوم . وبعد دقيقة وتسعة ثوان تخلصت النيوترونات وأضدادها من التوازن الحراري الذي كان يشدها بالإلكترونات والبوزيترونات فصارت تتصرف كجزئيات طليقة وأصبحت حرارة الكون مناسبة لتشكل نواة الذرات ولكن سرعة التمدد فرضت عليه ديناميكية المرحلة العابرة . وبانتهاء الدقيقة الثالثة أصبحت الظروف مناسبة لتشكل نواة الذرة وهي درجة مليار فهنا تبدأ نواة الترينيوم ونواة

الهليوم 3 بالتشكل أما نواة الديوتيريوم فهي تنحل بسرعة ، ويتحول قسم من النيوترونات الحرة إلى بروتونات عن طريق التحلل والنيوترون إذا ترك لحاله حر يتحول إلى بروتون وإلكترون وضده النيوترينو وهذا ممكن ضمن قانون يقرر أن عشرة بالمائة من النيوترونات تتحول إلى بروتونات في كل مائة ثانية لهذا تزداد نسبة البروتونات وتقل النيوترونات في المادة الكونية فتصبح ستة وثمانين بروتونات وأربعة عشر نيوترونات . وبهبوط مزيد من الحرارة تبدأ نوى الديوتيريوم بالتكون وتمر النوى في مرحلة التريتوم أو في مرحلة الهليوم المستقر وتبدأ النيوترونات بالاتحاد مع البروتونات مؤلفة نوى الهليوم وتبلغ درجة الحرارة تسعمائة مليون درجة . وتستمر التفاعلات حتى الدقيقة الخامسة والثلاثين فبينما تأخذ النيوترونات أماكنها في نوى ذرة الهليوم فإنّ البروتونات الفائضة تبقى كنوى ذرات الهيدروجين دون أن تشكل أي من الذرات الكاملة فدرجة الحرارة لا تسمح للالكترونات بالارتباط مع النوى وتستمر عملية فناء الإلكترونات والبوزيترونات . ويستمر الأمر سنوات دون حدوث ما يستحق الذكر حتى يصبح عمر الكون سبعمائة ألف سنة وتصبح حرارته خمسمائة درجة عندها تبدأ نوى الذرات باصطياد الإلكترونات لتوليد الذرات والعناصر وهنا يتكون الهيدروجين والهليوم مما يفسح المجال أمام الفوتونات بالحركة الحرة دون اصطدام بالإلكترونات وتدعى الفوتونات إشعاعات التشتت الأخير[1] .

الغازات والمواد تندفع إلى الخارج على أثر أي انفجار ، فيتولد فيها حركة دورانية بالإضافة إلى حركتها القطريَّة ، فبعد انخفاض طاقة المواد بدأت الكتل المادية تنكمش على

---

[1] – انظر : برايان غرين ، **الكون الأنيق** ، ترجمة فتح الله الشيخ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – لبنان ، 2005 ، ط1 ، ص 381 – 384

فري بيتو ، **إبداع الفنان نظرة شمولية للكون** ، ص 94 – 104 .

محمد باسل الطائي ، **خلق الكون بين العلم والإيمان** ، ص 89 – 94 .

غوردن فريزر وايغيل ليلستول ، **البحث عن اللانهاية حل أسرار الكون** ، ص 104 – 105 .

نفسها بسبب الحركة الدورانية، وتزداد كثافتها بمرور الوقت فتظهر الجاذبية التي عملت على ضم الكتل القريبة من بعضها البعض أكثر فأكثر ، واستمرت حتى تكونت المجرَّات ، وخلال هذا تكونت دوامات سحابية صغيرة باردة داخل السحب الغازية الضخمة المنتشرة فنشأ عنها نجوم هنا وهناك ، وبسبب انكماش السحابة الصغيرة تحت تأثير الجاذبية تسخن الغاز الذي بداخلها إلى درجات حرارة عالية ، وفي مرحلة معينة تبدأ طاقتها الداخلية المتزايدة والمتكونة بسبب الانكماش بتمزيق الجزئيات والذرات المؤينة وبتوقف درجة الحرارة أثناء استمرار الانكماش لفترة قصيرة وبتناقص ضغط الغاز الداخلي وبسببه تبدأ السحابة بالانكماش السريع وبعدها تتكون نجمة أولية ، ويستمر الانهيار بسبب الجاذبية فترتفع درجة الحرارة باطن النجم الأولية ويبطئ ضغط الغاز الانهيار والانكماش مع بقاء درجة الحرارة بحوالي أربعة آلاف كلفن ، وعندما تصل حرارة الباطن إلى حوالي عشرة ملايين كلفن تبدأ التفاعلات النووية الاندماجية بالعمل، وهكذا يجري تكون النجم ببطء شديد إلى أن تأخذ شكلها النهائي وتنير الكون[1] .

لكن كيف ولدت هذه الجسيمات بالأصل وكيف تحول العدم المحض إلى طاقة ومادة ؟

نشر لآري فورد 1975 بحثا حول طاقة الفراغ المتولدة في فضاء اينشتاين السكوني المحدب مكانياً ، ووظف في ذلك ظاهرة كازمير ؛ وتتلخص بتولد قوة تجاذب بين لوحين مستوين موصلين غير مشحونين إذا وضعا متوازيين في الفراغ المطلق الخالي من وجود المادة والطاقة وهي قوة جديدة فكثافة الطاقة بين اللوحين تتناسب عكسيا مع الأس الرابع للمسافة بينهما ، وهي ناتجة عن قطع أنماط التردد لموجات الجسيمات الخيالية التي يمكن أن تتولد لحظيا في الفراغ حيث يتسبب اللوحين بقطع هذه الأمواج وحصرها في المسافة الصغيرة

[1] – انظر : طالب ناهي الخفاجي، **نظرتنا المعاصرة للكون**، ص 25 – 26 .

بين اللوحين المتوازيين مما يؤدي إلى انعكاسها مجيئا وذهابا بشكل مستمر بين اللوحين فيؤدي ذلك إلى نشوء قوة تجاذب .

ما معنى أنماط تردد في الفراغ وكيف تولد الجسيمات الخيالية ؟

أكتشف فيرنر عام 1924 أ نّ قياساتنا للكميات الفيزيائية لا يمكن أن تعّبر عن اليقين التام فلا بّد من وجود قدر من اللايقين في القياس المتزامن للطاقة والزمن . فمثلا يتمدد بحيث يكون مقدار اللايقين في الطاقة مضروبا في مقدار اللايقين في الزمن لا يقل عن مقدار ثابت هو الثابت المسمى باسم ماكس بلانك ، وهذا الثابت كمية صغيرة جدا ولا يظهر مبدأ اللايقين في تعاملاتنا اليومية بل يظهر عند التعامل مع العوالم المجهرية الجزئية والذرية وتحت الذرية وعلى هذا المبدأ نفترض وجود جسيمات في الفراغ المطلق أي العدم على أنْ تكون الجسيمات خيالية أي تكون طاقتها مضروبة في زمن تواجدها أقل من ثابت بلانك ، فيمكن تصور الفضاء بأنَّهُ بحر هائل من الجسيمات تظهر في مكان وتختفي في مكان آخر في زمن قليل جداً يقل مقداره عن ثابت بلانك مقسوماً على مقدار طاقتها ، وكلما افترضا طاقة أكبر لزم أن يكون زمن تواجدها أقل[1].

كيف جاءت الطاقة إلى الوجود مع أنه يقال: إن الطاقة شيء ثابت لا يأتي من العدم ؟

في الفيزياء الكلاسيكية ينظر للطاقة على أنها شيء ثابت لا يخلق من العدم ، أما ميكانيكا الكم فتسمح بظهور طاقة من لا شيء ، وهذه الظاهرة تختفي في لمح البصر ، والمادة والطاقة شكلان لعملة واحدة ، مما يعني احتمال عرض لجسيمات من لا شيء ، وهذه الظاهرة تعدل جذريا ما نعنيه بالفضاء الفارغ : وهو التذبذبات في الطاقة الكمية للفراغ بسبب

[1] – انظر : محمد باسل الطائي ، **خلق الكون بين العلم والإيمان** ، ص97 – 99 .

خلقا مؤقتا لكل أنواع الجسيمات التقديرية ما تلبث أن تظهر حتى تختفي ، وهذه الجسيمات التقديرية يمكن أن تصبح حقيقية إذا ما دفع مقابل من الطاقة لقاء بقائها ، فالشيء الوحيد الذي يحول دون بقاء الجسيمات التقديرية هو افتقارها للطاقة ، فعدم اليقين يسمح لها بالظهور العابر دون أن يتكلف الكون شيئا مقابلها[1] .

وقامت حسابات لآري لحساب الطاقة المتولدة داخل فضاء اينشتاين بسبب تحدبه الهندسي؛ فالفضاء مغلق وسكوني فقام حساباته على جسيمات مختلفة دون أخذ درجة الحرارة بالاعتبار فحصل أنّ طاقة الفراغ تتناسب عكسيا في نصف قطر الجزء المكاني من فضاء اينشتاين ، وقام الدكتور محمد الطائي فوجد نفس النتائج ، ولكن لم تخبرنا عن تطور الكون ؛ لذلك أعاد حساباته آخذاً بعين الاعتبار درجة الحرارة ؛ لأن التطور الحراري هو القضية الأساسية المعينة في معرفة تاريخ الكون . فوجد أن الكون ولد عند الزمن صفراً نتيجة تحدب الزمكان فتولد بسبب التحدب طاقة كازمرية تواجدت في حيز ضيق جدا وارتفعت الحرارة خلال10^{44} إلى مقدار هائل بسبب تفاعلات الطاقة ثم هبطت بسبب تكاثف القسم الأعظم إلى جسيمات أولية كونت الخميرة الأساسية لكل الموجودات في الكون فهناك مرحلتين في خلق الكون :

أولا – الكازمرية : وهو عصر توليد الطاقة من الفراغ بسبب تحدب الزمكان ارتفعت خلاله الحرارة ارتفاعا هائلا.

[1] – انظر : بول ديفيز وجون جريبين ، **أسطورة المادة** ، ص127 – 128 .

ثانيا – عصر البلانكي هبطت الحرارة بسبب تحول الطاقة الكازمرية إلى جسيمات من نوع ما قد تكون الجسيمات الأولية التي تولدت عنها البروتونات والنيوترونات والإلكترونات وأضدادها[1] .

تحول الطاقة إلى مادة يفضي دوما إلى توليد زوج جسيمات ، ولهذا الزوج خاصيتين متميزتين ، فيجب أن يكون بإشارتين مختلفتين والجسيم الأخر يطلق عليه اسم المادة المضادة . إذا تلاقى الجسيم مع الجسيم المضاد يؤدي إلى فنائهما مخلفين إشعاع ذا طاقة عالية ، فبإمكان الإشعاع أن يتحول إلى مادة ، والمادة تتحول إلى إشعاع ، ولكي تتحول الطاقة الإشعاعية إلى زوج من الجسيمات لا بد أن طاقة الإشعاع مقاربة إلى $(10*1.6)^{13}$ جول ، وهو ما يكافئ طول موجة يساوي نحو 0.0012 نانو متر ، وهو إشعاع غاما ، ولكي يتحول الإشعاع إلى بروتون ومضادة يجب أن تكون طاقة الإشعاعية أكبر من سابقتها 1800 مرة ، فالطاقة الإشعاعية يجب أن تأخذ شكل إشعاع غاما ذي طاقة عالية جدا ، والإشعاعات كهذه لا توجد إلا في غازات حارة جدا ، لتوليد زوج الإلكترون يجب أن تقارب حرارة الغاز$(6*10^9k)$ ولا يمكن لدرجات حرارة عالية كهذه أن تتولد في النجوم الاعتيادية ، ولكن يمكن بلوغ درجات الحرارة العالية وفق شروط الانفجار الأعظم[2] .

ومن هذا نلاحظ أن ما تم اكتشافه من أمور تؤيد نظرية الانفجار وتدعمها ، ولكن ربما جاء في السنوات القادمة اكتشافات تنقض نظرية الانفجار وتأتي بنظرية جديدة ؛ وذلك

---

[1] – انظر : محمد باسل الطائي ، **خلق الكون بين العلم والإيمان** ، ص 98 – 101 .

[2] – انظر : توماس ت آرني ، **استكشافات ومقدمة في علم الفلك** ، ترجمة احمد محمود ألحصري وسعيد الأسعد ، ط1 ، دار طلاس ، دمشق ، 1998 ، ص 701 – 703 .

لأن نظرية الانفجار ليست يقينية مع أنها تعطي إجابات لكثير من الأسئلة إلا أنها ما زالت تواجه مشكلات وتتطلب تقديم أجوبة للعديد من الأسئلة المطروحة .

ما هو عمر الكون ؟

في شهر آذار من عام 1977 أعلن ديفيد ن شرام أن عمر الكون الحالي هو 20 بليون عام ، وأعتمد في ذلك على طريقة التأريخ الإشعاعي لعنصر اليورانيوم والذي يشتمل على قياس كمية اليورانيوم المتحللة بالإشعاع منذ أن تكونَّ هذا العنصر في مجرة درب التبانة حتى الآن. وهناك تقديرات تعتمد على قيمة ثابت هابل حيث أن زمن هابل الذي يدل على أن عمر الكون منذ وقت الانفجار هو واحد على H . وهذه القيمة ما زالت غير دقيقة ومع بعض التصويبات حول تباطؤ الكون في الماضي فهي تُعيِّن وقت حدوث الانفجار بين 10 – 20 بليون سنة . وهناك طريقة مستخرجة من أعمار النجوم القديمة وعليها يتراوح عمر الكون من 9 – 18 بليون عام[1].

ولقد تمكنت ناسا من تقدير عمر الكون بمساعدة مجسّ فضائي ، فعمر الكون يبلغ 13.7 مليار عام واستطاعت تحديد تاريخ بدء النجوم بالتوهج بأنه بدء بعد 100 مليون عام فقط من الانفجار[2] .

وليس في موضوع تحديد عمر الكون شيء قطعي بل كلها مجرد تقديرات لا تصل إلى درجة اليقين .

---

[1] – انظر : بركات بطاينة ، **مقدمة في علم الفلك** ، ص 191 – 192 .

[2] – WWW.AILKOON.AINOMROSI.NET

المطلب الثالث

الأدلة على صحة نظرية الانفجار ومشاكلها

هناك العديد من الأدلة التي تؤيد نظرية الانفجار ومنها : –

الدليل الأول : – تمدّد الكون ، إذا نظرنا إلى نجم عبر التلسكوب وقمنا بتحليل ألوان الطيف الضوئي الصادرة عنه لدينا ثلاثة احتمالات هي :

أولاَ – إذا كانت المسافة التي تفصلنا عن النجم ثابتة نرى ألوان الطيف الضوئي كما هي.

ثانياَ – إذا كان النجم يقترب منا فإنّ الطيف الضوئي في هذه الحالة يعاني انحرافا نحو اللون الأزرق باتجاه الأمواج القصيرة للضوء وكأن هذه الأمواج تنضغط .

ثالثاَ – إذا كان النجم يبتعد عنا فإنّ طيفه الضوئي ينحرف نحو اللون الأحمر باتجاه الأمواج الطويلة للضوء وكأن هذه الأمواج تتمدد[1] .

في عام 1929 توصل الفلكي الأمريكي أدوين هابل الذي يعمل في مرصد جبل ويلسون إلى أن ضوء النجوم ينحرف نحو الطرف الأحمر من الطيف بشكل حاسم ، وهذا الانحراف مرتبطٌ مع بُعد النجوم عن الأرض وهذا ما كان شائعا عن الكون . إن أطياف الحزم الضوئية المنبعثة من أجسام تتحرَّك باتجاه الراصد تميل نحو الأزرق بينما أطياف حزم الضوء المنبعثة من أجسام تتحرَّك مبتعدة عن الراصد تميل نحو الأحمر. وبعد فترة اكتشف أن

---

[1] – www.55a.net. بقلم عبد الدائم الكحيل

النجوم لم تكن تتباعد عن الأرض بل عن بعضها البعض فكل شيء في الكون يتحرك بعيدا عن كل شيء فيه . فالكون يتمدد بانتظام ، وبذلك تحققت استنتاجات فريدمان ، واعترف اينشتاين بخطئه . وهذا يقود إلى أن مادة الكون كانت مضغوطة في كتلة صغيرة . وللكون بداية عكس ما ذهبت إليه المادية من أن الكون لا أول له ولا أخر [1] .

كان اكتشاف انحراف المجرَّات مبني على الظاهرة الفيزيائية التي اكتشفها دوبلر في عام 1840 ، فانحراف طول الموجة قد يزيد وقد يقصر. فإذا كان الانحراف ناحية اللون الأزرق فيعني هذا قصر طول الموجة ، وإنْ كان الانحراف نحو الأحمر يعني تطاول الموجة. والطول الموجي يزداد إذا كان الجسم الباعث لهذه الموجات يبتعد عنا . وسرعة الصوت تساوي 330م / ث أما سرعة الضوء فهي 300000كم / ث ولهذا يصعب تميز مثل هذا التغير بالنسبة للضوء إلا لدى الأجسام الفضائية التي تملك سرعات كبيرة تقرب من مئات أو آلاف الكيلومترات في الثانية . ولا يظهر كتغير في لون الضوء فالجسم المبتعد عنا مثلا ينشر ضوء برتقالي وهذا اللون سينحرف نحو الأحمر ، فالأصفر سيأخذ لون البرتقالي ، والأخضر محل الأصفر ، والأزرق محل الأخضر ، والبنفسجي محل الأزرق وغيرها من الانحراف ، وهكذا يبقى الطيف على حالته الاعتيادية دون تغير[2] . والرقم المحدد بالضبط لمدى سعة التباعد عند مسافة معينة يعتبر من الأرقام الهامة ويسمى بثابت هابل ويقبل علماء الكون الرقم 50 كيلومتر في الثانية لكل ميجا بارسك (فرسخ نجمي) والبارسك يساوي 3.2 سنة ضوئية فمجرة تبعد عنا بمقدار 10 ميجا بارسك تتباعد بسرعة 500 كيلومتر في الثانية . وهذا يعني أن الكون يتمدد بنفس المعدل في كل مكان . فالنظر إليه من أي مكان سيكون نمط

---

[1] – www.55a.net بقلم هارون يحيى

[2] – انظر : أميد شمشك ، **الانفجار الكبير أو مولد الكون** ، ص 32 – 34 .

الحركة هو نفسه بقدر كبير ، فنحن لسنا في مركز الكون . ولا يمكننا مشاهدة المجرَّات المتباعدة بأسرع من سرعة الضوء حيث أنْ إشعاعها يستحيل أن يصل إلينا والحد الذي لا يمكننا تجاوزه في الرؤية ولو من ناحية المبدأ يطلق عليه الأفق الكوني[1]. عمل هابل قدر استطاعته على تقدير أبعاد هذه المجرَّات وأعلن ما أسماه بقانون هابل والذي ينص: (على أن معدل تراجع المجرَّات يتناسب طردا مع بعد المجرة عنا) وكلما نفذنا إلى الخارج سجلت سرعات تراجع تصل إلى الآلاف وعشرات الآلاف من الكيلومترات في الثانية . وتبين أن المجرَّات مرتبة في مجموعات متماسكة مع بعضها بواسطة قوى الجاذبية فالمجموعات هي التي تبتعد عن بعضها، فهناك مجرتين قريبتين تدنوان منا وهذا دليل على أنهما من أجزاء مجموعة مجرتنا المحلية [2].

والنتيجة الأخرى التي نتوصل إليها في تدقيق وفحص الأطياف الضوئية أنَّ سرعة التوسع كانت أكبر في الماضي . فحسب قانون هابل تكون سرعة أية مجرة تبعد عنا خمسة بلايين سنة ضوئية 75000 كم / ث علما بأن هذه السرعة هي السرعة التي ندركها ونحسبها الآن ، وليست السرعة الحقيقية للمجرَّات ؛ لأن سرعة الضوء محدودة لذا لا نشاهد مجرة تبعد عنا مسافة عشرة ملايين سنة ضوئية في وضعها الحالي بل قبل عشرة ملايين سنة . فسرعة الكون في الماضي كانت أعلى مما هي عليه الآن، ومن ذلك نرى اقتراب المجرَّات من بعضها البعض كلما عدنا في الزمن ، فالكون يتسع نتيجة الانفجار المروع ، وبما أن قوة الجاذبية تبدي مقاومة لهذا الاتساع فإن تأثير الانفجار يتناقص تدريجيا وبالتالي فنسبة تزايد

---

[1] – انظر : بول ديفيز وجون جريبين ، **أسطورة المادة** ، ترجمة علي يوسف علي ، الهيئة المصرية العلمية للكتاب ، مصر ، 1998 ، ص 101 – 103 .

[2] – انظر : إسحاق عظيموف ، **استكشاف الأرض والكون** ، ترجمة هاشم احمد محمد ، ط1 ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2003 ، ، ص 321

المسافات بين المجرَّات تبدأ بالهبوط[1]. وليس مجرتنا هي مركز الكون فالفضاء هو الذي يتسع والمجرَّات تبتعد عنا باستمرار فأينما كنا في الفضاء فأي راصد أينما وجد في الكون سيرى الكون يتسع حوله بالطريقة ذاتها فليس للكون مركز مميز للاتساع وإذا كان الاتساع يجري بانتظام . ويطلق على افتقار التوسع إلى مركز مميز للاتساع اسم المبدأ الكوني[2] . فلو أن هناك ثلاث مجرَّات هي A، B، C، على استقامة ، فالمسافة من A إلى B هي نفس المسافة من Bإلى C فمهما كانت سرعة Bالملاحظة من A فالمبدأ الكوني يقتضي أن السرعة هي نفسها سرعة C بالنسبة إلى B ولكن C بعدها عن A ضعف بعد B عن A فهي أسرع بالنسبة إلى A بمرتين . ويشهد لهذا المبدأ الخلفية الإشعاعية الكونية التي تأتي من كافة الاتجاهات في السماء وبنفس الشدة[3].

وفي عام 1933 كان الفلكي فيرتز زويكي يقوم بقياس سرعة فرار المجرَّات عن بعضها ضمن العنقود المجري الذؤابة ولاحظ بعد تحليل أطياف المجرَّات وحساب كتلتها بأن المجرَّات تتباعد أبطأ من السرعة التي تنبأت بها الحسابات الفلكية وهذا يدل على أن الجاذبية التي بين المجرَّات أكبر بكثير من جاذبية المجرَّات المعروفة ، واستنتج بأن عشرة بالمائة من مادة العنقود المجري هي المرئية فقط ، وأن تسعين بالمائة من مادة العنقود المجري غير مرئية أو مظلمة يفترض وجودها حتى تكون بالتالي قادرة على جعل العنقود متماسكا ، وبالتالي تجعل سرعة فرار المجرَّات عن بعضها في العنقود بطيئة . وعند دراسة العلماء حركات المجرَّات وجدوا أن النجوم التي تقع في أطراف المجرة تدور بنفس السرعة التي تدور فيها النجوم القريبة من نواة المجرة بعكس توقعات العلماء ، فالقريبة تدور بسرعة أكبر

---

[1] – انظر : أميد شمشك ، **الانفجار الكبير أو مولد الكون** ، ص 39 – 41 .

[2] – انظر : توماس ت آرني ، **استكشاف ومقدمة في علم الفلك** ، ص 687 .

[3] – انظر : أسامة علي خضر ، **القرآن والكون من الانفجار العظيم إلى الانسحاق العظيم** ، ص 745 .

من النجوم البعيدة، فاعتقدوا بوجود مادة غير مرئية فيما بين المجرَّات تجعل سرعة النجوم القريبة من نواة المجرة تتباطأ في دورانها ، مما يجعل النجوم في المجرة تسير بنفس السرعة . هذه المادة لا تشع ولا تعكس ولا تمتص الضوء فهي غير مألوفة لنا . فربما تكون المادة المظلمة الكواركات ، وهي اللبنات الأساسية للمادة في الكون ، كانت موجودة قبل تشكل المادة الحالية للكون، ومنها تشكلت الجسيمات الأولية للمادة . أو هي مادة الكون الظل مثل مادة الكون المرئي تماما ، ولكنها لا تتفاعل مع مادة الكون المرئي سوى بالجاذبية فقط ودون أن نراها . أو ربما هي رفات الأقزام البيضاء بحيث تبقى على شكل مادة باردة دون أن تبث أي حرارة أو أي أشعة أو جسيمات ذوات كتل كبيرة نشأت عند الانفجار، وقد تنبأت بوجودها نظرية التماثل الفائق وهي الجسيمات التي تشكلت منها القوى الأربعة في الكون بعد أن كانت موحدة قبل الانفجار[1] . ولكن المادة الباردة هي جسيمات بطيئة الحركة ولو كانت كذلك فلا يمكنها جمع ملايين النجوم في المجرَّات من خلال الجاذبية. أو هي نوعا من الأربطة الكونية تربط بين المجرَّات وبين النجوم داخل المجرَّات[2].

يشكك البعض في فكرة التمدد وأن التغير نحو الأحمر يمكن أن ينتج من أسباب أخرى غير تمدد الكون . فهناك التغير للأحمر الجاذبي الذي يضطر فيه الضوء لمغادرة حقل جاذبيه شديد إلى أن يفعل الكثير للتخلص من فقدان الطاقة في أثناء الرحلة ، ويبدو أثناء ذلك راصد يراقب عن بعد كأن الضوء الهارب ينتقل إلى موجات أطول وألوان أكثر احمرارا ؛ وذلك بسبب الاعتقاد بوجود ثقوب سوداء هائلة في مراكز بعض المجرَّات ، ولكن الخطوط الطيفية التي رصدت هي غالبا خصائص غاز منتشر ودقيق جدا ولا تعود لتلك الكثافة العالية إلى حد

---

[1] – انظر : عماد مجاهد ، **الموسوعة الفلكية الحديثة** ، دار الفارس ، عمان – الأردن ، 2002 ، ط1 ، ص337 – 339 .

[2] – WWW . ISLAMONLINE . NETبقلم خالد يونس .

مدهش والتي يجب أن تسود على مقربة من الثقوب السوداء[1] . أو يكون التغير نحو الأحمر غير عائد إلى التمدد العام للكون بل لانفجار مجرَّات محلي أكثر تواضعا ، وأنّ شظايا الانفجار التي يقترب بعضها منا ويبتعد بعضها عنا والتغيرات نحو الأحمر والبنفسجي وما نراه فعلا هو تغيرات نحو الأحمر حصرا بغض النظر عن نوع الأجسام البعيدة فيما وراء المجموعة المحلية . وجد الفلكي هالتون آرب حالات تكون فيها مجرة أو زوج من المجرَّات في ارتباط مادي واضح ولكن لها تغيرات مختلفة جدا في لونها الأحمر فلو أن التغير يعود إلى تمدد الكون فإن التغيرات المختلفة جدا في هذا اللون تقتضي وجود مسافات بعيدة جدا ولكن لا يمكن فصل مجرتين مرتبطتين ماديا مع بعضهما إلا بصعوبة جدا . والمشككون يقولون أن الارتباط مجرد ظاهرة إحصائية محضة . فقد يكون هناك مجرتين لكل منهما تغيرات مختلفة وسرعات ابتعاد مختلفة يكونان موجودين مصادفة على امتداد خط النظر ولا يوجد ارتباط حقيقي بينهما[2] . ويرى هؤلاء العلماء أن الكون محكوم بتوازن عاملين هما :

أولاً- قوة تحمله على التمدد وهو فعل الانفجار الكبير الذي أعطى الكون طاقة حركية عظيمة .

ثانياً- قوة الجاذبية التي تتعلق بجذب أجزاء الكون بعضها إلى بعض بسبب التجاذب الثقالي وهذا يدعو إلى تقلص الكون . ووفقا لذلك إما أن يستمر الكون بالتمدد إلى الأبد أو تتمكن قوى الجاذبية من إيقاف تمدد الكون وحمله على التقلص[3].

---

[1] - انظر : عامر علي غبرة ، **نشأة الكون حتى عصر الفضاء** ، ص 16 .

[2] - انظر : كارل ساغان ، **الكون** ، ترجمة نافع أيوب لبس ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1993 ، ص 231 - 232 .

[3] - انظر : عامر علي غبرة ، **نشأة الكون حتى عصر الفضاء** ، ص 16 - 17 .

وعلى هذا كان اكتشاف تمدد الكون في بداية القرن العشرين أول دليل على نظرية الانفجار .

الدليل الثاني : – إشعاع الخلفية الكوني . نلاحظ مما سبق أن ما أعلنه لوميتر من أن الكون يتمدد ويزداد اتساعا كلما تقدم الزمن فلا بد أنه كان منكمشا وأصغر كلما عدنا إلى الوراء إلى الزمن صفر وهي اللحظة التي بدأ عندها الكون فكانت كتلته منضغطة في حجم صغير ، واعتبر هذا الحجم بيضة كونية انفجرت انفجاراً هائلاً فكان من جراء ذلك أن نشأ الكون الذي نعرفه . ولم تجد هذه الفكرة قبولا حتى الأربعينيات عندما أعلن جورج غاموف أن الكون في بدايته كان متناهياً في الصغر وساخناً بدرجة تفوق الوصف . ففي المراحل الأولى التحمت البروتونات والنيوترونات لتشكل نوى الذرات . والحسابات الفلكية تؤكد أن الاندماج النووي في بدايات خلق الكون توقف بعد إنتاج الهيدروجين والذي يشكل ثلاثة أرباع الكون ، والهليوم الذي يشكل ربع الكون فلا بد من إيجاد آلية فيزيائية حالت دون تشكل العناصر الثقيلة في البداية ، ولو حدث ذلك لاستنفذ الكون وقوده وطاقته مبكراً . ففكر أن الكون لا بد أن يكون مغمورا بنشاط إشعاعي كثيف حال دون تشكل الذرات الثقيلة ، مما جعل الكون متكون من الهيدروجين والهليوم فقط[1]. والذي حطم تحضير النوى الأثقل وجود إشعاع يملأ الكون له حرارة عالية وأطوال موجية قصيرة . وقد أثر تمدد الكون على هذا الإشعاع فأصبح بصورة مختلفة عما كان عليه في بداية الكون . ويجب أن يكشف الفلكيون خلفية معتمة من إشعاع الراديو القصيرة في جميع الاتجاهات بصورة متساوية[2] .

---

[1] – انظر : أسامة علي خضر ، **القرآن والكون من الانفجار العظيم إلى الانسحاق العظيم** ، ص 751 .

[2] – انظر : طالب ناهي الخفاجي ، **نظرتنا المعاصرة إلى الكون** ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد – العراق ، 1986 ، ط2 ، ص 33 .

في عام 1964 قام أرنو بنزياس وروبرت ويلسون بقياس مستوى الضجيج الذي يصيب القمر الاصطناعي ايكوا الذي كان رائدا في المواصلات وبطريق الصدفة التقطا إشعاعات لموجات الراديو القصيرة جدا وحرارته 3.05 كلفن ، وطول الموجة يتراوح من مليمتر حتى بعض السنتمترات وليس له مصدر معين . ورجحوا أن الإشعاع الضئيل جدا لا يصدر إلا عن جسم لا يتجاوز حرارته 3 درجات فوق الصفر المطلق. والصفر المطلق يساوي –270 درجة مئوية تحت الصفر المطلق ، ولم يعرفا سبب الإشعاع . فأشار عليهما برناد بورك أن هذا الضجيج قد يكون ظاهرة فلكية وأشار عليهما الاتصال مع روبرت ديك ، ولما كلمه بالهاتف سمع ديك يتكلم عن إشعاع الخلفية الكوني للأعماق [1]. وفي نفس الوقت كان ديك ومجموعته يعملون على اكتشاف إشعاع الخلفية الكونية. ونشر كل منهما ما تم التوصل إليه ، وحصل روبرت وويلسون على جائزة نوبل لأسبقيتهما في اكتشاف الإشعاع [2].

يرجع الإشعاع إلى ثلاثمائة ألف سنة بعد الانفجار الأعظم ، عندما برد الكون إلى درجة حرارة حوالي 4000درجة مئوية وقبل هذا كان الغاز البدائي المتكون من الهيدروجين عبارة عن بلازما متأين غير منفذ للإشعاع الكهرومغناطيسي ، ومع هبوط درجة الحرارة تحولت البلازما إلى غاز الهيدروجين غير متأين يسمح للإشعاع بالانتشار خلاله ، ويتميز الإشعاع بالانتظام المفرط عبر السماء فدرجة الحرارة لا تتغير إلا بحوالي جزء واحد من مائة ألف في كافة الاتجاهات المختلفة في الفضاء . ويستتبع هذا تجانسا في مادة الكون على اتساعه ولكن ليس متجانسا بشكل كامل . فالمجرَّات تتجمع في عناقيد والعناقيد تتجمع بدورها

---

[1] – انظر : فري بيتو ، **إبداع الفنان نظرة شمولية للكون** ، ص 64 .

[2] – انظر : طالب ناهي الخفاجي ، **نظرتنا المعاصرة إلى الكون** ، ص 34 .

في عناقيد عظمى، ومن المحتم أن التجمع الأكبر للكون تطور بطريقة ما من حالة أكثر تجانسا والتفسير الأكثر معقولية يرجع إلى قوة الجاذبية بطيئة التأثير[1].

فكان هذا الدليل الثاني الذي يؤيد نظرية الانفجار، والذي في نفس الوقت يبطل نظرية الحالة المستقرة التي لا تفسر سبب وجود الإشعاع . وفي عام 1989 أرسلت ناسا المركب كوب COBE للتأكد من النتائج التي تم التوصل إليها ، وقررت وجود شيء ما له شكل كثيف وساخن بقي من الانفجار الذي أتى منه الوجود[2].

الدليل الثالث الذي يؤيد نظرية الانفجار: – هو نسبة عنصر الهيدروجين والهليوم في الكون. فقد أشارت الأرصاد إلى أن مزج هذين العنصرين في الكون أتى مطابقا للحسابات النظرية لما بقي بعد الانفجار الكبير؛ لأن الكون لو كان خالدا وليس له بداية فمعنى ذلك أن كل غاز الهيدروجين قد تحول إلى غاز الهليوم [3] . ولكن وجود غاز الهليوم بهذه النسبة يحتاج إلى تفسير فالكون يحوي نواة واحدة من الهليوم لكل عشر نوى هيدروجين، والنسبة تبقى ثابتة في كل أرجاء الكون . وينتج الهليوم من التفاعلات النووية داخل النجوم ، والذي يتحول فيها الهيدروجين إلى هليوم ، ولكن هذا لا يفسر نسبة توافر الهليوم. وعندما كان عمر الكون أقل من دقيقة لم يكن من الممكن وجود الهليوم ؛ لأن حرارة الكون بالغة الارتفاع فالحرارة العالية لها تأثير مدمر على الأنوية فلا بد أنه تكون بعد الدقيقة الأولى؛ لأن الحرارة انخفضت بما يكفي لالتحام البروتونات والنيوترونات مع ملاحظة أن عملية تكوين الهليوم لم تستمر إلا لزمن قصير لأنه مع استمرار وتمدد الكون انخفضت الحرارة وتوقف إنتاج الهليوم . وكذلك

---

[1] – انظر : بول دافيز ، **الدقائق الثلاث الأخيرة** ، ترجمة هاشم احمد محمد ، الهيئة المصرية العامة ، مصر ، 1997 ، ص 39 – 40 .

[2] – WWW. ISLAMONLINE . NETبقلم أورخان محمد علي .

[3] – انظر : هارون يحيى ، **خلق الكون** ، ص 21 .

القانون الثاني للديناميكا الحرارية والذي ينص على انتقال الحرارة من الجسم الساخن إلى البارد ولا يحدث العكس حتى يصل النظام إلى التوازن الحراري ولما كانت النجوم تضيء بالوقود النووي الذي يصاحبه فقدان في الحرارة باستمرار فلو كان الكون أزلياً لكان انتهى به الأمر إلى التوازن الحراري منذ قديم الزمن . فالكون يشهد بأن له بداية ، ونظرية الانفجار تقدم تفسيرا لذلك[1] .

ولكن على الرغم من الأدلة التي جاءت تؤيد نظرية الانفجار إلا أن هذه النظرية تواجه بعض المشاكل والأسئلة التي لم تجب عليها هذه النظرية .

في عام 1980 طرح ألان جوث ما يسمى بنظرية التضخم والتي يفترض فيها أن الكون عند مسافة بلانك 10^{-33} سم وزمن بلانك 10^{-43} ثانية يفقد الكون صفته كمتصل سلس، ويبدو مثل الفقاقيع التي تظهر وتختفي على نحو الجسيمات التقديرية . فيمكن لفقاعة أن تنشأ من الفراغ من لا شيء ، وتقاوم الفناء اللحظي لتتحول إلى الكون المستقر. ويفترض وجود تمدد سريع في وقت مبكر من تاريخ الزمن . والمجالات الكمية المنتشرة في الكون المبكر تؤدي إلى نوع من قوة مضادة للجاذبية تجعل الكون يتمدد بسرعة خارقة لفترة وجيزة . ويبدأ التمدد التضخمي حيث كان عمر الكون من 10^{-35} إلى 10^{-32} ثانية وزاد حجم الكون بمعامل 10^{50} مرة في غضون هذه الفترة التي حدث فيها التضخم . كان الكون مجرد فراغ ولم تكن كتلته ولا طاقته تستطيعان بلورة جسيمات وهذا يشبه تبريد الماء ببطء فإنه يظل سائلا رغم انخفاض درجة الحرارة ويسمى هذا التبريد الفائق . وبرد الكون وتجمدت القوة النووية الشديدة

---

[1] – انظر : أسامة علي خضر ، **القرآن والكون من الانفجار إلى الانسحاق** ، ص 757 – 759 .

ثم انتفخ الكون وبعد انتهاء التضخم عاد تسخين الكون فولدت مادة جديدة وعاد الكون إلى توسعه الأبطأ الذي حدث إثر الانفجار[1].

أما النموذج التقليدي فيبين أن الكون يتناقص معدل تمدده منذ البدء ، فلو كان الانفجار غير قوي لتهاوى الكون على نفسه مرة أخرى ، ولو كان أعنف من ذلك لتشتتت المادة بما لا يسمح بتكون المجرَّات . وجاء نموذج التضخم يبين أن الزيادة الأسية تولد عنها توازن في تمدد الكون بالنسبة للجاذبية بدرجة يصعب قياسها[2].

يفسر النموذج التضخمي انتظام توزيع إشعاع الخلفية بصورة أمواج صغرية ، فنظرية الانفجار تبين أن الكون كان محصورا أساسا في كرة يقرب قطرها 15 سنتمتر وعلى الرغم من صغره فإنه يتمدد بسرعة عالية لا يسمح للمادة والإشعاع أن يتمازجا تمازجا تاما ، فالإشعاع غير منتظم . أما النموذج التضخمي يبين أن الكون كان حجمه أصغر من حجم البروتون تريليون تريليون مرة ، فالظروف متاحة لتمازج الإشعاع والقوى الفاعلة ذلك الحين ؛ وقد تمازجت تمازجا كاملا وكذلك المادة والطاقة ، وبقي الانتظام خلال المراحل الأولى للتمدد واستمر حتى يومنا هذا على صورة انتظام شبه تام من إشعاع الخلفية ، وهو غير منتظم تماما فهناك فروق تنشأ عن تكتل الغازات في الكون الناشئ[3] .

ويفسر النموذج التضخمي انتظام الكون فأي تشوهات أولية سوف تنتظم مع تمدد الكون، وأي تغيرات مبكرة في معدل التمدد في اتجاهات مختلفة سيتم التغلب عليها في الحال

---

[1] – انظر : غوردن فريزر وايغيل ليلستول ، **البحث عن اللانهاية حل أسرار الكون** ، ترجمة مكي الحسيني واحمد ألحصري ، ط1 ، دار طلاس ، دمشق ، 1997 ، ص 103 .

[2] – انظر : بول ديفيز وجون جريبين ، **أسطورة المادة** ، ص 145 .

[3] – انظر :توماس ت آرني ، **استكشافات ومقدمات في علم الفلك** ، ص 711 .

بواسطة التضخم الذي يعمل بنفس النشاط في كل الاتجاهات ، والتشوهات التي كشفت عنها مركبة كوب COBE ترجع إلى أن التضخم قد لا يكون انتهى في نفس اللحظة في كل مكان ، فبعض المناطق قد تضخمت أكثر قليلا من مناطق أخرى ، فحدثت تغيرات طفيفة في الكثافة[1].

فسرت نظرية التضخم السبب في فناء المادة المضادة فتحطيم التناظر أدى إلى خلق مادة بحيث يكون عدم توازن طفيف بين عدد الجسيمات الأولية الاعتيادية والمادة المضادة والتوازن أمر حرج قد ينتج عنه فناء المادة والمادة المضادة تماما ، ويصبح الكون خاليا من المادة ولا يحتوي إلا على الإشعاع ، فالتقاء الجسيم مع ضده أدى إلى فناء المادة المضادة والجسيمات الزائدة كانت هي الباقية . فنظرية الانفجار لا تبين أين ذهبت المادة المضادة [2] .

تتناقض فكرة تكوين المجرَّات مع فكرة تمدد الكون . فقد كان الكون عبارة عن سحابة من الهيدروجين والهليوم تقلصت هذه السحابة بسبب قوة الثقالة ، وربما بعد زمن تكسرت إلى قطع صغيرة وأخذت القطع ترتفع درجة حرارتها لحدوث تفاعلات نووية وتكونت النجوم، ولكن التمدد سيجعل المادة مشتتة ومبعثرة ولا يمكن للجاذبية تجميعها معا .

في عام 1985 طرح ادوارد ويتن فرضية تبين أن الكون يحتوي على أوتار كونية تخلقت عندما كان عمر الكون 10^{-35} ثانية . والأوتار الكونية عبارة عن تركيزات طويلة من الطاقة تشبه الخيوط وهي ثقيلة جدا وليس لها نهايات فهي حلقات مقفلة وتبلغ من النحافة حوالي جزء من المليون تريليون تريليون من السنتمتر ، ولا يمكن رؤيتها على الإطلاق.

---

[1] – انظر : بول دافيز ، **الدقائق الثلاثة الأخيرة** ، ترجمة هاشم أحمد ، الهيئة المصرية العامة ، مصر ، 1997 ، ص 43 .

[2] – انظر : توماس ت آرني ، **استكشافات ومقدمات في علم الفلك** ، ص 711 .

وكان لهذه الأوتار دور حاسم في تكوين المجرَّات ، فهي تلتف وتتقاطع إحداها مع الأخرى ، وأثناء تحركها في الكون تنكسر إلى حلقات مقفولة تكون بذور جذبوية لتشكل المجرَّات ، وهي تسلك نفس سلوك الموصلات الفائقة الناقلية حيث سلوك الجسيمات الذرية يتغير تماما عندما تقع أسيرة الأوتار حيث يكون بعضها بلا كتلة وبالتالي تخليقها لا يحتاج إلى طاقة وقدر قليل من الطاقة سيجعلها تتحرك بسرعة الضوء حسب نظرية النسبية. وعندما يتحرك الإلكترون والبوزيترون حول حلقة وترية في اتجاهين متضادين سوف يخلق تيار كهربائي له قوة تساوي ضعف التيار الكهربائي الذي يخلقه الإلكترون وحده أو البوزيترون وحده . وعندما ينشأ تيار فائق التوصيل خلال وتر كوني سيتم تخليق مجالات كهربائية ومغناطيسية لها القدرة على إحداث انفجارات هائلة ينشأ عنها فقاعات غازية تتصادم مع الهيدروجين والهليوم فتكون غازات ساخنة تسرع من تكوين المجرَّات في الكون. والأوتار موجودة بدلالة تأثيراتها على رؤية بعض المجرَّات إذا وقع وتر كوني بين مجرة ومشاهد على الأرض سيرى صورتين متطابقتين لتلك المجرة وحدث ذلك بالفعل[1].

[1] – انظر : أسامة علي خضر ، **القرآن والكون من الانفجار إلى الانسحاق** ، ص 764 – 766 .

المبحث الرابع :

الغاية والحكمة من خلق الكون في التوراة والقرآن .

المطلب الأول : الغاية والحكمة من خلق الكون في التوراة .

المطلب الثاني : الغاية والحكمة من خلق الكون في القرآن .

المطلب الأول

الغاية والحكمة من خلق الكون في التوراة

لقد خلق سبحانه هذا الكون الفسيح بجميع ما فيه من موجودات وكائنات لغاية وحكمة، فلم يخلق شيئاً عبثاً بلا غاية أو هدف . ولكن ما الغاية والحكمة التي خلق الله من أجلها الكون بما فيه كما ورد في التوراة المقدسة عند اليهود ؟

في قصة الخلق نجد بعضا من الحكمة التي من أجلها خلق الله الكون فيقول : (ثم أمر الله لتزخر المياه بشتى الحيوانات الحية ولتحلق الطيور فوق الأرض عبر الفضاء وهكذا خلق الله الحيوانات المائية الضخمة والكائنات الحية التي اكتظت بها المياه كلا حسب أجناسها ، وأيضا الطيور وفقا لأنواعها ورأى الله ذلك فاستحسنه وباركها قائلا انتجي وتكاثري واملإي مياه البحار ولتتكاثر الطيور فوق الأرض ثم جاء مساء أعقبه صباح فكان اليوم الخامس ثم أمر الله لتخرج الأرض كائنات حية كلا حسب جنسها من بهائم وزواحف ووحوش وفقا لأنواعها وهكذا كان فخلق الله وحوش الأرض والبهائم والزواحف كلا حسب نوعها ورأى الله ذلك فاستحسنه ثم قال الله لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا فيتسلط على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى الأرض وعلى كل زاحف يزحف عليها لق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى خلقهم وباركهم الله قائلا لهم أثمروا وتكاثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يتحرك على الأرض ثم قال لهم إني قد أعطيتكم كل أصناف البقول المبزرة المنتشرة على كل سطح الأرض وكل شجر مثمر مبزر لتكون لكم طعاما أما العشب الأخضر فقد جعلته طعاما لكل من

وحوش الأرض وطيور السماء والحيوانات الزاحفة ولكل ما فيه نسمة حياة وهكذا كان وهكذا كان)[1].

خلق الرب سبحانه كل أصناف الحيوانات المائية والطيور وأمرها بالتكاثر ، وخلق الكائنات الحية التي تعيش على اليابسة ، وبعد ذلك خلق الإنسان ، وأمره أن يتسلط على سمك البحر وطير السماء ، وعلى كل زواحف الأرض ، وأمرهم أن يخضعوا هذه الكائنات لمصالحهم وأنبت لهم البقول المبزرة وكل شجر مثمر لتكون لهم طعاما ، أما العشب الأخضر فقد جعله طعاما لحيوانات الأرض وطيور السماء . فالغاية من خلق جميع المخلوقات لملحة الإنسان . ونجد هذه الغاية في أكثر من نص من نصوص التوراة منها : –

(وبارك الله نوحا وأبناءه قائلا لهم أثمروا وتكاثروا واملأوا الأرض لتطغ الخشية منكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وطيور السماء وعلى كل متحرك على الأرض وعلى سمك البحر فإنها كلها قد أصبحت خاضعة لكم ، وليكن كل حي متحرك طعاما لكم فتأكلون كل شيء كما تأكلون البقول الخضراء التي أعطيتكم ولكن لا تأكلوا لحما بدمه)[2] ، فالإنسان خلق ليتسلط على هذه المخلوقات لتكون طعاما لهم ، بالإضافة إلى البقول لتساعدهم في حياتهم .

وكذلك ما جاء في قوله : (أنت المفجر الينابيع في الأودية فتجري بين الجبال تسقي جميع حيوانات البرية وتروي منها حمير الوحش عطشها إلى جوارها تعشش طيور السماء وتغرد بين الأغصان تسقي الجبال من أمطار سمائك وتمتلئ الأرض من أثمار أعمالك أنت

---

[1] – سفر التكوين 1 : 20 – 30 .

[2] – سفر التكوين 9 : 1 – 4 .

المنبت عشبا للبهائم وخضرة لخدمة الإنسان لإنتاج خبز من الأرض)[1]، فالرب سبحانه ينزل المطر من أجل أن يسقي جميع حيوانات البرية التي هي غذاء للإنسان ، وينبت العشب من أجل أن تكون طعاما للبهائم التي يسيطر عليها الإنسان وغذاء لها ، وخضرة من أجل خدمة الإنسان؛ لإنتاج الخبز . فكل ما خلق في الكون من أجل خدمة الإنسان هذا المخلوق المكرم .

ولكن ما الغاية والحكمة من خلق النجوم والكواكب ؟

جاء في سفر التكوين : (ثم أمر الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفرق بين النهار والليل فتكون علامات لتحديد أزمنة وأيام وسنين وتكون أيضا في جلد السماء لتضيء الأرض وهكذا كان وخلق الله النورين عظيمين : النور الأكبر ليشرق في النهار والنور الأصغر ليضيء في الليل كما خلق النجوم أيضا وجعلها الله في جلد السماء لتضيء الأرض لتتحكم بالنهار والليل ولتفرق بين النور والظلام ورأى الله ذلك فاستحسنه) [2] ؛ فالحكمة من خلق الأنوار لتفرق بين الليل والنهار ، ولمعرفة عدد الأيام والسنين ، ولإضاءة الأرض وهكذا ، وخلق النور الأكبر والنور الأصغر وجاء في نص آخر توضيح لمعنى النور الأكبر والنور الأصغر (هذا ما يعلنه الرب الذي جعل الشمس للإضاءة في النهار وحكم على القمر والكواكب للإنارة ليلا الذي يثير البحر فتصخب أمواجه أما اسمه فالرب القدير)[3] . وكذلك ما جاء في النص التالي (أنت صنعت القمر لتحديد مواقيت الشهور والشمس تعرف موعد مغربها تحل الظلمة فتصير ليل يجوس فيه كل حيوان الغابة تزمجر الأشبال طلبا لفريستها

---

[1] – سفر المزامير 104 : 10 – 14 .

[2] – سفر التكوين 1 : 14 – 18 .

[3] – سفر إرميا 31 : 35 .

ملتمسة طعامها من عند الله وما أن تشرق الشمس حتى تعود إلى عرائنها وتربض فيها أما الإنسان فيخرج إلى عمله وشغله حتى المساء يا رب ما أعظم أعمالك كلها صنعت بحكمة فامتلأت الأرض من غناك)[1] ؛ فالقمر لتحديد مواقيت الشهور ، والنهار كي يعمل فيه الإنسان ، ويحصل على رزقه والليل من أجل الراحة ومن أجل الحيوانات التي لا تخرج إلا بالليل للحصول على طعامها .

ماذا تقول التوراة عن الحكمة من خلق حواء عليها السلام ؟

(ثم قال الرب الإله ليس مستحسنا أن يبقى آدم وحيدا سأصنع له معينا مشابها له وكان الرب الإله قد جبل من التراب كل وحوش البرية وطيور الفضاء وأحضرها إلى آدم ليرى بأي الأسماء يدعوها ؛ فصار كل اسم أطلقه آدم على كل مخلوق حي اسما له وهكذا أطلق آدم أسماء على كل الطيور والحيوانات والبهائم غير أنه لم يجد لنفسه معينا مشابها له فأوقع الرب الإله آدم في نوم عميق ثم تناول ضلعاً من أضلاعه وسد مكانها باللحم وعمل من هذا الضلع امرأة أحضرها إلى آدم)[2] ؛ فالحكمة من خلق حواء هو أن تكون معينا وعونا لآدم لكي لا يكون وحيدا في هذا الوجود .

فالحكمة من خلق هذا الكون بما فيه ؛ لكي يكون في خدمة وسيطرة هذا الإنسان ووفقا لمصالحه وأهدافه . والإنسان هو رأس المخلوقات الحية وسيدها ، والناس في الأصل من دم واحد غير أنهم تفرقوا بعدئذ إلى أمم وقبائل عديدة يتميز بعضها عن بعض في العديد من الصفات ، وخلق الله الإنسان من التراب ، وخلقه على صورته تعالى كما جاء في التوراة تعالى الله عمل يقولون ، مميزاً إياه عن سائر الكائنات الحية بما أودع فيه من روح حية خليقة

---

[1] – سفر المزامير 104 : 19 – 24 .

[2] – سفر التكوين 2 : 18 – 22 .

تؤهله ليكون مشابها لصورة خالقه . وورد في قصة الخلق أن الله نفخ في أنفه نسمة حياة ، ولا يراد بهذه النسمة عملية التنفس الطبيعي فحسب ، وإنما المراد منها أن الله أعطاه تلك القوى العقلية والروحية مقترنة بالنفس الحية[1]. ويؤمن بعض اليهود بأنهم شعب مختار ، وهذه مقولة أساسية في النسق الديني اليهودي ، وتعبير آخر عن الطبقة الحلولية التي تشكلت داخل التركيب الجيولوجي اليهودي وتراكمت فيه ، والثالوث الحلولي مكون من الإله والأرض والشعب ، فيحل الإله في الأرض ؛ لتصبح أرضا مقدسة ، ومركزا للكون ، ويحل في الشعب ؛ ليصبح شعبا مختارا مقدسا وأزليا ؛ ولهذا يشار إلى الشعب اليهودي بأنه الشعب الأزلي والأبدي ، جاءت هذه الفكرة (أنتم أبناء للرب إلهكم فلا تخرجوا أجسادكم ولا تحلقوا مقدمة رؤوسكم حزنا على الميت لأنكم شعب مقدس للرب إلهكم، وقد أختاركم من بين شعوب الأرض كافة لتكونوا له شعبا خاصا)[2] ؛ فهم شعب خاص وملكا للرب إلههم . ويشكر اليهودي إلهه في كل الصلوات لاختياره الشعب اليهودي[3]. وعقيدة الانفصال عن البشر والامتياز على أمم العالم اتخذت طريقها إلى النفسية الإسرائيلية عن طريق الإنسان والأعراق ، وعن طريق الذكريات الدينية والسياسية التي تضخمت وغلظت مع الزمن ؛ فرأي اليهود أنهم في مجتمعاتهم المتفرقة في أنحاء العالم التي كثيرا ما تعرضت لكراهية الأمم ، وعاشوا منذ السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد، والتشدد الروماني منذ القرن الأول الميلادي يصارعون عوامل الفناء، ويتغلبون بتضامنهم الاجتماعي على كل مشاريع الإبادة التي خططت من أجلهم ، وكان يأخذهم الزهو والغرور بهذا البقاء الدائم ، وجعلوا هذه الظاهرة مرتبطة باختيار إلهي لهم دون سائر شعوب الأرض ، وبإدارة سماوية لا قبل للبشر بمقاومتها

---

[1] – انظر : نخبة من الأساتذة ، **قاموس الكتاب المقدس** ، ص 123 .

[2] – سفر التثنية 14 : 2 .

[3] – انظر : عبد الوهاب المسيري ، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية** ، ط1، دار الشروق ، القاهرة ، ج5 ، 1999، ص 72 .

، واعتقادهم بالاختيار ليس مجرد مفخرة يتشدقون لها بل هو برنامج فيهم يعاقب الله الأمم الأخرى ، وهم الذين يبقون وحدهم في أخر الزمان متسلطين على رقاب العالم ، وهم الذين يلعبون دور البطولة على هذا المسرح الهائل، والأمم الأخرى ليست إلا أشخاصاَ ثانوية خلقها الله لتكمل مشاهد هذه المسرحية الطويلة وحوادثها على نحو تظل فيه البطولة لإسرائيل . ومن هنا تبرز خطورة النفسية الإسرائيلية على أمم العالم . ويسمون أنفسهم الشعب الأزلي ، وهكذا فتطاولوا على الرب ولو مجازا ، فتخيلوا أنهم يشاركونه في أزليته وأبديته ، وأنهم مثله لا أول لهم ولا أخر ، ولكن اليهود فسروا ذلك بأنهم من أقدم شعوب العالم[1]. واليهود شعب الله المختار الذي اصطفاه الله وفضله على العالمين ، ولكن كان هذا مشروطا بعبادتهم لله وطاعتهم فإذا ذهب الشرط ذهب التفضيل . ونظرته إلى الشعوب الأخرى نظرة إلى شعوب وضيعة في سلم الإنسانية ، وتضع قوانينها ونظمها على هذا الأساس ، وتفرق بين هؤلاء وأولئك أمام القانون في كثير من شؤون الاجتماع . فالإسرائيلي محرم عليه أن يقتل إسرائيلي أخر ، ومحرم عليه أن يخرج بعضهم بعضا من ديارهم على حين أنه واجب على الإسرائيليين غزو الشعوب الأخرى وخاصة شعب كنعان[2]. وهذا ما نجده في نصوص التوراة منها :

(لكن الرب ينعم برحمته على ذرية يعقوب ويصطفي شعب إسرائيل ثانية ويحلهم في أرضهم فينضم الغرباء إليهم ويلحقون ببيت يعقوب وتمد شعوب الأرض إليهم يد العون

---

[1] – انظر : حسن ظاظا ، **الشخصية الإسرائيلية** ، ط1، دار القلم ، دمشق ، 1985 ، ص35 – 38 .

[2] – انظر : علي عبد الواحد وافي ، **اليهودية واليهود** ، ط3، دار نهضة مصر ، الفجالة – القاهرة ، 2002 ، ص 52 .

ليساعدوا إسرائيل على العودة لديارهم ويصيرون عبيدا لبني إسرائيل في أرض الري ويتسلطون على آسرهم وظالميهم)[1] .

ووردت عدة تفسيراتٍ من حاخامات اليهود وكثير من فقهائهم لفكرة الاختيار وبغض النظر عن مضمون التفسير فإن فكرة الاختيار تؤكد على فكرة الانفصال والانعزال عن الآخرين . والتفسيرات للاختيار تعبير عن درجات متفاوتة من الحلول فإذا ازدادت النزعة الحلولية زادت القداسة في الشعب ، ومن ثم زادت عزلته ؛ واختياره لعدة أسباب منها : –

أولاَ – الاختيار كعلامة على التفوق فقد أختارهم الرب كجماعة دينية قومية توحدها أفكارها وعقائدها وعرضت الرسالة على شعوب الأرض قاطبة فرفضت هذه الشعوب حملها وحملها الشعب اليهودي وحده وحوّلَهم هذا الاختيار إلى مملكة من الكهنة والقديسين والى أمة مقدسة تتداخل العناصر الدينية والقومية فيها . واختيار اليهود هو جوهر العهد أو الميثاق المبرم بين الإله وبين إبراهيم ، ويدل الاختيار على تفوق اليهود عرقياَ فقد اختير إبراهيم لنقائه واختير اليهود لأنهم من نسله ويدل الاختيار على تفوق اليهود الأخلاقي ؛ فهو أول شعب يعبد الرب وحده فهو اختار الشعب لأن الشعب اختاره وقد يكون التفوق علامة على التفرد وحسب لا على التفوق .

ثانياَ – الاختيار كتكليف ديني فقد أختار الإله الشعب ليكون خادماَ له بين الشعوب ويكون أداته التي يصلح بها العالم ويوحد بها الشعوب ، والاختيار تكليف إلهي يعني زيادة المسؤوليات والأعباء وليست ميزة .

---

[1] – سفر أشعياء 14 : 1 – 2 .

ثالثاَ – الاختيار كأمر رباني وسر من الأسرار فالاختيار غير مشروط ولا سبب له فهو من أراده الإله التي لا ينبغي أن يتساءل عنها أي بشر ؛ فالإله هو الذي اختار الشعب ووعده بالأرض ولا علاقة للاختيار بالخير أو الشر أو الطاعة والمعصية والله شتت اليهود في أنحاء الأرض لا عقابا لهم وإنما لينشروا رسالته وليصبحوا أداته في تحقيق السلام والخلاص[1]. وهذا ما جاء في نصوص التوراة منها :

(لأنكم شعب مقدس للرب إلهكم فإياكم قد اختار الرب إلهكم من بين جميع شعوب الأرض لتكونوا شعبه الخاص ولم يفضلكم الرب ويتخيركم لأنكم أكثر عددا من سائر الشعوب فأنتم أقل الأمم عددا بل من محبته وحفاظا على القسم الذي أقسم به لآبائكم أخرجكم بقوة فائقة وفداكم من نير عبودية فرعون ملك مصر)[2] . ولكن ما هي وظيفة هذا الشعب المختار وما هي مهمته في الحياة ؟ نجد في كثير من نصوص العهد القديم بيان لوظيفة الشعب المختار كما في النصوص التالية : (فاحفظوا جميع الوصايا التي أوصيكم بها اليوم لتمارسوها فتحيوا وتتكاثروا وتدخلوا لامتلاك الأرض التي أقسم الرب لآبائكم وتذكروا كيف قادكم الرب إلهكم في كل طريق الصحراء هذه الأربعين سنة ليذلكم ويمتحنكم فيعرف ما في قلوبكم إنْ كنتم تحفظون أوامره أم تعصونه فأذلكم ثم أجاعكم وأطعمكم المن الذي لم تكونوا تعرفونه لا أنتم ولا آباؤكم ليعلمكم أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة ينطق بها فم الرب وفي غضون الأربعين سنه لم تبل ثيابكم عليكم ولم تتورم أقدامكم فاعلموا إذاً في

---

[1] – انظر : عبد الوهاب المسيري ، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج5** ص 72 – 74 .

[2] – سفر التثنية 7:6_8

قلوبكم أن الرب إلهكم قد أدبكم كما يؤدب المرء ابنه فأطيعوا وصايا الرب إلهكم لتسلكوا في سبيله واتقوه)[1] .

(فالآن أيها الإسرائيليون ماذا يطلب منكم الرب إلهكم سوى أن تتقوه وتسلكوا قي كل طرقه وتحبوه وتعبدوه من كل قلوبكم ومن كل نفوسكم ، وتطيعوا وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيكم بها اليوم لخيركم فالرب إلهكم هو مالك السماوات وسماء السماوات وكل ما فيها غير أنّ الرب فضّل آباءكم واصطفى ذريتهم من بعدهم التي هي أنتم لتكون فوق جميع أمم الأرض كما هو حادث اليوم فطهروا قلوبكم الأثيمة وأقلِعُوا عن عنادكم لأن الرب إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب الإله العظيم الجبار المهيب الذي لا يحابي وجه أحد ولا يرتشي إنه يقضي حق اليتيم والأرملة ويحب الغريب فيوفر له طعاما وكساء فأحيوا الغريب لأنكم كنتم غرباء في ديار مصر اتقوا الرب إلهكم وإياه اعبدوا وبه اعتصموا وباسمه احلفوا فهو فخركم وإلهكم الذي أجرى معكم تلك المعجزات العظيمة التي شهدتها أعينكم)[2] ؛ فالمطلوب من هذا الشعب المختار على حسب قولهم هو طاعة الرب ومحبته وعبادته وتطبيق فرائضه ووصاياه والعمل بها والإقلاع عن المعصية ، وبحصول هذه الأمور يعطيهم الأرض التي وعد بها آباءهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى أرضا لهم ، وإذا عَصَوْا الرب إلههم وعبدوا معه آلهة أخرى ، ولم يعملوا بموجب فرائضه ووصاياه التي أمر بها ، فإنه يحل العكس بهم ، فيشتتهم في البلاد ، ويخرجهم من أرض كنعان التي وعد آباءهم بأن تكون لهم . والقرآن الكريم يبين بأن تفضيلهم كان بسبب عبادتهم لله تعالى في زمن أنبيائهم ، ولو كانت لهم أفضلية على البشر بسبب جنسهم لما شردهم الله في الأرض وعذبهم . (وأوحى إلى الرب بكلمته قائلا يا ابن آدم

---

[1] – سفر التثنية 8 : 1 – 6 .

[2] – سفر التثنية 10 : 12 – 21 .

عندما أقام شعب إسرائيل في أرضهم نجسوها بطرقهم الشريرة وتصرفاتهم وكانت طرقهم أمامي نجسة كنجاسة الطامث فسكبت غضبي عليهم من جراء ما سفكوه من دم على الأرض التي نجسوها بأصنامهم ففرقتهم بين الأمم وشتتهم في البلدان ودنتهم بمقتضى طريقهم وتصرفاتهم وحين استقروا بين الأمم التي تفرقوا بينها دنسوا اسمي القدوس إذا قيل لهم هؤلاء شعب الرب قد طردوا من أرضه فغرت على اسمي الذي نجسه شعب إسرائيل بين الأمم التي تفرقوا بينها كذلك قل لشعب إسرائيل ليس لأجلكم أنا موشك أن أعمل عظائم يا شعب إسرائيل بل غيرة على اسمي الذي دنستموه بين الأمم التي تفرقتم بينها فأقدس اسمي العظيم الذي صار بسببكم منجسا بين الأمم التي تفرقتم بينها فتدرك الأمم أني أنا الرب حيث أتقدس فيكم أمام أعينهم يقول السيد الرب إذ آخذكم من بين الأمم وأجمعكم من كل البلدان وأحضركم إلى أرضكم وأرش عليكم ماء نقيا فتطهرون من كل نجاستكم ومن كل أصنامكم وأهبكم قلباً جديداً وأضع في داخلكم روحا جديدة وأنتزع من لحمكم قلب الحجر ، وأعطيكم عوضا عنه قلب لحم وأضع روحي في داخلكم فأجعلكم تمارسون فرائضي وتطيعون أحكامي عاملين بها وتستوطنون الأرض التي وهبتها لآبائكم وتكونون لي شعبا ، وأنا أكون لكم إلها وأخلعكم من جميع نجاستكم وآمر الحنطة أن تتكاثر ولا أجلب عليكم المجاعة وأكثر إثمار الأشجار ومحاصيل الحمل لئلا تتعرضوا لعار الجوع بين الأمم)[1] .

وهكذا يرى اليهود أن الله خلق الكون بما فيه من أجل خدمة الإنسان ولكن ليس كل الناس بل لشعب الله المختار الذي اختاره لتطبيق شريعته وتبليغ أوامره لبقية الشعوب التي خلقت لخدمة هذا الشعب . وإذا أطاع الشعب يكثر عليه المحاصيل ويكثر ثمار الأشجار ،

[1] – سفر حزقيال 36 : 16 – 30 .

ويسكنهم الأرض التي أعطاها لآبائهم من قبل ، وإن عصوا أوامره ، وأشركوا به ، شتتهم بين البلدان، وصب عليهم اللعنات ، وجعلهم منبوذين من الشعوب الأخرى .

المطلب الثاني

الغاية والحكمة من الخلق في القرآن

من خلال الآيات القرآنية يتبين لنا أن الكون جميعه خلق بدقة ، قال تعالى:{الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ }[1] وقال تعالى: { وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً}[2] فالكون خضع لقانون الله ، وما فيه من أشياء تتفاوت فيما بينها بسبب اختلاف قوانين كل مادة عن غيرها ، قال تعالى : { وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ}[3] والقوانين المادية ثابتة لا تتغير وهي تحدد خصائص وصفات كل مادة باختلاف حالاتها وعناصرها وجزئياتها ، قال تعالى : {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً }[4] وجميع ما يجري في الكون خاضع لهذه السنة الثابتة وهي القوانين ، ولو اضطربت القوانين لعمت الفوضى والخرافة وامتهنت العقول واضطربت الموازين . والظواهر الكونية لا شأن لها بالحياة الإنسانية ، وإنما هي خاضعة لقوانينها الثابتة التي لا تتغير قال تعالى : {لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }[5] فنظام الكون نظام محكم له قوانينه المنسجمة والمتناهية في الإتقان ولا نجد فيه فوضى[6] .

لكن ما الغاية والحكمة من خلق هذا الكون الفسيح ؟ لنرى ذلك من خلال هذه الدراسة .

---

[1] – سورة السجدة : 7 .

[2] – سورة الفرقان : 2 .

[3] – سورة الرعد : 8 .

[4] – سورة الأحزاب : 62 .

[5] – سورة يس : 40 .

[6] – انظر : عابد توفيق الهاشمي ، **مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة** ، ط1 ، دار الفرقان ، عمان – جبل الحسين ، 1982 ، ص 90 – 91 .

قال تعالى :{ اللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[1] المخاطب في الآية هو الإنسان وتبين لنا أن جميع ما في السماوات والأرض مسخر للإنسان ووجوده ، فتسخير الله تعالى الأرض للإنسان واضح لكل من يعيش على هذه الأرض فهي ببرها وبحرها وجوها ونباتها وحيوانها وما تحت ثراها من المعدن ، كل ذلك مسخر للإنسان وطوع إرادته فهو المتصرف فيها كما يشاء ويريد ، فقد استخلفه الله فيها ليعمرها ويبني فيها حضارته، ويتقدم في سلم الرقي بما وهبه الله من عقل راجح وفكر ثاقب [2]. والتسخير للبشرية بأكملها وليس لشعب دون آخر كما نجده في التوراة حين استخدمت لفظ " وسلّطكم " الذي يدل على تسخير الكون لهم فقط .

من هذا التسخير نجد أنَّ الأرض تدور حول الشمس بسرعة 18،5 ميل في الثانية تقريبا في فلك طوله 600 مليون ميل ، وتدور الأرض حول نفسها بسرعة قدرها حوالي 1000 ميل بالساعة أي مرة كل 24 ساعة فلو فرضنا أنها تدور حول نفسها بمعدل 100 ميل بالساعة فعندئذ يكون نهارنا وليلنا أطول مما هو عليه الآن عشرات المرات ، فتحرق الشمس النباتات نهارا وتتجمد ليلا ، ولو فرضنا أنها تدور حول الشمس بسرعة 6 أميال في الثانية أو 4 أميال لكان قربنا وبعدنا عن الشمس يجعل حياتنا مستحيلة ، ولو كانت قشرة الأرض أسمك عشرة أقدام لنفذ الأوكسجين وأنعدمت البحار ، ولو كانت البحار أعمق بضعة أقدام مما هي عليه لأنجذب الأوكسجين وثاني أوكسيد الكربون فاستحالت الحياة[3]. يحيط بالأرض غلاف

---

[1] – سورة الجاثية : 12 – 13 .

[2] – انظر : رجا عرابي ، **الكون والأرض والإنسان في القرآن العظيم** ، ص 254 .

[3] – انظر : قحطان الدوري ورشدي عليان ، **أصول الدين الإسلامي** ، ط2 ، دار الفكر ، عمان – الأردن ، 2002 ، ص 80 – 81 .

غازي يشتمل على الغازات اللازمة للحياة ، ارتفاعه يزيد على 500 ميل ، ويبلغ من الكثافة درجة تحول دون وصول ملايين الشهب القاتلة إلينا . والغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض يحفظ درجة حرارتها في الحدود المناسبة للحياة ، ويحمل بخار الماء من المحيطات إلى مسافات بعيده داخل القارات حيث يمكن أن يتكاثف مطراً يحيي الأرض بعد موتها ، ولو كانت الأرض أصغر من ذلك لعجزت عن احتفاظها بالغلافين الجوي والمائي اللذين يحيطان بها ، ولصارت درجة الحرارة بالغة حد الموت ، ولو كانت أكبر من ذلك لزادت مساحة سطحها وزاد الضغط الجوي وكل ذلك يؤثر في الحياة على سطح الأرض فتزيد مساحة المناطق الباردة وتنقص مساحة الأراضي الصالحة للسكنى ، وتعيش الجماعات الإنسانية في أماكن منفصلة[1]، قال تعالى : {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ }[2] .

أما عن البحار قال تعالى : { اللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [3] ، فالبحر تجري فيه السفن لتنقل البضائع والمسافرين ، وهي أقدم وأرخص وسائل النقل ، وكذلك هو مسخر لنا لنأكل منه لحما طريا قال تعالى :{ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [4]، ومعروف في هذا العصر ما تقدمه البحار

---

[1] – انظر : نخبة من العلماء الأمريكيين ، الله **يتجلى في عصر العلم** ، ترجمة الدمرداش سرحان ، عالم المعرفة ، بيروت – لبنان ، بلا سنة ، ص 8 .

[2] – سورة القمر : 49 .

[3] – سورة الجاثية : 12 .

[4] – سورة النحل : 14 .

من مساهمة في غذاء الإنسان والذي يصطاد منه سنويا مئات الملايين من الأطنان من الأسماك والأحياء البحرية ، ويستخرج منه اللؤلؤ والمرجان زينة وحليا للإنسان[1].

الماء يغطي ثلاث أرباع سطح الأرض ، وهو بذلك يؤثر تأثيرا بالغا على الجو السائد ودرجة الحرارة ، ولو فقد الماء بعض خواصه لظهرت على سطح الأرض تغيرات في درجة الحرارة تؤدي إلى حدوث الكوارث . وللماء درجة ذوبان مرتفعة ، وهو يبقى سائلا فترة طويلة من الزمن وله حرارة تصعيد بالغة الارتفاع ، وهو بذلك يساعد على بقاء درجة الحرارة فوق سطح الأرض عند معدل ثابت ويصونها من التقلبات العنيفة ، ولولا ذلك لتضاءلت صلاحية الأرض للحياة إلى حد كبير . والماء تقل كثافته عندما يتجمد لذلك يطفو الجليد على سطح الماء عندما يشتد البرد بدلا من أن يغوص إلى قاع المحيطات والبحيرات ، ويكون تدريجيا كتلة صلبة لا سبيل إلى إخراجها وإذابتها ، وطبقة الجليد تحفظ الماء الذي تحتها في درجة حرارة فوق درجة التجمد وبذلك تبقى الكائنات البحرية حية[2].

أمَّا عن النجوم والكواكب فقال تعالى : {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ }[3] ، تناثر النجوم والكواكب مشهد جميل يأخذ بالقلوب ، وقد جعلها تعالى مجموعات متعددة الأشكال والهيئات ، وزين بها السماء وجعلها عبرة للمتأملين ؛ ليستدلوا بها على قدرة الله مبدعها حين يقفون على دقة تنظيمها وتقديرها ، ففي الكون بلايين بلايين من المجرَّات ، وكل منها يحوي آلاف المليارات من النجوم كلها متحركة لا تفتر عن الحركة لحظة واحدة . وعن حركة الشمس ينشأ الليل والنهار والضوء

---

[1] – انظر : رجا عرابي ، **الكون والأرض والإنسان في القرآن الكريم** ، ص 254 – 255.

[2] – انظر : نخبة من العلماء الأمريكيين ، **الله يتجلى في عصر العلم** ، ص 44 .

[3] – سورة الملك : 5 .

والظل والشتاء والصيف والمد والجزر . وهذه السماء المعلقة في الفضاء موزونة الحركة تدور أجرامها في مداراتها المرسومة لها ، ولا يصطدم فيها نجم بنجم ، فقال تعالى :{لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }[1] فهي تسير في حركة محكمة موزونة[2]. نلاحظ من خلال الآيات الكريمة أن خلق الكون وما فيه جاء من أجل الإنسان . ولكن لماذا خلق هذا الكائن وما هي مهمته على الأرض ؟

الإنسان بحسب ما ورد في القرآن الكريم : هو محور هذا الكون ، وعلى قمة مخلوقاته وموضع التكريم والعناية الإلهية ، فقد خلقه تعالى في أحسن تقويم ، وجعله في أكمل صورة قال تعالى : {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ }[3] فهو صاحب رسالة في هذا الكون .

[4]

الوجود الإنساني ليس معزولا عن الموجودات الأخرى بل يرتبط بها ارتباطا وثيقا ، ويتقلب وفق معطيات الوجود الكلي ، وتفوقه في درجات السلم في كثير من الأحيان ولا سيما على صعيد المخلوقات الحية أو غير الحية . وآيات القرآن تضع الإنسان ووجوده في الميزان الذي يستحق حتى لا ينأى بجانبه عن مبدع الكون الذي بدأ الخلق فيضع نفسه بديلا لهذا المبدع الحقيقي كما يفعل اليهودي ويعتقد ، ولا أحد يمنعه أن يتفوق ولكن ضمن الإطار الذي يعيش فيه، ولم يأت الإنسان إلى هذه الأرض أو يهبط إليها إلا بعد تجربة كانت في السماء لأبيه آدم . وعليه لا بد أن يدرك أن حياته يجب أن تبقى تذكر تلك الحادثة أو هي على علم

---

[1] – سورة يس : 40 .

[2] – انظر: حامد صادق قنيبي ، **الكون والإنسان في التصور الإسلامي** ، ط 1 ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، 1980 ، ص 104 – 105 .

[3] – سورة التين : 4 .

[4] – انظر: الغنيمي التفتازاني أبو الوفا ، **الإنسان والكون في الإسلام** ، دار الثقافة، الفجالة – القاهرة، 1995، ص67 .

مسبق بها فيدرك أن الرب قد أختبر أباه في السماء فلم ينجح في الاختبار لذلك أعطاه فرصة أخرى ، وفصله عن الملكوت السماوي انفصالاً جزئياً ، وعليه يكون وضعه في الكون ليس إلا جزءً من أجزاء الكون فهو إذاً ليس السيد المطلق بحيث يدعي الألوهية ؛ لأن الكون مذلل في سبيل مصالحه[1]. ولكن منذ أن خلق الله الإنسان وهو مأخوذ بسوء الفهم عن نفسه يميل في بعض الأحيان إلى جانب الإفراط فيظن أنه أكبر قوة في الكون وينادي (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) [2] ، ويتحول إلى القهر والجبروت والبطش والظلم ، ويميل في جانب آخر إلى التفريط ، فيظن أنه أدنى وأرذل كائن في العالم ، فيطأطئ رأسه أمام كل شيء ، ولا يرى السلامة إلا في أن يسجد للشمس والقمر والنجوم وغيرها من الظواهر الكونية التي يحس فيها شيئا من القوة أو يحس الخوف منها[3]. قال تعالى:{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً } [4] ؛ تفيد الآيات أن هذا الكائن المختار للخلافة ليس مخيراً في أن يكون خليفة أو لا ، بل هو خليفة بمقتضى الجعل الإلهي ، فهو خليفة بمقتضى الخلقة والفطرة . وكذلك يسكن الأرض العديد من المخلوقات منها الجن وهو نوع من الخلق مبتلى ، ومكلف بالعبادة كالإنسان ولكنه ليس مخلوقا لخلافة الأرض . وأمر الله تعالى الملائكة بالسجود تحية لآدم ليس معناه مجرد الإقرار ، والاعتراف فقط بخلافة الإنسان في الأرض ، وإنما يعني أيضا عملاً يتعلق بمساعدة الإنسان على تحقيق الخلافة ، فالملائكة وهم جند الله مجندون بمقتضى السجود لآدم لمساعدة الإنسان لتحقيق علَّة وجوده في هذه الحياة الدنيا المتمثلة في الخلافة . ورفْضُ إبليس وذريته السجود لآدم معناه توجيه فاعليته وإمكاناته ونشاطه هو وجنوده نحو هدف محدد وهو منع الإنسان من

---

[1] – انظر : زيدان عبد الفتاح قعدان ، **مدينة الله في الأرض** ، ط1 ، دار البشير ، عمان – الأردن ، 1998 ، ص12 – 13 .

[2]– سورة فصلت : 15 .

[3]– انظر : حامد صادق ، **الكون والإنسان في التصور الإسلامي** ، 99 .

[4] – سورة البقرة : 30 .

تحقيق خلافته لله في الأرض ، فعلى الإنسان أن يتنبَّه لعدوه ولا يتخذه وليًّا من دون الله [1]. فكانت إرادة الله بخلق كائنٍ يعبده طوعا وبالإرادة والاختيار مع قدرته على المخالفة والعصيان ، وتلك أرقى العبادات وأفضل الطاعات ، ومعنى هذا أنه تعالى أراد أن يكلفه بالدين ومنهج العبودية والخلافة عن الله في الأرض ليبتليه ويختبره ويظهر للعبد حقيقة نفسه ليجزيه بها ، من أجل ذلك منحه الله الأهلية والقدرات التي تكافئ مهمته الجليلة ، وأعد لها الإعداد التام ،وميز الإنسان بذلك فلم تعط هذه الإمكانيات لغيره . [2] فنلاحظ أن الغاية من خلق الإنسان تتجلى بوضوح في قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً } [3] فجاء الإعلان الإلهي بخلق الإنسان مرفقا ببيان المهمة التي أنيط بعهدته الاضطلاع بها ، حتى أن تسميته في سياق الإخبار بخلقه كانت تسمية بحسب وظيفته وهي الخلافة ، وهذا ينطوي على إبراز هذه الوظيفة والتنويه بشأنها . والخلافة : تعني تنفيذ مراد الله في الأرض وإجراء أحكامه فيها ، وهذا يعني أن يكون سلطانا في الكون بغاية تطبيق المهمة التي كلفه بها المستخلف ائتمار بما أمر وانتهاء عما نهى ، وهذه المهمة تقتضي أن يكون الهم الأكبر هو ترقيته نحو مستخلفه واقترابه منه ليحقق معنى الاستخلاف على الوجه الأفضل ، وذلك بالعمل الدائب والكدح المستديم ؛ لترقية ذاته وتنميتها حتى يبلغ الاكتمال بالدرجة التي ذكرها ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ} [4] فتكامُلِ الإنسان واقترابه من الله لا يكون إلا عبر منهاج العبادة ، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }[5] " والعبادة

---

[1] – انظر: فاروق أحم{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ }د الدسوقي، **استخلاف الإنسان في الأرض**، دار الدعوة ، الإسكندرية، 1980 ، ص5، 10

[2] – انظر: عبد الستار نوير ، **رسالة الإنسان في الحياة ومقتضياتها**، دار الثقافة، الدوحة، 1987، ص29–30

[3] – سورة البقرة : 30 .

[4] – سورة الانشقاق : 6 .

[5] – سورة الذاريات : 56 .

إسلام النفس في كل ما يفعل الإنسان ويريد لما يريده الله ويرضاه عبر الالتزام الكلي بفعل ما أمر به وما نهي عنه "[1]. لقد علّم الله الإنسان ما لم يعلم حتى تفوق على الملائكة ، وحثه على مواصلة العلم ، وفي ذلك تقرير حقيقة أن العلم مستمر ولا يعرف حدوداً مكانية أو زمانية ، والحياة تستدعي دوام التعليم . والبشر يسمو بعضهم على بعض بالتقوى ، والتقوى لا تكون إلا بالعلم ، ونظر الإسلام إلى العلم نظرة تفوق نظرة العبادة ، وأعتبر الجهل عدو الحياة والدين[2]. ودور الخليفة في الأرض محصورة في مهمتين هما عمارة الأرض تنمية وتكنولوجيا ، وإصلاح الأرض عدل وخير ، ونبذ الظلم والقسوة وهداية الناس ، وإظهار الحق لا كما يرى اليهود بإخضاع الشعوب وسائر الأمم ليصبحوا عبيداً وخدماً لهم . ولكن ماذا عن قوله تعالى :{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [3] قمة العبادة أن تحقق الذي خلقت لأجله والإنسان لم يخلق للصلاة والصيام فقط هذه هي العبادة عند عامة الناس ، ولكن أليس العلم عبادة وهداية الناس إلى الحق عبادة ، وهذه هي الخلافة فلو كان المقصود من العبادة الصلاة والصوم فقط لكان لزاما على الناس ترك أمور الحياة والتفرغ طوال العمر لهذه العبادة وهذا مستحيل ، فمهمة الصلاة والصوم تقوية الروح على أداء هذه الخلافة ، فهو لن يتقوى على الخلافة إلا بالعبادات ؛ لأنها غذاء الروح والخلافة التي خلق لأجلها الإنسان تستلزم أن يكون قويم الجسد والروح معاً[4]. وهناك عنصرين أساسين في إعداد الإنسان للحياة على الأرض هما :-

---

[1] – عبد المجيد النجار ، **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل** ، ط3 ، الدار العربية للعلوم ، بلا مكان ، 2005 ، ص 61 – 62 .

[2] – انظر: صالح موسى درادكة، **الإنسان في القرآن الكريم**، شرين للنشر، عمان – الأردن، 1988، ص31 .

[3] – سورة الذاريات : 56 .

[4] – انظر: عمرو خالد ، **إني جاعل في الأرض خليفة** ، ص 32 – 33 .

أولاً :- أن الله أعد الأرض للإنسان ليستطيع الحياة عليها .

ثانياً :- أن الإنسان قَبلَ أن ينزل على الأرض أعطاه الله تجربة عملية مرَّ بها كانت في وضوحها كافية لتري الإنسان ما هو منهج الحياة ، وما الذي سوف يلاقيه ، وكيف سيواجه هذه الأمور . وبما أن الله هو الذي أوجد الإنسان فقد وفَّر له كل مقومات حياته الأساسية ومن هذا المنطلق خلق الكون بتمام قدرته قبل خلق الإنسان فخلق الكون بكل ما فيه ليكون مسخَّراً لخدمة الإنسان في الأرض ، فخلق الله أجناس الوجود بعضها تخدم بعض وكلها تخدم الإنسان . والأمانة التي حملها الإنسان : هي منهج الله في الأرض ، وأعطاه حرية الاختيار وحيث أعطى الإنسان الأمانة وكلف بحملها كان لا بد أن يعطيه العقل حتى يستطيع أن يختار بين البدائل فالعقل مهمته الاختيار بين البدائل ، ومن مقتضى عدل الله فإن كل مغيبات العقل محرمة ومن يقترب منها يحاسب ؛ لأنه عطّل أداة الاختيار فيه وانطلق بلا وعي إلى أشياء حرمها الله[1]. فالإسلام يريد من الإنسان أن يكون إنسانا تأهيلا ووصفا فإنْ لم يكن إنسانا لم يحمل الأمانة ولقد رُبِطَتْ الأمانة بكونه إنسانا (وحملها الإنسان) فلفظ الإنسان من يتمتع بصفات التأهيل لحمل التكليف فوجب أن نبحث عنه ونحدده ونرسمه ، وأن يكون الإنسان عبدا تحقيقا ووصولا فالعبودية غاية ما يمكن أن يصل إليها الإنسان ما دامت الغاية من خلقه وهي التي تنعكس عن المعرفة وتنتج عنها لذا فسر ابن عباس ليعبدون بليعرفون . وأن يكون الإنسان خليفة وظيفة وقياما وسعيا وذلك حين تعلن الولاء لله وتسلم بحاكميته اختيارا بعد أن سلمت بها اضطرارا فتكون وارثا للأرض قيوماً عليها تستمد وراثتك من الوارث الحقَّ الذي

---

[1] – انظر: محمد متولي الشعراوي ، **منهج الله في الكون** ، دار القلم ، بيروت– لبنان، 2000، ص 42 – 45.

يرثُ الأرض ومن عليها[1]. فالإنسان صاحب رسالة وقد استخلفه الله ليعمرها ويستخرج خيراتها لا ليزهد فيها ويتصرف ، ولكن هذا الاستخلاف لا يخلو من الامتحان ، فقد شاءت إرادة الله أن يعاني الإنسان من الصراع بين نوازع الخير والشر فيما هو مستخلَف فيه ، وهو صراع تكتمل من خلاله شخصيته ويرتقي من الناحيتَين : الرَّوحية ، والمادَّية ، فيتهيأ بذلك لحياة أخرى غير هذه الحياة قال تعالى :{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ }[2] . والقانون الذي يحكم هذا كلّه هو الجزاء على قدر العمل[3]. وتحقيق الخلافة يتم بحركتين أولهما :- حركة الذات الإنسانية في مجال تحقيق العبودية . وثانيهما :- حركة الإنسان في مجال تحقيق السيادة . والحركة الأولى ذاتية ؛ أي التغيير فيها يتم في ذات الإنسان . بينما الحركة الثانية تتم في المحيط المادي الخارجي الذي يعيش فيه الإنسان . وجمع الله بين منهج العبودية وأسبابه مع منهج تحقيق السيادة والقوة والعمران ، قال تعالى :{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ }[4]، فالكتاب والميزان دليل على أن منهاج العبودية أو الدين شريعة ثابتة وقيم مطلقة، وقوله (ليقوم الناس بالقسط) دليل على أن هذا المنهج يهدف إلى قيام العلاقات والمعاملات الإنسانية في المجتمع على أسس الحق والعدل والخير والرحمة ، وهذا يمثل جانب العبودية . (وأنزلنا الحديد) فيه إشارة إلى علل السيادة في

---

[1] – انظر: محمود عكام ، **الكون والإنسان** ، ط2 ، فصلت للدراسات والترجمة ، حلب – سوريا ، 1999، ص50 .

[2] – سورة الأنعام : 165 .

[3] – انظر : أبو الوفا التفتازاني ، **الإنسان والكون في الإسلام** ، ص71 – 72 .

[4] – سورة الحديد : 25 .

الأرض والتمكن منها[1]. ونلاحظ أنه ينتج من كون الإنسان خليفة الله في أرضه عدة أمور منها –:

أولاً – الإنسان هو السيد في الأرض ، ومن أجله خلق الله فيها الخيرات ، وهو العامل الرئيسي في شؤون الحياة يتوقف صلاحها وفسادها على صلاحه وفساده ، والعلم ليس هو المعيار لصلاح البشر ولا هو الأساس ؛ لأنها وسائل لمصلحة الإنسان ورفاهيته .

ثانياً– أودع الله في الإنسان بعض الصفات الإلهية ، ليقوم بالخلافة وهي صفات تسمو به نحو الكمال كالرحمة والعلم وغيرها .

ثالثاً – الإنسان خليفة الله في أرضه ، لإقامة شرع الله وتطبيق أحكامه والسير على منهجه الذي رسمه ، ومن ذلك إقامة الحق والحكم بالعدل .

رابعاً – الإنسان خليفة الله في أرضه ، لإعمارها وكشف أسرارها والاستفادة من خيراتها وترقيتها[2].

---

[1] – انظر: فاروق أحمد الدسوقي ، **استخلاف الإنسان في الأرض**، ص47 – 48 .

[2] – انظر: محمد الزحيلي، **التكريم الإلهي للإنسان**، ط1 ، الدار الشامية ، بيروت– لبنان ، 1995، ص14–17

الفصل الثاني :

نهاية الكون حسب تصور التوراة والقرآن والعلم الحديث

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نهاية الكون حسب تصور التوراة .

المبحث الثاني : نهاية الكون حسب تصور القرآن .

المبحث الثالث : نهاية الكون في ضوء العلم الحديث .

المبحث الأول

نهاية الكون حسب تصور التوراة

تظهر مسألة نهاية الكون في الأديان من خلال الاعتقاد باليوم الآخر وما يجري فيه من بعث وعقاب وجزاء للبشر. والإيمان باليوم الآخر ركن عظيم في كل تشريع سماوي ، ولا يمكن أن يخلو دين منزل من عند الله من هذا الركن إلا إذا وقع فيه تحريف وتبديل .

إن كل ما قيل عن اليوم الآخر بعيداً عن الوحي السماوي إنما هو اجتهادات أفراد ، وإمكانيات الأفراد مهما بلغوا محدودة ، ولا بد أن يكون ما قيل هو بعض الحقيقة لا كلها خاصة في أمور كتلك الأمور التي لا ترى ولا تحس ، والتي تتعلق بقادم الزمان لا بما مضى منه ، ومن ثم كان على الأديان أن تقول فيكون قولها الفصل ؛ لأنها من لدن الخالق سبحانه مدبر الأمر كله والعليم وحده بكل شيء . والواجب ألا تختلف الأديان فيما تقوله بشأن حقيقة من الحقائق سواء أكانت هذه الحقيقة متصلة بالدنيا التي نعيش فيها أم بالآخرة التي سننتقل إليها ؛ لأن مصدر هذه الأديان جميعا واحد وهو الله سبحانه[1].

كيف تنظر التوراة إلى مسألة اليوم الآخر ، وما يحدث في ذلك اليوم من الأحداث الكونية من عظم ذلك اليوم ؟ فهناك العديد من التصورات لفكرة اليوم الآخر في العهد القديم منها: –

أولا : – الدارس للأسفار الخمسة من التوراة المنسوبة لنبي الله موسى عليه السلام يجد أنه لا ذكر لهذا اليوم تقريبا على الإطلاق ، ولكن يوجد نص في سفر التكوين يشير إلى نبي منتظر

---

[1] – انظر : عبد الغني عبود ، **اليوم الآخر والحياة المعاصرة** ، ط1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1978 ، ص33 – 34 .

(ميسا) سيخلف موسى في رسالته كنبي (لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب)[1] واليهود يتمسكون على أنه يشير إلى مسيحهم المنتظر الذي سيأتي من نسل داود ويسمى بالعبرانية (هاما شياح بن دافيد).

ونلاحظ أن البشارة بمسيح مخلص يأتي ليجدد عهد الشعب مع الرب ، فتتجدد أمة اليهود وتصير أورشليم المدينة السماوية أو قلب العالم ، ويقيم فيها الرب على جبل صهيون ، ويتجمع المنفيون والمشردون من بني إسرائيل ، وتزول الأحقاد وينتهي الموت ، هي فكرة سياسية في المقام الأول خلفتها أوهام اليهود من قلب بأسهم أثناء السبي ، أو التشتت الأول في بابل الذي أستمر حوالي سبعين عاما جمع أثناءها اليهود نصوصهم المقدسة وصار تفكيرهم في الغيبيات يتخذ اتجاهين محدودين هما : نهاية العالم ، والخلاص على يد مسيح يأتي من نسل داود وانتظر اليهود المسيح ، ولكنهم استبعدوا فكرة نهاية الأيام أو آخر الأيام[2]. وقد أصبحت فكرة المسيح المنتظر من أركان الإيمان في اليهودية من خلال البناء النظري والتصور العقائدي الذي وضع أصوله وصاغ مبادئه في شكلها النهائي ابن ميمون . ويلاحظ اتجاه الفكر اليهودي إلى انتظار خلاص من نوع أخر يتمثل في تدخل إلهي يدمر فيه العالم بكارثة شاملة ليحل محله عالم أخر يسوده الخير ، ويقيم فيه الرب مملكته الأبدية ، ويتخذ من القدس عاصمة له ، ويحكم العالم من جبل صهيون ، وقد يصاحب ذلك أو يسبقه مجيء ملك

---

[1] – سفر التكوين : 17 .

[2] – انظر : عاطف عبد الغني ، **صدام الأصوليات نهاية إسرائيل أو نهاية العالم** ، ط1 ، دار الخيال ، بلا مكان ، 2000 ، ص 18 – 19 .

يهودي ترسله السماء يتميز بقدرات قتالية خاصة ، ويقود اليهود ويحررهم ويضعهم على قمة السلم البشري[1] .

يقول اليهود السامريون : إن في التوراة نص يدل على يوم القيامة وأن العبرانيين حرفوه إلى يوم الجزاء وقد يكون يوما من أيام الحياة الدنيا (أليس هذا مدخرا عندي مختوما عليه في خزائني لي النقمة وأنا أجازي وفي الوقت المعين تزل أقدامهم فيوم هلاكهم بات وشيكا ومصيرهم المحتوم يسرع إليهم لأن الرب يدين شعبه ويرأف بعبيده عندما يرى أن قوتهم قد اضمحلت ولم يبق عبد ولا حر)[2] وفي التوراة في أولها عند الكلام على الخليقة وقع التصريح باسم الجنة ، وقد تشعرنا بعض النصوص في بعض الأحيان أن الجنة والنار في الدنيا ، وأحيانا أخرى تصرح أن الجنة والنار في عالم الآخرة (وأقام الرب الإله جنة في شرقي عدن ووضع فيها آدم الذي جبله واستنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة بهية للنظر ولذيذة للأكل وغرس أيضا شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشر في وسط الجنة وكان نهر يجري في عدن ليسقي الجنة وما يلبث أن ينقسم من هناك إلى أربعة أنهر.....)[3] ، وكذلك ما جاء في النص التالي (لأنه اعتبر وتاب عن كل ذنوبه التي أرتكبها لذلك حتما يحيا لا يموت) ونلاحظ أنه لا يوجد حياة دائمة في الدنيا بل الحياة الدائمة في الآخرة[4] .

لكن لماذا لا نجد تصريحا باليوم الآخر و بالثواب والعقاب الأخروي وهو أصل عظيم في التشريع ؟ أجاب ابن كمونه على هذا السؤال وبين أن الأمور الإلهية لا يجوز المعارضة

---

[1] – انظر : عبد الراضي عبد المحسن ، **المعتقدات الدينية لدى الغرب** ، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث ، السعودية – الرياض ، 2001 ، ص 183 – 187 .

[2] – سفر التثنية : 32 : 34 – 36 .

[3] – سفر التكوين : 2 – 8 : 17 .

[4] – انظر : يسر محمد مبيضين ، **اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة** ، ط1 ، مكتبة الغزالي ، أدلب ، 1992 ، ص 54 .

فيها ولا السؤال عنها ، وربما يكون ذلك لحكمة لا نعرفها ، والأنبياء بإرشاد الله لهم كما أن طبيب الأبدان يعالج المرض الحالي في البدن لا غيره ، فكذلك الأنبياء أطباء النفوس يداوي مرض نفوس الناس على حسب ما يجده في زمانه . وأهل زمان موسى لم يكونوا من المنكرين لثواب الآخرة وعقابها بل كان مرضهم عبادة الأصنام والكواكب وغيرها ، وبالجملة عبادة غير الله، واعتقادهم أن بعبادتها وتقريب القرابين لها تعمر الأرض ، وتخصب البلاد ، وتصح ثمار الأشجار. وكان علماءهم ونساكهم وأهل التقوى يعظون الناس ، ويعلمونهم أن الفلاحة التي بها قوام وجود الإنسان إنما تتم وتجيء على الاختيار بأن تعبدوا الشمس والكواكب وإنْ أسخطتموها بعصيانكم أقفرت البلاد وخربت ، فجاءت التوراة تخبر إن عبدت هذه الكواكب والأصنام انقطع المطر وخربت الأرض فلم تنبت شيئا ، وسقطت ثمار الأشجار ، وحلت الآفات وغيرها من الحوادث ، وكرر ذلك في عدة مواضع من التوراة ؛ ليزول ذلك الرأي وينمحي أثره من النفوس فتبرأ من مرض هذه العقيدة ، وما يتسبب منها من الفساد . فلو كان مرضهم إنكار اليوم الآخر ، والبقاء الأبدي للنفوس بعد الموت والثواب والعقاب فيه لكان قد كرر ذكره في التوراة للتأكيد والتقرير ، ولما لم يكن الأمر كذلك أقتنع باستفاضته بين الأمة والتعريض به ، لهذا كانت اليهود معتقدة ، ومقره باليوم الآخر وبالبعث والنشور للأموات ، وببقاء النفس بعد الأجساد ، وتناقلوا ذلك خلفا عن سلف ، وترحموا على موتاهم[1].

نلاحظ مما نقل عن ابن كمونه [2]أنّ التوراة وإنْ خلت من الحديث عن اليوم الآخر والبعث والجزاء ، فإن ذلك لا يعني أن اليهود ينكرون البعث للأموات ، وبقاء النفس بعد موت

---

[1] – انظر : سعد بن منصور بن كمونه اليهودي ، **تنقيح الأبحاث للملل الثلاث** ، دار الأنصار ، القاهرة ، بلا سنة ، ص 42 .

2 – ابن كمونه هو سعد بن منصور بن كمونه البغدادي ، من المدافعين عن اليهودية ضد خصومها اليهود المرتدين إلى الإسلام ، أتهم الإسلام بالنقل عن اليهودية وعدم انطباق شروط النبوة على سيدنا محمد صلى الله

الجسد ، وهذا يغاير الواقع الذي يصرح به اليهود ؛ ولأن التوراة ليست هي المصدر الوحيد الذي يستقي اليهود عقائدهم منها . وللرد على ابن كمونه أن التكرار في المسائل السمعية ضروري لاستمرار الإيمان ، والتكرار في أمر يدل على أهميته وعدم استغناء البشر عنه[1]. وعلى هذا نلاحظ خلو أسفار موسى من الحديث عن البعث والجزاء .

ثانيا – الاتجاه الثاني لتصور اليهود لليوم الآخر و البعث في التوراة : هو ورود إشارات في أسفار الأنبياء عن البعث . النبؤات : هي كتابات تتحدث عن حوادث ستقع في أيام قادمة وأهم أنواع النبوات هي الأيام الأخيرة في تاريخ العالم أو ما سيحدث على هذه الأرض في آخر أيامها قبل أن تبدل الأرض والسماوات . وبعض هذه النبوات رمزي وفي منتهى الغموض ولا تفهم بدون شرح . وقد كتبت نبوات اليوم الآخر في أوقات عصيبة والهدف من كتبتها إعطاء المضطهدين أملا بمستقبل مشرق حين يأتي المسيح المنتظر ؛ لكي ينشر العدل ويحقق السلام. وتنسب كتب النبوات لشخصيات دينية عاشت قبلهم بمئات الأعوام ، ويجب أن تتحدث عن أمور حدثت في الماضي لا كاستعراض تاريخي بل كنبوة ، فيصير هذا الاستعراض خلال تلك الأعوام الماضية نبوات تحققت بكاملها ، ولا تظهر للناس إلا بعد سنين طويلة من كتابتها ؛ لأن صاحب الرؤيا قد أوصى أن يبقى كتابه سراً محفوظاً حتى نهاية الزمان وهذه نهاية الزمان[2].

عليه وسلم ، الأمر الذي أثار حفيظة الجماهير عليه فساعده الحاكم على الهروب من بغداد . (انظر : عبد المنعم الحفني ، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ، 37 – 38) .

[1] – انظر : فرج الله عبد الباري أبو عطا الله ، **اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام** ، ط2 ، دار الوفاء ، المنصورة ، 1992 ، ص 142 – 143 .

[2] – انظر : خالد صناديقي ، **اليوم الآخر ونهاية الزمان** ، ط1، دار علاء الدين ، دمشق – سورية ، 2001 ، ص 13– 14 .

يلاحظ أن عقيدة البعث ارتبطت في تغير النظرة الدينية إلى العالم عند الأنبياء فالمعنى الديني للحياة الإنسانية على الأرض لا يتحقق داخل الحياة ذاتها ولكن في عالم آخر يتحقق فيه الخلاص المطلق[1].

ويشير نص في سفر عاموس إلى يوم الرب (ويل للذين يتشوفون ليوم الرب لماذا تطلبون مجيء يوم الرب فيوم الرب ظلمة لا نور فتكونون كرجل هرب من وجه أسد فلقيه دب أو كمن دخل إلى بيت واتكأ بيده على حائط فلدغته أفعى أوليس يوم الرب ظلمة لا نور وقتاما خاليا من الضياء)[2] ، ويوم الرب يشار به إلى الأزمنة الأخيرة ، وهو اليوم الذي يعلن فيه يهوه ذاته ويدين الشر ويكمل عمل الفداء ، وهو اليوم الذي سينتصر فيه يهوه على جميع أعدائه ، ويخلص شعبه من كل ضيق ، فجاء عاموس وأضفى عليه معنى جديداً وقال : إن يوم الرب سيكون دينونة على إسرائيل ، وإنْ كان دينونة على إسرائيل فقط إلا أنه سيشمل جميع الأمم وهو يوم الدينونة الأخير العام[3]. لا تعني فكرة يوم الرب اليوم الآخر وإنْ قصده عاموس ولكنها تعني اليوم الذي ينتصر فيه يهوه لشعبه المختار ، والدليل أن الإصحاح الخامس من سفر عاموس الذي وردت فيه فكرة يوم الرب يستهله الكاتب بتوجيه نعي لسقوط مملكة إسرائيل (اسمعوا هذه المرثية التي أرثيكم بها يا بني إسرائيل قد سقطت عذراء إسرائيل ولن تنهض بعد صارت طريحة على أرضها وليس من يقيمها)[4] . فيوم الرب الذي قصده

---

[1] – انظر: محمد خليفة أحمد، **تاريخ الديانة اليهودية**، ط1، دار قباء، مصر– القاهرة، 1998، ص150–151.

[2] – سفر عاموس 5 : 18 – 20 .

[3] – انظر: نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، **قاموس الكتاب المقدس** ، ص 1122–1123،

[4] – سفر عاموس 5 : 1 – 2 .

الأنبياء كان موضع تهكم وسخرية من الكثيرين ، وكانوا يرون أنه بعيد جدا ولم تذكر التوراة عنه شيئا صريحا[1].

ونجد في نصوص التوراة عدد من الكوارث الطبيعية والكونية التي تكون مصحوبة بها الدينونه الأخيرة ستدمر العالم منها: – جاء في سفر أشعياء (في ذلك اليوم يعاقب الرب الملائكة الساقطين في السماوات والملوك المتغطرسين على الأرض فيجمعون معا كما يجمع الاساري في الجب ويزجون في سجن مغلق وينم عقابهم بعد أيام عديدة ثم يخجل القمر وتخزى الشمس ؛ لأن الرب القدير يملك على جبل صهيون في أورشليم ويتمجد أمام شيوخ شعبه)[2]. وهذا من الدلالات المجازية لما سيحدث للشمس والقمر.

وورد كذلك عن الحوادث الكونية لليوم الآخر (اقتربوا أيها الأمم للاستماع اصغوا أيها الشعوب لتسمع الأرض وملؤها والمسكونة وكل ما يخرج منها لأن الرب ساخط على كل الشعوب وغضبه منصب على جميع أجنادهم قضى عليهم بالفناء وأسلمهم إلى الذبح فتطرح قتلاهم في الفضاء وتفيض الجبال بدمائهم وتنحل كل كواكب السماء وتطوى السماوات كدرج وتتساقط نجومها كتساقط أوراق الكرمة أو حبات التين المتغضنة)[3] ، وكذلك (فتنقلب أنهار أدوم إلى زفت وترابهم إلى كبريت وتصبح أرضها قارا مشتعلا فلا تنطفئ ليلا ونهارا ويحلق دخانها إلى الفضاء مدى الدهر وتظل خرابا جيلا بعد جيل فلا يعبر بها أحد إلى الأبد)[4] نلاحظ من النص أنه في يوم انتقام الرب سوف يؤدي إلى اختلال نظام الكون ، فتنحل كواكب السماء بأن تفقد ما كان يربطها وهو الجاذبية، وسوف تطوى السماوات ، والنجوم تتساقط كذلك ،

---

[1] – انظر: عماد علي حسن، **الإسلام واليهودية**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 2004، ص124 .

[2] – سفر أشيعاء 24 : 21 – 23.

[3] – سفر أشعياء 34 : 4 .

[4] – سفر أشعياء 34 : 9 – 10 .

وهذا كله يدل على اختلال نظام الكون، وتتحول الأنهار إلى زفته والتراب إلى كبريت، وتصبح الأرض مشتعلة ؛ وذلك كله بسبب اختلال نظام الشمس وقرب الشمس من الأرض بحيث أن الأرض لا تبرد ليلا ولا نهار والدخان يتصاعد في الفضاء من حرارة الأرض.

ومن الأحداث الكونية والتغيرات التي تطرأ على الكون (ولا تعود الشمس نورا لك في النهار ولا يشرق ضوء القمر عليك لأن الرب يكون نورك الأبدي وإلهك يكون مجدك ولا تغرب شمسك من بعد ولا يتضاءل قمرك لأن الرب يكون نورك الأبدي وتنقضي أيام مَنَاحَتِكِ)[1] يبين هذا النص أن الشمس والقمر في ذلك اليوم ليس هما مصدر النور ، ولا يعود لهما هذه الوظيفة، وإنما النور يأتي من الرب ؛ لأن الرب هو مصدر النور الأبدي في ذلك اليوم .

وجاء أيضا (ها هو يوم الرب آت مفعما بالقسوة والسخط والغضب العنيف ليجعل الأرض خرابا ويبدو منها الخطاة فإن نجوم السماء وكواكبها لا تشرق بنورها والشمس تظلم عند بزوغها والقمر لا يشع بضوئه)[2]. وجاء تأكيد هذا في قوله (فأذكر خالقك في أيام حداثتك قبل أن تقبل عليك أيام الشر أو تغلب عليك السنون حين تقول ليس لي فيها لذة قبل أن تظلم في عينيك الشمس والنور والقمر والكواكب وترجع سحب الحزن في أعقاب الرب في يوم ترتعد فيه حفظة البيت ويتنحي الرجال الأشداء.....عندئذ يمضي الإنسان إلى مقره الأبدي)[3] فنلاحظ أنه في نهاية الحياة الدنيا وبداية الحياة الآخرة فإن القمر والشمس والكواكب سوف تظلم ولا تنير . وكذلك من الأحداث (وأزلزل السماوات فتتزعزع الأرض في

---

[1] – سفر أشعياء 60 : 19 – 20 .

[2] – سفر أشعياء 13 : 9 – 10 .

[3] – سفر الجامعة 12 : 1 – 5 .

موضعها من غضب الرب القدير في يوم احتدام سخطه)[1] الجديد في هذا النص هو زلزال السماوات الذي يؤدي إلى زعزعة الأرض في موضعها بسبب غضب الرب في ذلك اليوم . والرب وعدهم إذا أطاعوا وعملوا ما أمرهم به أن يهب لهم أرضا تفيض لبنا وعسلا (فأفي بالقسم الذي أقسمت به لآبائكم أن أهبهم أرضا تفيض لبنا وعسلا)[2] . (الرب أضعفني وأنا في ريعان قوتي وقصر أيامي حتى قلت يا رب أنت حي إلى الأبد لا تقصفني في منتصف عمري قبل أن أبلغ الشيخوخة من قدم أسست الأرض والسماوات هي صنع يديك هي زائلة أما أنت فباق تبلى كلها كالثوب وتستبدلها كما يستبدل الرداء القديم بالجديد لكنك أنت الدائم الخالد وسنوك لن تنتهي) [3] فالإصحاح يدل على زوال السماوات والأرض فهي تبلى ويستبدلها الله بأرض وسماوات جديدة ، ويصف هذه السماوات والأرض الجديدة بأنها دائمة لا تزول (لأنه كما تدوم أمامي السماوات الجديدة والأرض الجديدة التي أنا أصنعها هكذا تدوم ذريتكم وذكركم)[4]، ونلاحظ تبدل الأرض والسماوات بأخرى جديدة قد لا تشبه الأولى ؛ لأن الأولى سوف يمحى ذكرها فلا يعود أحد يذكرها ، فهو سيخلق سماوات وأرض جديدة وهي غير قابلة للدمار ، وسيكون يهوه نوراً خالداً، وستضمن بعض العناصر الفردوسية ثروات خصب لا مثيل لها مثل زوال الأمراض وطول في الأعمار وسلام أبدي بين البشر والحيوانات ، ولكن مبعث العالم الجديد سيكون بالقدس المركز الحقيقي للعالم[5] ، وهذا ما جاء في النص التالي (لأنني ها أنا أخلق سماوات جديدة وأرضا جديدة تمحو ذكر الأولى فلا تعود تخطر

---

[1] – سفر أشعياء 13 : 13 .

[2] – سفر ارميا 11 : 5 .

[3] – سفر المزامير 102 : 23 – 28 .

[4] – سفر أشعياء 66 : 22 .

[5] – انظر : ميرسيا الياد ، **تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية** ، ترجمة عبد الهادي عباس ، ط1، دار دمشق ، دمشق ، 1987 ، ج2 ، ص 279 .

على بال إنما افرحوا وابتهجوا إلى الأبد بما أنا خالقه منها أنا أخلق أورشليم بهجة وسرور)[1] . يعتقد اليهود بوجود سماء وأرض ومعبد في السماء تنزل وتحل محل المعبد الأرضي .

وأكبر علماء اليهود يرى غير ذلك وهو موسى بن ميمون ، فهو يرى أن فساد العالم ليس قاعدة شرعية بوجه ، ووجود الأشياء وتلفها بحسب إرادة الله تعالى لا على وجه اللزوم فان شاء أفسده وإن شاء أبقاه . ولكن هل أخبر الحكماء والأنبياء بفساد العالم أم لا ؟ كثير من العوام يعتقدون أنه تم الأخبار بفساد العالم ولكن ليس الأمر كذلك بل جاءت نصوص كثيرة في تأبيده ، والنص على التأبيد (جيل يمضي وجيل يبقى والأرض قائمة إلى الأبد)[2] ، وكذلك جاء نص أخر يدل على الأبدية (وتكون كل أيام الأرض مواسم زرع وحصاد وبرد وحر وصيف وشتاء ونهار وليل لن تبطل أبداً)[3] . ويبين داود ويوضح أبدية السماء ودوام رسومها وكل ما فيها على حال لا تتغير قال (هللويا سبحوا الرب من السماوات سبحوه في الأعالي سبحوه يا جميع ملائكته سبحوه يا جميع أجناده سبحيه يا شمس يا قمر سبحيه يا جميع الكواكب المشرقة سبحية يا سماء السماوات ويا أيتها السحب التي فوق الجلد لتسبح هذه اسم الرب لأنها بأمره خلقت وثبتها إلى الدهر والأبد واضعا لها حدا لا تتجاوزه)[4]. وذكر سليمان أن أعمال الإله أعني العالم وما فيه ثابتة على طبيعتها للابد وإن كانت مصنوعة (وعلمت أن كل ما يفعله الله يخلد إلى الأبد لا يضاف عليه شيء أو ينقص منه وقد أجراه الله ليتقه الناس)[5] ، فهذا علة لكونه يدوم إلى الأبد كأنه يقول : إن الشيء الذي يتغير من أجل نقص فيه فيتم أو زيادة فيه لا حاجة إليها فتحذف تلك الزيادة ، ولكن لما كانت أفعال الإله في غاية الكمال ، ولا

---

[1] – سفر أشعياء 6 : 17 – 18 .

[2] – سفر الجامعة : 1 : 4 .

[3] – سفر التكوين : 8 : 22 .

[4] – سفر المزمور : 148 : 1 – 6 .

[5] – سفر الجامعة : 3 – 14 .

يمكن الزيادة فيها أو النقصان منها، فهي تثبت على ما هي عليه ضرورة ، والدليل على أن أفعال الإله في غاية الكمال ، قوله (وهو الصخر صنائعه كلها كاملة)[1].

لقد أطرد أشعيا في كلامه كثيراً ، وفي كلام غيره قليلا ، إذ أخبر عن انقضاء دولة أو هلاك ملة عظيمة ، قد عبّر عن ذلك بلفظ أن الكواكب سقطت ، والسماء كورت ، والشمس سودت وكثير من الاستعارات ، وعلى العكس إذا وصف إقبال دولة وتجدد سعادة كنى عن ذلك بزيادة نور الشمس والقمر ، وتجدد سماء وتجدد أرض ، وإذا وصفوا هلاك شخص أو ملة نسبوا حالات غضب وسخط شديد لله عليهم ، وإذا وصفوا إقبال قوم نسبوا لله حالات فرح وسرور ، وإذا أخبر النبي بهلاك أهل موضع ما قد يبدل مكان أهل ذلك الموضع النوع كله .

يفسر ابن ميمون ما ورد في سفر أشعياء أنه لما أخبر الله بانتقاص دولة بابل وهلاك سنحاريب ونبوخذنصر وانقطاع مملكته أخذ يصف نكباتهم في آخر دولتهم ، وهزائمهم وما يلحقهم من الشدائد اللاحقة لكل مهزوم هارب فقال النجوم لا تبعث نورها والشمس تظلم في خروجها والقمر لا يضيء بنوره فكلها استعارات ولا شيء حصل من ذلك ، وإنما هو مجرد وصف لحالة المهزوم . ولما وصف ما انتهت إليه حالة إسرائيل من الذل والغلبة طوال أيام سنحاريب الشرير ولما أخذ يصف ما سيفعله الله بسنحاريب وتلاف ملكه على أورشليم وجزاء يجزيه الله عليها ، قال ممثلا فيخجل القمر وتخزى الشمس . ولما شرع في وصف استقرار إسرائيل بعد هلاك سنحاريب وخصب أراضيهم وعمارتها وإقبال دولتهم على أيدي حزقيال قال ممثلا أن نور الشمس والقمر يزيد . فهل في هذه النصوص شيء يوهم بأنه يصف حالة تلحق السماء ؟ وهل هذه الأمثال لانقراض دولتهم وزوال ستر الله عنهم وسقوط نخوتهم وخمول خطوط عظمائهم في أسرع وقت ؛ كأنه يقول : إن الأشخاص الذين كانوا كالكواكب

[1] – سفر التثنية : 32 : 4 .

ثباتا ورفع منزلة وبعداً من الغير سقطوا بأسرع وقت كسقوط الورق من الكرم . وقوله يخلق سماء وأرضاً جديدة وتنسى الأولى أي أجعل لكم حالة سرور دائم وفرحا عوضا عن تلك الأحزان ولا نكاد نتذكر تلك الأحزان . ومن هذه النصوص يتبين أن فساد العالم وتغيره شيء لم يأتنا فيه نص نبي ولا كلام الحكماء وعلى هذا فالوجود أبدي سرمدي على هذه الطبيعة التي شاء الله تعالى لا يتغير منه شيء بوجه إلا في جزئية على جهة المعجز وإنْ كان له تعالى القدرة على تغييره كله أو إعدامه إلى طبيعة شاء من طبائعه لكنه له افتتاح ولم يكن ثم شيء موجوداً أصلا إلا الله وحكمته اقتضت أن يوجد الخلق حين أوجده وأن لا يعدم هذا الذي أوجده ولا تتغير له طبيعة إلا فيما شاء من جزئيات مما قد علمنا ومما لم نعلمه[1]. ومن كلام ابن ميمون أكبر علماء اليهود نجد أنه ليس في التوراة ما يدل على انتهاء هذه الحياة وبداية حياة جديدة ، فهم ينكرون البعث .

وبعد بيان كيف تنظر التوراة إلى الحوادث الكونية التي تحدث في نهاية الحياة الدنيا وبداية اليوم الآخر . فليس جميع اليهود يؤمنون بانتهاء الحياة الدنيا وبدأ حياة أخرى جديدة. وينقسم اليهود حسب فرقهم الدينية إلى أربع فرق تدعي كل فرقة منها أنها أمثل طريقة وأشد تمسكا بأصول الدين اليهودي من الفرق الأخرى ، وقد أنقرض معظم فرقهم ولم يبق منها في الوقت الحاضر إلا القليل وترجع أهم فرقهم الباقية إلى أربع فرق هي :

أولا – فرقة الفريسيين : – وهي من أهم فرق اليهود ، وأكثرها عدداً في الماضي والحاضر، وهي فرقة تؤمن بجميع أسفار العهد القديم ، والأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى عليه السلام وأسفار التلمود ، وهي تفيد في أصلها معنى المعتزلة أو المنعزلين . بل إن فقهاءهم يطلق عليهم اسم الربانيين وهم الذين ألفوا أسفار التلمود . من أهم معتقداتها أنها تؤمن بالبعث

[1] – انظر: ابن ميمون ، **دلالة الحائرين** ، 360 – 372 .

للصالحين فقط من الأموات أنهم سينتشرون في هذه الأرض ليشتركوا في ملك المسيح المنتظر الذي يزعمون أنه سيأتي لينقذ الناس ويدخلهم في دين موسى[1]. وعرفوا كذلك بالزهد في الحياة وكان همهم الحياة وفقا لتعاليم التوراة من غير التزام بحرفية نصوصه ، وكان لهم تأثير واسع ومستمر على تطور الفكر اليهودي[2]. وهذا يتنافى مع عدل الله تعالى فالأشرار لا عقاب لهم إلا الموت .

ثانيا – فرقة الصدوقين : – وهي تالية في الأهمية لفرقة الفريسيين ، وهي لا تعترف إلا بالتوراة المكتوبة أي العهد القديم ، وترفض الأخذ بالأحاديث الشفوية المنسوبة إلى نبي الله موسى عليه السلام ، ولا تؤمن بالبعث ولا باليوم الآخر ، وتعتقد أن عقاب العصاة وإثابة المحسنين يحصل في حياتهم الدنيا ، ويرفضون العمل بالتلمود ؛ لاعتقادهم أن حفظ الدين هو التمسك الشديد بأحكام التوراة المدونة[3]. ويرى البعض أن هذه الفرقة قد تأثرت بالعقيدة السومرية التي لا تقر بالبعث والنشور أيام الأسر البابلي ، فالحساب هنا أرضي لا سماوي ، واستدلوا على ذلك (أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض) فالثواب هو إطالة عمر الطائع على الأرض[4] . فهم يؤمنون بالحساب الدنيوي ، فالإنسان يجزى في هذه الدنيا عما يفعل إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، ولكن قد يكون بين الناس من يفعل الخير ولكنه يجزى بالشر ، وتفسير ذلك عندهم أنه مسؤول عن أعمال غيره فيجزى بالشر الذي اقترفته

---

[1] – انظر : علي عبد الواحد وافي ، **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام** ، دار نهضة مصر ، الفجالة – القاهرة ، 2003 ، ص63 .

[2] – انظر : عرفان عبد الحميد ، **اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية** ، ط1، دار عمار ، الأردن – عمان ، 1997 ، ص99 ،102 .

[3] – انظر :علي عبد الواحد وافي ، **الأسفار المقدسة** ، ص64 .

[4] – انظر : عبد المجيد همو ، **الكتاب ما بين موسى وعزرا** ، ط1 ، دار الأوائل ، سورية – دمشق ، 2003 ، ص 223 .

قبيلته على مبدأ الذنب الوراثي ، وأن الإنسان ابن شعبه فهو مسؤول عما يفعله غيره ويتحمل وزره ووزر غيره[1]. فالصدوقين لا يؤمنون بالبعث واليوم الآخر ؛ لاقتصارهم على التوراة المدونة فقط ، وعدم الاعتراف أو الأيمان بالتلمود وهو التوراة التي نزلت على موسى مشافهة ، والتي يرد فيها ذكر اليوم الآخر صراحة على خلاف التوراة المكتوبة التي جاء فيها ذكر اليوم الآخر من خلال إشارات فقط .

ثالثا – فرقة السامريون : – وهذه الفرقة لا تؤمن إلا بأسفار موسى الخمسة التي تمثل القسم الأول من العهد القديم ، وسفر يوشع ، وسفر القضاة ، وتنكر بقية أسفار العهد القديم والتلمود . ونصوص الأسفار التي عندهم تختلف في كثير من المواضع عن النصوص المشهورة لهذه الأسفار المعتمدة عند غيرهم . من أهم معتقداتهم أنهم يؤمنون بالبعث وباليوم الآخر وينكرون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى ويوشع[2].

رابعا– فرقة القراؤون : – وهي فرقة ظهرت في بابل في منتصف القرن الثاني للهجرة، ومؤسس هذه الفرقة هو عنان بن داود ، وهذه الفرقة لا تقر ولا تعترف بشرعية التلمود ، وعرفوا بأبناء الكتاب الحرفيون[3]. ومن أهم معتقداتهم أنهم يعتقدون في اليوم الآخر وهو يوم البعث والنشور وانتهاء هذه الحياة الدنيا وبداية حياة أخرى. واستدلوا على ذلك مما جاء في قوله: (ويستيقظ كثيرون من الأموات المدفونين في تراب الأرض بعضهم ليثابوا بالحياة الأبدية

---

[1] – انظر : فوزي محمد حميد ، **عالم الأديان بين الأسطورة و الحقيقة** ، ط2، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، طرابلس ، 1999 ، ص 364 .

[2] – انظر : علي عبد الواحد وافي ، **الأسفار المقدسة** ، ص 66 .

[3] – انظر : عرفان عبد الحميد ، **الأسفار المقدسة** ، ص 95 .

وبعضهم ليساموا ذل العار والازدراء إلى الأبد)[1] وهذا دليل على اليوم الآخر[2]. هذه هي فرق اليهود المختلفة .

لما كانت الغاية من اليوم الآخر هو الثواب والعقاب فقد ظهرت هذه الفكرة عند اليهود وخاصة الفريسين في وقت لاحق ، فقال بعضهم : بوجود سبع دور متناوبة الدرجات . ورأى بعضهم أن العقاب دارين: دار عليا وأخرى سفلى واحدة لعقاب الجسد في الدنيا ، وأخرى لعقاب النفس في الآخرة ، ولهذه سبع دركات متفاوتة حسب تفاوت الذنوب ، ومنهم من قال : أن الناس بعد الموت يقسمون إلى ثلاث فرق : الأولى صالحة حسناتها تربو على سيئاتها وهذه تتمتع بالسعادة الأبدية ، وأخرى طالحة حيث تكثر سيئاتها على حسناتها تعذب عذابا أبديا ، والفرقة الثالثة تتساوى حسناتها مع سيئاتها ، فهذه تعذب في جهنم مدة حتى تطهر من ذنوبها فتصعد إلى السماء.[3] يمكن أن يكون هذا الرأي صحيحاً ، ولكن نحن متأكدون أن التوراة قد جاءت بفكرة الثواب والعقاب ، وأنها كانت في بني إسرائيل ، ولكن حصل عليها بعض التعديل من قبل بني إسرائيل أنفسهم ، وأنها لم تظهر في وقت متأخر .

لكن ما سر هذا التعارض والتناقض في الفكر اليهودي ، تارة تثبت بعض الفرق نصوص عقيدة اليوم الآخر والبعث ، وتارة نجد عدم الإيمان بهذه الفكرة ورفضها ؟ نلاحظ كيفية التذبذب في قصة الألوهية ، ونلاحظ الاختلاف في علاقاتهم بالإله تارة يؤمنون به بصفته الإله المقدس الواحد العام ، وأخرى يؤمنون به بصفته الإله الشعبي الخاص باليهود ،

---

[1] – سفر دانيال 12 : 2 .

[2] – انظر : محمد جلاء ادريس ، **التأثير الإسلامي في الفكر الديني اليهودي** ، مكتبة مدبولي ، بلا مكان ، 1993 ، ص64 .

[3] – انظر: سعدون محمود الساموك، **مقارنة الأديان**، ط1، دار وائل، عمان– الأردن، 2004، ص120–121

وكذلك في عقيدة البعث واليوم الآخر فقد تعرضت لاختلاف طبقا لظروفهم الخاصة ففي عصور الأمان والرخاء ينكرون الحياة الآخرة ويقولون : إن الجنة هي هذا النعيم المادي والرخاء الذي نعيشه، وفي عصور التشرد والضنك وتبدد دولتهم يثبتون البعث والحساب بعد أن تمتلئ قلوبهم بالغل والحقد على الدنيا والسخط مما يحدث لهم فيها ، وهنا يلقون بأطماعهم إلى ما وراء هذه الحياة ، ويدفعون بآمالهم إلى حياة أخرى يلقون فيها ما لم يلقوه في هذه الحياة الدنيا فكل ما عند اليهود عن الحياة الأخرى لم يكن إلا وليد بأسهم من مكان كريم في هذه الدنيا ولو وجدوا هذا المكان لكان لهم في الحياة الآخرة نظر ، وحتى في هذه اللحظات كان إيمانهم بالجنة والنار والحساب والعقاب بصورة مشوهة فقد اعتقدوا أن الجنة هي الدار الخاصة بهم لا يجوز لأحد من غيرهم دخولها والنار لكل إنسان ما عدا اليهود قال تعالى : {وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }[1] هذا ما حكاه القرآن عنهم من أنهم كانوا يؤمنون بالحياة الآخرة ولكن بصورة مشوهة ؛ لأنهم يعتقدون أنهم شعب مختار مميز على سائر الشعوب وشعب هذا شأنه كيف يقف للحساب يوم القيامة مع سائر الأجناس الأخرى التي هي أقل درجات الإنسانية[2]. وعلى هذا نجد أن اليهودية دين لا يهتم إلا بإصلاح الحياة الدنيوية وحدها ولبني إسرائيل وحدهم . ونجد الفكر الديني اليهودي ينظر إلى أن الحياة الدنيا هي البداية وهي النهاية إذا أطاعوا ربهم ملّكهم الأرض وجمع شعبهم بعد تفرق وإذا خالفوه عذبهم في الدنيا وسلط عليهم أعداءهم ، كما في سفر يشوع : (حين تتعدون على عهد الرب إلهكم الذي أمركم به فتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها عندئذ يحتدم غضب الرب عليكم فتنقرضون سريعا من الأرض الخيرة التي

---

[1] – سورة البقرة : 111

[2] – انظر : سعد الدين السيد صالح ، **العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية** ، ط2، مكتبة الصحابة ، جدة ، 1998 ، 347 – 348 .

وهبها لكم)[1] . ثم يجيء سفر القضاة بالدليل الحي على وعد اله بني إسرائيل ووعيده لشعبه (واقترف بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم ونبذوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من ديار مصر وغووا وراء آلهة أخرى من أوثان الشعوب المحيطة بهم وسجدوا لها فأغاظوا الرب وتركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت فاحتدم غضب الرب على إسرائيل وتركهم تحت رحمة الناهبين الغزاة وأسلمهم إلى أعدائهم المحيطين بهم فعجزوا عن مقاومتهم وحيثما خرجوا لخوض الحرب كان الرب ضدهم فينكسرون تماما كما سبق وحذرهم فاعتراهم ضيق عظيم جدا)[2]. وعندما يرضى إله إسرائيل على شعبه يقوده من نصر إلى نصر ويفتح له الأرض كل الأرض ويقول لبني إسرائيل كما يورد سفر الخروج أنه يحارب عنهم في (ولكن أطع ما أوصيتك به اليوم ها أنا طارد من أمامك الأموريين والكنعانيين والحثيثين والفرزيين والحويين واليبوسين)[3] فاليوم الآخر عند اليهود لا يتعدى هذا الأمر يخطئ الإسرائيليون في حق ربهم فيشتتهم ثم يعودون إلى ربهم فيجمعهم ويفتح أمامهم الأرض كل الأرض[4] .

---

[1] – سفر يشوع 23 : 16 .

[2] – سفر القضاة 2 : 11 – 15 .

[3] – سفر الخروج 34 : 11 .

[4] – انظر : عبد الغني عبود ، **اليوم الآخر** ، ص 38 .

المبحث الثاني

نهاية الكون في القران الكريم

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول : – أحداث كونية دالة على نهاية السماء .

المطلب الثاني : – أحداث كونية دالة على نهاية الكواكب والنجوم .

المطلب الثالث : – أحداث كونية دالة على نهاية الأرض .

المطلب الأول

أحداث كونية دالة على نهاية السماء

الهدف الذي من أجله أنزل الله القرآن الكريم بجانب أنه كتاب تشريع وهداية ، هو أنه بشير للذين آمنوا وعملوا الصالحات وأطاعوا الله بالجنة والنعيم الخالد ، ونذير للذين أساؤوا وأشركوا مع الله إلها آخر بأن لهم نار جهنم خالدين فيها أبدا ؛ لذلك جاءت كثير من الآيات تتحدث عن هول ذلك اليوم وما يجري فيه من أحداث فأطلق على تلك الأحداث علامات الساعة، وهي تعني نهاية هذا العالم ، وبداية عالم الآخرة .

في هذا المبحث سوف نتحدث عن الأحداث الكونية فقط التي تصاحب نهاية العالم . والإيمان بنهاية الزمان ومجيء يوم آخر هو ركن من أركان الإيمان بالله تعالى ولا نجد خلافا لذلك بين أهل السنة والجماعة .

وفي نهاية العالم سوف تتغير طبيعة الكون على كل ما فيه وسنتحدث أولا عن التغيير الذي سوف يحدث للسماوات .

السماء في تغير وتمدد كما قال تعالى :{وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}[1] ولا نستطيع التعرف على ما سيحدث للسماء من تغير يوم القيامة إلا من خلال آيات القرآن الكريم والسنة المطهرة ؛ لأنها من أمر الغيب الذي لا يعلمه حق اليقين إلا الذي خلقها[2]. ولكن يستطيع العلم من خلال الكشف عن القوانين التي تحكم الكون التنبؤ بما سيحدث في المستقبل ،

---

[1] – سورة الذرايات : 47 .

[2] – انظر : عبدو الأحمر ، **الكون والنسبية بين القران والنظرية** ، ص 103 .

ولكن لا نصل في ذلك إلى درجة اليقين التي لا يمكن الشك فيها فهي تبقى في دائرة النظريات . قال تعالى : (إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ)[1] اشتملت هذه السورة على إثبات البعث وذكر أهوال تتقدمه وإيقاظ المشركين للنظر في الأمور التي صرفتهم عن الاعتراف بتوحيد الله ، وعن النظر في دلائل وقوع الغيب والجزاء ، والإعلام بأن الأعمال محصاة وجزاء الأعمال خيرها وشرها[2]. والمقصود أي انشقت بأمر الله لنزول الملائكة لقوله تعالى :{وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً }[3] ، "وقيل تفطرت لهيبة الله والفطر الشق يقال فطرته فانفطر" [4]. فإذا حدث انشقاق في السماء دل ذلك على انحلال النظام المتعلق بها كله فهو حدث يكون قبل البعث وهو من أشراط الساعة[5]. وقد أخبرنا تعالى أنه ليس فيها فطور قال تعالى : (فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ)[6] " وذلك بسبب التجانس العظيم الذي جعله الخالق في هذه السماء"[7]. ووصف الله تعالى انشقاق السماء في آية أخرى وكيف أنها انقادت لأمر الله ؛ قال تعالى : (إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ)[8] ؛ أي سمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق وذلك يوم القيامة وحق لها أن تطيع أمره ؛ لأنه العظيم الذي لا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شيء[9]. وبعد أن تنشق السماء تصبح واهية ضعيفة ، قال تعالى: (وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ

---

[1]– سورة الانفطار : 1 .

[2] – انظر : ابن عاشور ، **التحريو والتنوير** ، ج 30 ، ص 171 .

[3] – سورة الفرقان : 25 .

[4] – القرطبي ، **الجامع لاحكام القران** ، ج 19 ، ص 244 .

[5] – انظر : ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج30 ، ص 171 .

[6] – سورة الملك : 3 .

[7] – عبدو الأحمر ، **الكون والنسبية بين القران والنظرية** ، ص 103 .

[8] – سورة الانشقاق : 1 – 2 .

[9] – انظر : ابن كثير ، **تفسير القران العظيم** ، ج 4 ، ص 488 .

)[1] ؛ فقد أصبحت ضعيفة مسترخية بعد أن كانت قوية صلبة . والملك وهي على هذا الوصف على جوانبها . ولعله تمثيل للسماء بخراب البنيان السماوي وانطواء أهل السماء على أطرافها وحواليها[2]. وقيل هي كقوله تعالى : {وَفُتِحَتِ السَّمَاء فَكَانَتْ أَبْوَاباً }[3]. ويصف تعالى كيفية ضعف السماء فيقول :{يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ} [4] المهل قيل : ما أذيب من الرصاص والنحاس والفضة أو دردي الزيت [5] ؛ فهي مع ضعفها تصبح سائلة غير متماسكة قال تعالى: {فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ}[6] ، قيل: إنها صارت في صفاء الدهن والدهان جمع دهن . وقيل : تصير في حمرة الورد وجريان الدهن أي تذوب مع الانشقاق حتى تصير حمراء من حرارة نار جهنم . وقيل : الدهن لرقتها وذوبانها . وقيل : الدهن الجلد الأحمر الصرف أي تصير حمراء كالأديم لشدة حر النار . وقيل : هي كالفرس الوردي الذي يتغير لونه[7] . وزعم المتقدمون أن لون السماء الحمرة وأنها لكثرة الحوائل وبعد المسافة ترى بهذا اللون الأزرق فإنْ كان هذا صحيحا فإنّ السماء لقربها من الناظر يوم القيامة وارتفاع الحواجز ترى حمراء لأنه أصل لونها[8] . وهذا التفسير للون السماء حسب ما كان معتقداً من المعارف والعلوم في ذلك العصر .

---

[1] – سورة الحاقة : 16 – 17 .

[2] – انظر : ناصر الدين أبي سعيد بن عمر الشيرازي البيضاوي ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1988 ، ج2 ، ص521 .

[3] – سورة النبأ : 19 .

[4] – سورة المعارج : 8 .

[5] – انظر : البيضاوي ، **أنوار التنزيل** ، ج2 ، ص 526.

[6] – سورة الرحمن : 37 .

[7] – انظر : ابن كثير ، **تفسير القران العظيم** ،ج4 ، ص275 .

[8] – انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القران** ، ج 17 ، ص 173 .

والدهن تشبيه ثان السماء في التموج والاضطراب[1]. أما قوله تعالى: {وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ}[2] والكشط قلع عن شدة التزاق فالسماء تكشط كما يكشط الجلد عن الكبش فالسماء تنزع من مكانها وقيل تطوى كما قال تعالى : {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ }[3] ، فكان المعنى قلعت فطويت[4]. ويخبرنا تعالى عن حال السماء في النهاية قال تعالى :{يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ }[5] والسجل يطلق على الورقة التي يكتب فيها وعلى كاتب الصحيفة ، ولعل تسميته على تقدير مضاف محذوف أي صاحب السجل . والطي يحتمل أمرين : إما الدرج الذي هو ضد النشر ، وإما الخفاء والتعمية والمحو ؛ لأن الله يمحو ويطمس رسومها[6]. والصحيح أنْ يراد بالسجل الكاتب الذي يكتب الصحيفة ثم يطويها عند إنهاء كتابتها . ومعنى طي السماء تغير أجرامها من موقع إلى موقع أو اقتراب بعضها من بعض كما تتغير أطراف الورقة المنشورة حين تطوى ليكتب الكاتب في إحدى صفحتيها والآية دليل على اختلاف نظام السماوات[7]. السماوات والأرض كانتا رتقا وكتلة صغيرة وانبثقت عنهما مليارات النجوم والمجرَّات وتوزعت في أنحاء الكون . والمجرَّات تتباعد باستمرار ، ويتمدد الكون في كافة الاتجاهات ، فهل من المحتمل أن تكون هناك عملية عكسية تطوي تلك الأكوان بعد ذلك النشور ليعود الكون ويتجمع في كتلة صغيرة ، وهو أمر مفرغ منه ومؤكد فكما تطوى آلاف الصفحات المنتشرة والتي تغطي مساحة واسعة من الأرض في مجلد أو مجلدات صغيرة لا تشغل إلا حيزا ضيقا

---

[1] – انظر : ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج 27 ، ص 261 .

[2] – سورة التكوير : 11 .

[3] – سورة الأنبياء : 104 .

[4] – انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القران** ، ج 19 ، ص 235 .

[5] – سورة الأنبياء : 104 .

[6] – انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القران** ، ج 11 ، ص 347 .

[7] – انظر : ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج 16 ، ص 159 – 160 .

، فالسماوات ستطوى كطي تلك الصفحات في سجل إلهي لا يعلمه إلا هو[1]. وعلماء الكون يصرحون بأن الخطوط المستقيمة لا وجود لها في الكون بل كل شيء منحني فجميع أجزاء الكون من كواكب ومجرات ومنازل ومذنبات وثقوب سوداء جميعها تتحرك بأفلاك منحنية ، كذلك من المنطقي أن تكون نهاية الكون منحنية تماما كما تطوى الورقة[2] . ثم قال تعالى عن تبدل حالة السماء {يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّار}[3] ؛ فالسماء لن تعود في العدم لكن ستطوى إلى حد يعلمه الله ثم ستبدل السماوات بغيرها فبعد الضعف والتشقق الذي يحدث لها سوف تفتح أبوابا ، ثم تكشط وتنزع ثم يطويها الله الملك الجبار ، وبعدها سيبدلها الله بسماوات غيرها لا نعلم عنها شيئا لا شكلا ولا كيفية بل هو بعلم الله وحده[4].

ذكرت الآيات الكريمة أحوال مختلفة للسماوات كالطي مرة ، والتبديل في آية أخرى، والانشقاق ، فجائز أن تكون كذلك على اختلاف الأحوال على ما تقدم ذكره ، ثم تتلاشى وتفنى حتى لا يبقى منها شيء ، ثم آخرها التبديل كما في قوله تعالى : (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ) [5] ؛ فالآية تشير إلى تغير حالة السماوات وكذلك الأرض[6].

---

[1] – انظر : أكرم إدريس ، **الفلك أمام عظمة القران** ، مكتبة الأسد ، دمشق ،2000، ص 93 .

[2] – www .55a.net. بقلم عبد الدائم الكحيل

[3] – سورة إبراهيم : 48 .

[4] – انظر : عبدو الأحمر ، **القران والكون** ، ص 105 .

[5] – سورة إبراهيم : 48 .

[6] – انظر : محمد بن محمد بن محمود الماتريدي ، **تأويلات أهل السنة** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، 2004 ، م 3 ، ص 349 .

المطلب الثاني

أحداث كونية دالة على نهاية الكواكب والنجوم

الكواكب والنجوم زينة لأهل الأرض لكن ماذا سيحدث لها يوم القيامة ؟

قال تعالى : { هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُون}[1] ؛ فقد دلت الأحاديث الصحيحة على أن المراد ببعض الآيات المذكورة في الآية طلوع الشمس من مغربها ، فقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله يقول : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمن من عليها فذاك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا)[2].

وعن حذيفة بن أسيد قال (اطلع النبي علينا ونحن نتذاكر الساعة فقال: ما تذكرون؟ قالوا : نذكر الساعة .فقال : إنها لن تقوم حتى ترون عشر آيات الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف

---

[1] – سورة الأنعام : 158 .

[2] – رواه البخاري 5 / 2386 كتاب الرقاق باب طلوع الشمس من مغربها رقم : 6141 . مسلم 1 / 138 كتاب الإيمان ، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه إيمان ، رقم الحديث 248 . أبو داود 2 / 517 ، كتاب الملاحم ، باب إمارات الساعة ، رقم 4312 . ابن ماجة 2 / 1352 ، كتاب الفتن ، باب طلوع الشمس من مغربها ، رقم 4068 .

بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من قبل عدن تطرد الناس إلى محشرهم)[1] .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً طلوع الشمس من مغربها والدخان ودابة الأرض)[2] .

الحق سبحانه خلق هذا الكون ووضع له قوانينه التي تحكمه في نظام بديع وتناسق رائع. خلق الكواكب والنجوم والمجرَّات ، وجعل لها فلكا تدور فيه ، قال تعالى :{لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }[3] ، فإذا اقترب يوم القيامة انفرط عقد هذا النظام فيجعل الله الشمس تطلع من مغربها آية للناس ، وعلامة لهم على اقتراب الوعد الحق . والشمس تطلع من جهة الشرق وتأفل وتغرب إلى جهة الغرب ، فالله يجعل الشمس في ذلك اليوم تدور في مدار عكسي لمدارها الذي اعتاد عليه الناس ، وبعد ذلك ترجع إلى سيرتها الأولى[4] . وطلوع الشمس من مغربها دليل على قرب نهاية الحياة الدنيا .

---

[1] – أخرجه مسلم 4 /2225 ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة ، رقم : 2901 ، أبو داود ، 2 / 517 ، كتاب الملاحم ، باب إمارات الساعة ، رقم : 4311 ، الترمذي ، 4 / 477 ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في الخسف ، رقم : 2183 ، ابن ماجه ، 2 / 1341 ، كتاب الفتن ، باب الآيات 28 ، رقم : 4041 .

[2] – أخرجه مسلم 1 / 138 ، كتاب الإيمان ، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه إيمان ، رقم : 158 . والترمذي 5 / 264 ، كتاب التفسير ، باب 7 ، رقم : 3072 .

[3] – سورة يس : 40 .

[4] – انظر : مصطفى اللمعي ، **عندما تقوم القيامة** ، المختار الإسلامي ، القاهرة ، 1988 ، ص 42 .

فأول الآيات ظهوراً الدجال ، ثم نزول عيسى عليه السلام ، ثم خروج يأجوج ومأجوج، وبعد ذلك يقبض الله عيسى عليه السلام ، وبعد ذلك بزمن حين يرجع الناس إلى الكفر والفسوق يخرج الله دابة الأرض فتميز المؤمن من الكافر فإذا أصروا على كفرهم طلعت الشمس من مغربها ولم يقبل إيمان كافر ولا توبة فاسق[1].

وكذلك نزول عيسى عليه السلام قبل طلوع الشمس من مغربها ؛ لأنه لو كان نزول عيسى بعد طلوع الشمس من مغربها لم يكن هناك كافرا ، والذي قاله فيه نظر ؛ لأن إيمان أهل الأرض حين طلوع الشمس من مغربها لا ينفع جميعهم ولا ينفع نفس لم تكن آمنت من قبل ، فمن أحدث إيمانا أو توبة يومئذ لم تقبل حتى يكون مؤمنا أو تائبا قبل ذلك ، وكذلك قوله في نزول عيسى : {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً }[2] أي قبل موت عيسى عليه السلام وبعد نزوله يؤمن جميع أهل الكتاب به إيمانا ضروريا ويتحققون أنه عبد الله ورسوله ، وليس ابن الله كما يقولون الآن [3].

ورد في بعض الروايات أن أول الآيات خروجاً الدجال ، وفي بعضها أن أولها طلوع الشمس من مغربها ، وفي بعضها الدابة ، وفي بعضها نار تحشر الناس إلى محشرهم ، وجمع ابن حجر أن الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم الأرض ، فلا ينفي تقدم المهدي عليه وطلوع الشمس من مغربها أول الآيات المؤذنة بتغير أحوال العالم السماوي ، وينتهي ذلك بقيام الساعة والدابة معها فهي والشمس كشيء واحد فبعد طلوع الشمس من

---

[1] – انظر : محمد بن أحمد القرطبي أبي عبد الله , **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة** ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، بلا سنة ، ص 654 .

[2] – سورة النساء : 151 .

[3] – انظر : إسماعيل بن كثير الدمشقي أبو الفداء الحافظ ، **النهاية في الفتن والملاحم** ، صححه أحمد عبد الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 2004 ، ط3 ، ص 113 – 114 .

مغربها تجيء الدابة فتميز بين المؤمن والكافر تكميلا للمقصود من إغلاق باب التوبة فهذان أيهما سبقت الأخرى فالأخرى على أثرها والنار أول الآيات المؤذنة بقيام الساعة[1].

ويستفاد من الآية والأحاديث أنْ بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل الأعمال المستحدثة وأولها الإيمان لمن كان مشركا ، ولا تقبل توبة للمؤمنين من أهل المعاصي ، والسبب في إغلاق باب التوبة وأن من يرى هذه الآية تنكشف له الحقائق ، ويجبر على الإذعان والتصديق في حين أنه لم يؤمن قبل ذلك ، ويعامل التائب بعد هذه الآية الكبرى لدنوها من القيامة معاملة من عاين بأس الله يوم القيامة بنفس الحكم قال تعالى : { فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُون }[2] وبهذا يختم على عمل كل أحد بالحالة التي هو عليها لحصول الإيمان بالمعاينة وارتفاع الغيب فهو كالإيمان عند الغرغرة[3]. وكثير من الآثار التي وردت أن الشمس إذا طلعت أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك ، وذلك لا يخص يوم الطلوع بل يمتد إلى يوم القيامة ، وطلوعها من مغربها أول الإنذار لقيام الساعة . وفي ذلك رد على أصحاب الهيئة أن الشمس من الفلكيات البسيطة لا تختلف مقتضياتها ولا يتطرق إليها تغير[4]. وهذا الاعتقاد السائد في ذلك الزمان بسبب عدم المعرفة الكاملة بالفلك لعدم رؤية ذلك وقلة الوسائل المستخدمة في الكشف عن الحقائق .

---

[1] – انظر : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني , **فتح** الباري بشرح صحيح البخاري ، ط2 ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، 2005 ، ج11 ، ص 361 ،

[2] – سورة غافر : 84 – 85

[3] – انظر : عفاف عبد الغفور حميد ، **الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة** ، ط1، دار عمار ، الأردن – عمان ، 2001 ، ص 373 – 374 .

[4] – انظر : ابن حجر ، **فتح الباري** ، ج11 ، ص 361 .

يقول تعالى : (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ)[1] يقول البيضاوي في تفسيره " لفت من كورت العمامة إذا لففتها بمعنى رفعت ؛ لأن الثوب إذا أريد رفعه لف أو لف ضوؤها فذهب انبساطه في الآفاق وزال أثره "[2]. والجمع بين الأقوال فهي تكور ويمحى ضوؤها ثم يرمى بها في البحر[3]. قال تعالى: (وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ)[4] ، قيل تهافتت وتناثرت . وقيل : سقطت ؛ لأنها قناديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من نور وتلك السلاسل بأيدي ملائكة من نور فإذا جاءت النفخة الأولى مات من في الأرض والسماء ، وتساقطت السلاسل من أيدي الملائكة . وقيل طمس أثارها . وقيل تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها عن أماكنها[5]. وقيل فساد جرمها لتداخل ظاهرها في باطنها بحيث يختل تركيبها فيختل لاختلاله نظام سيرها وإذا زال ضوء الشمس انكدرت الكواكب ؛ لأن معظمها يستنير من انعكاس ضوء الشمس عليها . وفسر الانكدار بالتساقط والانقضاض أي تساقط بعضها على بعض واصطدامها بسبب اختلال نظام الجاذبية الذي جعل الله لإمساكها إلى أمر معلوم.[6] فنلاحظ كيف فسر القرطبي الآية بناء على المعارف السائدة في عصره والمخالفة لأبسط المعارف العلمية فالكواكب معلقة بسلاسل والسلاسل بأيدي الملائكة . ابن عاشور فسر الآية بأن سبب تساقط النجوم والكواكب هو اختلال نظام الجاذبية طبقا لما تم التوصل إليه من المعارف في عصره ، فنلاحظ اختلاف التفسير تبعا لتطور المعارف .

---

[1] – سورة التكوير : 1 .

[2] – البيضاوي ، **أنوار التنزيل** ، ج2 ، ص 572 .

[3] – انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القران** ،ج 19 ، ص 227 .

[4] – سورة التكوير : 2 .

[5] – انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القران** ، ج 19 ، ص 228 .

[6] – انظر : ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج 30 ، ص 141 – 142 .

وهذا كقوله تعالى : { وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ}[1]. ويرى داود السعدي أن هناك فرقا بين تساقط النجوم وذهاب ضوؤها ؛ فالأول يعني أن القيامة تصيب النجوم الأخرى إضافة إلى الشمس ، بينما الرأي الثاني يعني ذهاب النجوم الأخرى ولكن من غير قيام قيامتها بالضرورة. فمعنى قوله : {فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ } [2] ؛ أي ذهب ضوؤها وهذا لا يعني ذهاب الشيء نفسه .[3] القرآن الكريم يقرر قاعدة أن الشمس لا ينبغي لها أن تدرك القمر أو تصل إليه ما دام هذا النظام قائما في المجموعة الشمسية ، قال تعالى : {لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } [4] ، ولكن الآية لم تجعل إدراك الشمس للقمر مستحيلا ، ويعود القرآن في آية أخرى ليحدثنا عن نهاية الأرض والمجموعة الشمسية[5]. قال تعالى :{ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ}[6] استطاع علماء الفلك حساب المسافة بين الأرض والقمر وقدره بنحو 384 ألف كيلو متر ، ووجدوا أن الأرض تبعد عن مركز المجرة بنحو 30 ألف سنة ضوئية ، والقمر يتباعد رويداً رويداً عن الأرض بما مقداره ثلاثة سنتمترات في السنة وهذا سوف يوقع القمر في نطاق جاذبية الشمس فتبتلعه وتعمل على صهر صخوره ، وهذا دلالة على أن الشمس والقمر سوف يجتمعان بعد أن يخسف القمر ويختفي من الوجود وهذا إشارة إلى أن المجموعة الشمسية برمتها سوف تتدمر

---

[1] – سورة الانفطار : 2 .

[2] – سورة المرسلات : 8 .

3 – داود السعدي ، **القيامة بين العلم والقرآن** ، ط2 ، دار الحرف العربي ، بيروت– لبنان ، 1995 ، ص73

[4] – سورة يس : 40 .

[5] – انظر : محمد جمال الدين الفندي ، **الكون الغامض وجود من العدم إلى العدم** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1994 ، ص 159 – 161 .

[6] – سورة القيامة : 7 – 9 .

وتفنى[1]. وقبل جذب الشمس للقمر سوف ينشق ويكون نصفين ، فكل جرم إذا انفصل عن الجاذبية فإنه إذا كان أكبر يتمزق فيكون قطعا كثيرة وينشق إذا كان صغيرا أي يكون نصفين فالقمر مجذوب للأرض فإذا انفصل عن الجاذبية عند انتهاء حرارتها فانه ينشق ويكون نصفين فيبقى زمنا ثم تجذبه الشمس ، قال تعالى : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ)[2] ، فالقمر انشق فكان من معجزات الرسول المادية ، وسينشق عند اقتراب القيامة . ومعظم المفسرين مجمعون على أن آية (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ)[3] تفيد أن القمر سوف ينشق عند اقتراب الساعة في المستقبل ؛ لأن التعبير بالفعل الماضي عن حدث ما يستخدم في الأصل البلاغي في مقام التعبير عن المستقبل تأكيدا لتحقيق وقوعه ، فالله قادر على شق القمر في أي لحظة . والعلم الحديث يؤكد على ظاهرة اجتماع الشمس مع القمر ، والحقائق التي أدت إلى هذا التوقع المثير كثيرة منها : ظاهرة المد والجزر وأثرها على إبطاء دوران الأرض حول نفسها . واليوم يكون نتيجة دوران الأرض حول نفسها وبالتالي يقصر أو يطول اليوم وفقاً لهذا الزمن إسراعاً أو إبطاء ، وجذب القمر للمياه يبطئ من زمن دوران الأرض حول نفسها، والمد والجزر يحدث كل يوم في البحار والمحيطات ، وبهذا يتكرر التعطيل ويزداد طول اليوم على أرضنا تدريجيا ، وهذا سيؤدي إلى تغلب القوة الطاردة المركزية على أجزاء القمر المتماسكة فينشق ويتفتت ، وسرعة دوران القمر حول الأرض سوف تؤدي إلى ابتعاد القمر عن الأرض ثم اقترابه منها تدريجيا حيث يجعل الفرق في تأثير جذب الأرض على جزئي القمر القريب والبعيد كافيا لشقه شيئا فشيئا . والشمس عندما ينفذ الهيدروجين فيها ، ويزداد تركيز الهليوم عند ذلك يقف التفاعل النووي مؤقتاً في قلب الشمس ، فتنقلب الجاذبية فوراً ، فينكمش هذا

---

[1] – انظر : زكريا هميمي ، **الإعجاز العلمي في القران الكريم** ، ط1 ، مكتبة مد بولي ، القاهرة ، 2002 ، ص 78 – 79 .

[2] - سورة القمر : 1 .

[3] – سورة القمر : 1 .

القلب ، ويتكور وترتفع درجة حرارة باطن الشمس ارتفاعا مروعا ، وتزداد مساحة سطح الشمس الخارجية بسبب ارتفاع الحرارة ، وتبتلع كوكبي عطارد والزهرة ويصل سطح الشمس العملاق إلى جو الأرض وتجتمع الشمس مع القمر وتبتلعه أيضا[1] .

[1] – انظر : صبري الدمرداش ، **للكون اله قراءة في كتاب الله المنظور** ، ط1 ، مكتبة المنار الإسلامي ، الكويت ، 2001 ، ص 265 – 271 .

المطلب الثالث

أحداث كونية دالة على نهاية الأرض

رأينا ما سيحدث للنجوم والكواكب لكن ما الأحداث المروعة التي سوف تحدث للأرض وما فيها من جبال وبحار ؟

الأرض هي المكان الذي نعيش عليه ، فتتحرك بنا وتركض بسرعات مختلفة ولكن دون أن تقذف بنا من على ظهرها ودون أن تتعثر خطاها بل ودون أن نشعر شعوراً مباشراً إن كانت تتحرك أصلاً أم لا . ويمسك الله بزمامها فلا تثور إلا بقدر ولا تجمح إلا لثوان وفي ثورانها وجموحها الخطر كل الخطر ، وهذا ما سيحدث لها يوم القيامة[1].

قال تعالى : (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا)[2] لقيام الساعة فرجت رجا وأضيف الزلزال إلى الأرض وهو صفتها واضطربت عند النفخة الأولى أو عند الثانية[3]، وأخرجت ما في بطنها من الأموات أحياء ، والميت في بطن الأرض ثقل لها وهو فوق ظهرها ثقل عليها ، وتحدث ما عمل على ظهرها من الطاعة والمعاصي وما عملوا عليها من خير أو شر والله قد أعلمها ذلك أو أوحى إليها[4]. وعن ابن عباس أنه كان يقول : إن الله تعالى في النفخة الأولى يزلزلها لقوله تعالى : (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ}[5] ثم

---

[1] – انظر : صبري الدمرداش ، **للكون اله قراءة في كتاب الله المنظور** ، ص 265 – 271 .

[2] – سورة الزلزلة : 1 – 2 .

[3] –انظر : البيضاوي ، **أنوار التنزيل** ، م 2 ، ص 614 .

[4] – انظر : الطبري ، **جامع البيان في تفسير آي القران** ، ج 30 ، ص 171 – 172 .

[5] – سورة النازعات : 6 – 7 .

تزلزل ثانية فتخرج موتاها وهي الأثقال . وقيل : أثقالها كنوزها[1] .ويرجح أبو السعود أن يكون الزلزال بعد النفخة الأولى لقوله تعالى : (وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا)[2] أي ما في جوفها من الأموات والدفائن . وتحدث أخبارها إما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لأجله زلزالها واخراج أثقالها ، وإما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير أو شر . ويصدر الناس أشتاتا جماعات متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين ليروا جزاء أعمالهم خيراً كان أو شراً [3]. وهذه الزلزلة زلزلة عظيمة لقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ }[4] واختلفوا في هذه الزلزلة هل هي قبل قيام الناس من قبورهم أول أحوال الساعة ؟ قيل : قبل الساعة ، ويرجح الطبري أنه يوم القيامة[5]. "وقيل تكون في الدنيا لأنه بعد البعث لا يكون حمل ، ومن قال تكون في القيامة قال هذا على وجه تعظيم الأمر لا على الحقيقة "[6]. وهذه الزلزلة لا تشمل الأرض فقط ، قال تعالى : { إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثّا} [7] ؛ أي حركت الأرض تحريكاً شديداً بحيث فتت الجبال حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق إذا لته، أو سيقت وسيرت من بس الغنم إذا ساقها فكانت غباراً منتشراً [8]. فهي تدل على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة وذهابها

---

[1] – انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القران** ، ج 20 ، ص 147 .

[2] – سورة الزلزلة : 2 .

[3] –انظر : أبو السعود ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** ، ج 9 ، ص 188 – 189 .

[4] – سورة الحج : 1 – 2 .

[5] – انظر : الطبري ، **جامع البيان في تفسير آي القران** ، ج17 ، ص 112

[6] – حسين بن مسعود البغوي ، **معالم التنزيل** ، ط2 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1987 ، ج3 ، ص 273 .

[7] – سورة الواقعة : 4 – 6 .

[8] – انظر : البيضاوي ، **أنوار التنزيل** ، م 2 ، ص 458 .

وتسييرها ونسفها أي قلعها وصيرورتها كالعهن المنفوش ، قال تعالى :{وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ}[1] ، أي كالصوف الذي شرع في الذهاب والتمزق . والعهن هي الألوان من الصوف المختلفة المندوف في تفرق أجزائها وتطايرها في الجو[2]. وقال تعالى :{وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً }[3] ، أي رفعت عن أماكنها بسبب القدرة الكاملة أو زلزال أو ريح عاصفة فضربت الجملتان بعضهما ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباءً ، أو فتبسطا بسطةً واحدةً فصارتا أرضا لا عوج فيها ولا أمتا لأن الدكَّ ببعض سبب التسوية كقوله تعالى :{ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ}[4] أي بسطت[5] . وقيل : بسطت فزيد في سعتها كما روى عن علي بن الحسين (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه ، فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن والله ما رآه قبلها فأقول يا رب إن هذا أخبرني أنك أرسلته إلي فيقول : صدق ثم أشفع فأقول : يا رب عبادك عبدوك في أطراف الأرض قال : وهو المقام المحمود[6]. وقال تعالى : {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً}[7]، أي يسألك الناس عن حال الجبال يوم القيامة فقل لهم إن ربي يزيلها عن أماكنها ثم يرسل عليها الرياح فيجعلها هباءً منثورا فتصبح الأرض ملساء مستوية لا نبات فيها ولا يرى فيها ميْل ولا

---

[1] – سورة القارعة : 5 .

[2] – انظر : أبو السعود ، **إرشاد العقل السليم** ، ج9 ، ص 193 .

[3] – سورة الحاقة : 14 .

[4] – سورة الانشقاق : 3 – 4 .

[5] – انظر : البيضاوي ، **أنوار التنزيل** ، م 2 ، ص 581.

[6] – انظر : الطبري ، **جامع البيان** ، ج30 ، ص113 .

[7] – سورة طه : 105 – 108

ارتفاع ولا انخفاض ، ويتبع الناس صوت الداعي الذي يدعوهم إلى مواقف القيامة في أرض المحشر[1].

أما عن البحار ، قال تعالى {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ }[2] ، أي ملئت من الماء وفاضت بعضها إلى بعض فتصير شيئا واحدا . وقيل أرسل عذبها إلى مالحها ومالحها على عذبها حتى امتلأت. وقيل صارت بحراً واحداً من الحميم لأهل النار ، ويحتمل أن تكون جهنم في قعور من البحار فهي الآن غير مسجورة لقوام الدنيا فإذا انقضت الدنيا سجرت فصارت كلها ناراً يُدخل فيها أهلها . ويحتمل أنْ تكون تحت البحر ناراً ثمَّ يوقد الله البحر كله فيصير ناراً ، وفي الخبر: البحر نار في نار[3] . " سأل علي رضي الله عنه يهوديا أين جهنم ؟ قال : البحر ، فقال : ما أراه إلا صادقاً والبحر المسجور"[4]. والغلاف الجوي يصبح لاهباً كالنار ، وغير قادر على الاحتفاظ بكونه سقفاً محفوظاً ؛ لأنه أصبح مهلهلا للتغير الكبير في درجات الحرارة والتي تسجر كل شيء وخاصة مياه الأرض ، فالغلاف أصبح ضعيفا غير قادر على الاستمرار لحماية الأرض[5]. وتسجير البحار أي تسجير مياهها أي تحمى وتشتعل فعندما يجمع الشمس والقمر ويختفي الأخير في داخل الأول تصل الحرارة على سطح الأرض إلى آلاف

---

[1] – انظر : عبد الوهاب عبد السلام طويلة ، **المسيح المنتظر ونهاية العالم** ، ط1 ، دار السلام ، مصر – القاهرة ، 1999 ، ص 336 .

[2] – سورة التكوير : 6 .

[3] – انظر : القرطبي ، **الجامع لاحكام القران** ، ج 19 ، ص230 – 231 .

[4] – ابن كثير ، **تفسير القران العظيم** ، ج4 ، 476 .

[5] –انظر : سليمان الطراونه ، **الإعجاز العلمي في القران** ، ط1 ، دار الفرقان ، الأردن – عمان ، 2000 ، ص54 – 55 .

الدرجات مما يؤدي إلى تبخر المياه في بحار الدنيا ومحيطاتها نتيجة اشتعالها من جراء اتحاد الهيدروجين القابل للاشتعال بأكسجين يساعد على هذا الاشتعال[1].

وتوصلت علوم البحار إلى أنه يقع في أعماق المحيطات السحيقة هيدروجين طليق يتكون من ذرات ثقيلة ، ومن الممكن تحطيم إحدى هذه الذرات بفعل ضغط كهربائي من صاعقة أو حرارة هائلة تندلع بصورة مفاجئة من باطن الأرض الملتهب عبر شق يحدثه انكسار في صخور القاع النارية ، فإذا حدث هذا في ذرات الهيدروجين فان خاصية الاشتعال التي يتمتع بها ستحول المياه جميعاً في المحيطات ، وبعدها مياه الأنهار التي تتصل بها إلى نار وجحيماً ، وتجف كلها في وقت قصير ، ويتحقق قوله تعالى : (وإذا البحار سجرت) فتظهر قدرة الله تعالى في ذلك[2] .

وآخر التغيرات المذهلة التي تحصل للأرض قوله تعالى {يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ }[3] والتبدل قد يكون بالذات وقد يكون بالصفات والآية ليست بنص في أحد الوجهين[4] . وقيل:اختلاف أحوالها فمرة كالمهل ومرة كالدهان والصحيح إزالة هذه الأرض . فقد روى مسلم عن ثوبان مولى رسول الله قال : " كنت قائما عند رسول الله فجاءه حبر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك وذكره الحديث وفيه فقال اليهودي : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال رسول الله في

---

[1] – انظر : صبري دمرداش ، **للكون اله قراءة في كتاب الله المنظور** ، ص 272 .

[2] – انظر : عبد العليم عبد الرحمن خضر ، **الظواهر الجغرافية بين العلم والقران** ، ص 79 .

[3] – سورة إبراهيم : 48 .

[4] – انظر : أبو السعود ، **إرشاد العقل السليم** ، ج 5 ، ص 60 .

الظلمة دون الجسر "[1] . فهذا يدل على أن السماوات والأرض تبدل وتزول. وقال جابر: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن قوله (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال : تبدل خبزا يأكل منها الخلق يوم القيامة . وقال ابن مسعود :تبدل بأرض بيضاء كالفضة لم يعمل عليه خطيئة[2]. فجائز أن يكون المبدلة أرض من فضة أو ناراً أو خبزاً ، وجائز أن تكون غير ذلك ، ولا خبر في ذلك عندنا من الوجه الذي يجب التسليم له أي ذلك يكون[3]. وما أخبر عنه القرآن مما يقع للكون من زلزلة الأرض وتكوير الشمس ونسف الجبال مما يصاحب النفخة الثانية في الصور ؛ لأن الآيات التي تحدثت عن ذلك مثل قوله : { فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحدة وحملت الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ}[4] ، وقال تعالى : { وَفُتِحَتِ السَّمَاء فَكَانَتْ أَبْوَابا}[5] . الآيات التي تحدثت عن الصور جاء العطف بعدها بالواو ، وهي لا تفيد الترتيب بعكس ثم التي تفيد الترتيب والتراخي. وظاهر النصوص تفيد أن نسف الجبال وغير ذلك مما يصاحب البعث والنفخ في الصور[6]. ونقل القرطبي في التذكرة عن المحاسبي ما يقع من انشقاق السماء وتناثر النجوم وطمس شمسها وقمرها إنما يكون بعد جمع الناس في الموقف . قال الحليمي : في مثل قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ)[7]. والذي يثبت بسياق الآيات أن الزلزلة إنما تكون بعد إحياء الناس وبعثهم من قبورهم ؛ لأن المراد إذعار الناس والتهويل فينبغي أن يشاهدوها ليفزعوا منها

---

[1] – أخرجه مسلم 1 / 252 ، كتاب الحيض ، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما ، رقم 315 ، والنسائي 337/5، كتاب عشرة النساء، باب كيف تؤنث المرأة وكيف يذكر الرجل، رقم9073.

[2] – انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القران** ، ج 9 ، ص 383 – 384 .

[3] – انظر : الطبري ، **جامع البيان في تفسير آي القران** ،ج 13 ، ص 254 .

[4] – سورة الحاقة : 13 – 15 .

[5] – سورة النبأ : 19 .

[6] – انظر : فرج الله أبو عطا لله ، **اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام** ، ص 127 .

[7] – سورة الحج : 1 .

ويهولهم أمرها ولا تمكن المشاهدة وهم أموات ؛ لأنه قال أنها تخبر بما عمل عليها من خير أو شر فدل على أن الزلزلة وما يحدث من حوادث إنما يكون والناس أحياء واليوم يوم جزاء[1] . وقيل :إن ما يحدث في ذلك اليوم إنما خرج مخرج المجاز والتمثيل لشدة الهول والفزع لا حقيقة كقوله (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً)[2] . ولا شيب فيها وإنما مجاز لشدة الهول واستدلوا كذلك بقول الله لآدم يا آدم إبعث بعث النار . وأما من قال أنها بعد النفخة الثانية أجابوا أن الحديث لا يدل على أن الزلزلة تكون حين الأمر ببعث النار بل تكون ذلك اليوم واليوم متأخر عنه وكأن الله لما أخبر عن الزلزلة والتي تكون عند النفخة الأولى ذكر ما يكون في ذلك اليوم من الأهوال وهو قوله لآدم إبعث بعث النار فيكون ذلك في أثناء ذلك اليوم ولا يقتضي أن يكون متصلا بالنفخة الأولى[3].

---

[1] – انظر : القرطبي ، **التذكرة في أحوال الموتى** ، ص 196 .

[2] – سورة المزمل : 17 .

[3] – انظر : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، **البذور السافرة في أحوال الآخرة** ، تحقيق أبو عبد الله محمد حسن الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ص 109 – 111 .

المبحث الثالث :

نهاية الكون حسب تصور العلم الحديث ، ويشتمل على ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : – أحداث تساهم في نهاية الكون .

المطلب الثاني : – أهم نظريات نهاية الكون .

المطلب الثالث : – الكون المفتوح و المغلق .

المطلب الأول

أحداث تساهم في نهاية الكون

التنبؤ بالمستقبل أمر شديد الصعوبة وعلى الرغم من الإخفاقات الكثيرة ما زال العلماء يعتقدون بأنهم يستطيعون التنبؤ بالمستقبل .

فعلى الرغم من معرفة القوانين التي تحكم الكون فقد لا نكون قادرين على استخدامها للتنبؤ بالمستقبل البعيد ؛ لأن حلول معادلات الفيزياء تتمتع بخاصية الفوضى أي أن المعادلات قد تكون غير مستقرة فإدخال تغير طفيف على حالة المنظومة في لحظة معينة يؤدي إلى اختلاف كلي في تصرفاتها اللاحقة[1].

هناك الكثير من الأحداث التي يتوقع أن تكون سبباً في نهاية العالم أو نهاية الحياة ، منها : يوجد عدد من الأجرام بحجم الجبال تحدث أزيراً لمرورها بسرعة حول الشمس في مدارات تحملها على بضع ملايين الكيلو مترات من مدار الأرض ، وبين الفترة والأخرى تكون هذه الأجرام والأرض في مداراتها المتتالية عند نقاط تجعلها قريبة نسبيّا من بعضها البعض . والأجرام تسمى السافات الأرضية : وهي كويكبات يمكنها الاقتراب من الأرض ؛ لأن مداراتها غير ثابتة فهي تتأثر بدرجة طفيفة على الدوام بجذب الجاذبية الأرضية وبجذب الكواكب الأخرى والتي تقترب منها ؛ لذلك تتغير مداراتها بشكل مستمر وربما يأتي يوم يلامس فيه مدار السافات الأرضية مدار الأرض وقد يصل كل من الأرض والجرم في النهاية

---

[1] – انظر : ستيفن هوكنج ، **الثقوب السوداء** ، ص 201 – 202 .

إلى نقطة التقاطع في نفس الوقت . والعلماء يفترضون أن مثل هذا الحدث قد يحدث في المتوسط كل عدة ملايين من السنين[1].

المذنبات نشأت من سحابة غير مرئية ، وتشكل خطراً آخر ، وتبعد حوالي سنة ضوئية من الشمس . والمجرة ليست ساكنة فهي تتحرك ببطء بينما تدور نجومها حول النواة المجرية وتحتاج المنظومة الشمسية حوالي مائتي مليون سنة حتى تكمل دورة كاملة حول المجرة . وتواجه خلال الدورة الكثير من المخاطر ، فالنجوم القريبة قد تناوش سحب المذنبات مزيحة بعضاً منها تجاه الشمس فتبخر الشمس بعض من مادتها المشتعلة وتذروها الرياح الشمسية في شكل قصاصة طويلة ضيقة ، ويصطدم المذنب في أحوال نادرة بالأرض ولكن المسافات البعيدة بين النجوم تقلل بقدر كبير من احتمالات مثل هذه المخاطر . وكذلك سحب الغاز العملاقة تنجرف ببطء نحونا فبإمكانها أن تغير بشكل مدمر الرياح الشمسية وتؤثر في انسياب الحرارة القادمة من الشمس إلينا ، وكذلك الأجرام البعيدة كالكواكب الحمراء والنجوم النيوترونية والثقوب السوداء قد يصلوا إلينا خفية بلا تحذير ويشيعوا الدمار في النظام الشمسي[2] .

واصطدام مذنب بحجم مذنب هالي بالأرض يطلق كمية من الطاقة في ثانية واحدة تبلغ الطاقة التي تستقبلها الأرض من الشمس في ستة شهور هذه الطاقة تكفي لإزالة الغلاف الجوي للأرض ، وتزيد درجة حرارة الهواء إلى حوالي 200 درجة مئوية وسيغطي كوكب الأرض طبقة من الغبار تقدر بالبلايين من الأطنان ، وبذلك ينتهي أي أثر للحياة على كوكب الأرض . وقد تنتهي المجموعة الشمسية بالكامل إذا دخلت نطاق ثقب اسود وينتج الثقب

---

[1] – انظر : إسحاق عظيموف ، **استكشاف الأرض والكون** ، ص 326 – 327 .

[2] – انظر : بول دافيز ، **الدقائق الثلاث الأخيرة** ، ص 21 .

الأسود من تحول نجم نيتروني[1] عملاق قد يصل قطره ملايين الكيلو مترات إلى نجم منضغط بشدة هائلة حول مركزه بحيث لا يزيد قطره على كيلو مترات معدودة ، ويستطيع الثقب الأسود أن يجذب نجما أضخم منه ملايين المرات حتى أشعة الضوء يجذبها ويبتلعها الثقب الأسود. وانفجار السوبرنوفا[2] والذي يحدث فيه تدمير شامل لمادة نجم عملاق تعادل طاقة انفجاره طاقة انفجار حوالي مليون شمس قد يدمر بالكامل وينهي نجمنا الشمسي وبالتالي كوكب الأرض[3].

الشمس تتكون بشكل أساسي من الهيدروجين الذي يشكل 75 ٪ من كتلة الشمس والباقي 25 ٪ هليوم مع ذرات معقدة أخرى موجودة بكميات ضئيلة جدا . والتفاعلات النووية التي تحدث في الشمس تحتوي هيدروجين وهليوم وهي التفاعلات المسؤولة عن حدوث الطاقة الإشعاعية ، فالعملية عبارة عن تحول نواة الهيدروجين إلى نواة الهليوم عبر العديد من المراحل، وقد أمضت حوالي خمسة بلايين سنة وهي تشرق وتتوهج قريباً من المعدل ، مما يعني أن الشمس تستطيع الاستمرار في التواجد لخمسة بلايين سنة قادمة ما لم يحدث شيء خارجي يتدخل في مسيرة الحياة . كل نجم يعيش في توازن بين الحقل الجاذبي والتفاعلات النووية ، فالحقل الجاذبي يميل بالشمس نحو التقلص بينما الضغط الناتج عن التفاعلات تميل بالشمس نحو التمدد وهكذا يحدث التوازن . وكلما كانت كتلة النجم أكبر زادت كثافة الحقل الجاذبي وبالتالي زاد الاتجاه نحو التقلص ولكي تستمر حالة التوازن من حيث

---

[1] – النجم النيتروني هو : نجم صغير فائق الكثافة جدا يتكون في معظمه من النيوترونات . (انظر : هاني خليل روق ، موجز تاريخالكون ، 63)

[2] – السوبرنوفا هو انفجار المناطق الخارجية للنجوم العملاقة فتكون أكثر إشعاعا وتألقا وهي نجوم أضخم من الشمس بنحو خمسون مرة . (انظر : محمد الجزار ، **الكون بداية ونهاية** ، ط1 ، مركز الكتاب ، مصر – القاهرة ، 2001 ، ص15)

[3] – انظر : محمد الجزار ، **الكون بداية ونهاية** ، ص 142 .

الحجم فكلما كبرت كتلة النجم توجب أن يكون أسخن مما يزيد سرعة استهلاك الوقود النووي فيه ؛ لأن الكتلة أكبر فمخزون الهيدروجين اكبر فيستهلك النجم الهيدروجين بسرعة[1]. وعند نفاد الهيدروجين فمركز الشمس لن يستطيع أن يقاوم وزن المناطق الخارجية التي تضغط للداخل ، ويبدأ القلب في التقلص ، وأثناء ذلك تتحول طاقتة الجذبية إلى حرارة ، وبتقلص القلب فإن حرارته تقذف بالمناطق الخارجية لأعلى مما يجعل سطح الشمس يتمدد ويبرد وأشد احمراراً ، وهذا يحدث في البداية تدريجياً بحيث لا يدرك ثم تتزايد سرعته إذ يقترب السطح الخارجي من الأرض وتشغل الشمس قدراً أكبر من السماء ، وتتبخر المحيطات وتذوب الثلوج وستلتهم الشمس عطارد والزهرة . والهليوم سوف يندمج لينتج عناصر أثقل مثل الأكسجين والكربون والنيتروجين ، وتزداد الشمس سخونة وتتضخم أكثر ، فتتبخر الأرض والمريخ بسبب الحرارة الهائلة . [2] بعد ذلك تمر بأطوار أخرى جميعها قصيرة نسبيا بالمقارنة بالفترة الطويلة التي كان الهيدروجين مصدر الطاقة الرئيسي ، وسيصبح قلب النجم مثقلا بالحديد ، وعندئذ لا توجد فرصة لأي تفاعل نووي آخر يبعث بالطاقة هناك فلا يوجد ما يكفي من الطاقة المنتجة تجعل القلب بصورة نشطة من أجل الحفاظ على استمرار تمدد النجم ضد جذب جاذبيته ومن ثم ينكمش ، وفي الحقيقة ينهار وتتحول طاقته الحركية إلى حرارة وتنطلق الحرارة بسرعة إلى ارتفاعات هائلة ، ويقوم الهيدروجين الموجود خارج القلب بالاندماج وسرعان ما يخبو اندلاع البريق ويبرد النجم المنهار تماما ؛ لأنه ليس هناك مصدر أخر للحرارة ، ويتكون ما يسمى القزم الأبيض الذي يكون بحجم كوكب صغير ، وهو أبيض لأنه يتوهج بحرارة بيضاء على السطح بعد انهياره مباشرة ، ويخبو معدل الإشعاع بسرعة ،

---

[1] – انظر: قسم التأليف والترجمة في دار الرشيد، **احتمالات نهاية الكون**، دار الرشيد ، بيروت ، 1988 ، ص47 – 49 .

[2] – انظر: فرانك كلوز ، **النهاية لكوارث الكونية وأثرها في مسار الكون** ، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1994 ، ص 292 – 293 .

ويأخذ معدل الخفوت في التباطؤ شيئا فشيئا بعد ذلك ، وسيأخذ القزم الأبيض فترة حتى يتوقف عن بعث الضوء المرئي ، ويصير من البرودة بحيث يصبح معتما[1]. ثم تقذف في الفضاء قذيفة غازية يغمرها ضوء فوق البنفسجي يمتد إلى أبعد من المدار الذي كان فيه أخر كواكب المجموعة الشمسية وهو بلوتو ، ويمتلىء فضاء النظام الشمسي كله بإشعاع رهيب منبعث من شبح الشمس الآخذة في الإبحار خارج نطاقها هائمة في الفضاء السحيق . وليس شرط أن تكون نهاية الأرض بنهاية الشمس فالأخطار الكونية المحيطة بها متعددة ، فهناك العديد من الاحتمالات كلها ممكنة فإنْ لم تصادفها نهاية مفاجئة من هذه النهايات فستكون نهايتها محتومة بابتلاع الشمس على ما بينا[2] . ويطرح هوبرت حلول محتملة كي نبقي نهاية الجنس البشري بعيدة بعض الشيء منها :

أولاً – تحريك كوكب الأرض نفسه بحيث يظل على بعد مسافة أمنة من شمسنا فلا بد من نشر بطاريات الصواريخ توجه بصورة ملائمة ، ولا بد من التحكم بصهر الهيدروجين حتى نحصل على الطاقة المطلوبة . والمشكلة في هذا الحل أنه حل مؤقت يصلح في مرحلة العملاق الأحمر وتعود المشكلة من جديد عندما يتحول النجم إلى سديم كوكبي ثم قزمة بيضاء[3].

ثانياً – الهجرة إلى كوكب أبعد من الشمس ، فكوكب المريخ وأورانوس ونبتون تتوفر بهما كميات كبيرة من المياه ، ويمكن تهيئتهما بحيث يصبحا صالحين للسكنى عن طريق تسخينهما

---

[1] – انظر : إسحاق عظيموف ، **استكشاف الأرض والكون** ، ص334 – 335 .

[2] – انظر : حمادي العبيدي ، **الكون من الذرة إلى المجرة** ، ط1 ، دار وحي القلم ، دمشق – سوريا ، 2002 ، ص 150 .

[3] – انظر : هوبرت ريفز ، **نشأة وتطور الكون** ، ترجمة هدى علي جمال ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، 1992 ، ص 197 .

بأشعة الشمس الحمراء الهائلة ، وهو حل يمكن تحقيقه في المستقبل غير البعيد جدا ولكن المشكلة أن يبقى الحل مقتصرا على بعض المتميزين[1] .

ثالثاً – وهو أصعب حل ، ولكنه دائم بدرجة كبيرة يتمثل في إعادة تنشيط الشمس فهي تحصل على الطاقة بحرق الهيدروجين إلى هليوم ، وهذا يتم في قلب الشمس وبعد خمسة مليارات سنة لن يبقى هيدروجين في هذه المنطقة ، ولكن يبقى كميات غير مستهلكة بين قلب الشمس والسطح الخارجي ، وهنا لا بد من مضخة لكي يدور الوقود ويندفع إلى المركز وذلك لإطالة عملية التفاعل واستمرار تحول الهيدروجين إلى هليوم[2]. فلا بد من تحريك ومزج المادة الشمسية بصورة دورية ، ولتحقيق هذا يجب إنشاء نقطة ساخنة في مكان ما بين المركز والسطح في موقع يبعد قليلا من منطقة الانصهار ، وهنا احتمالين :الأول – أن نفجر قنبلة هيدروجينية فائقة القوة ، والصعوبة أن تصل القنبلة إلى المكان المطلوب قبل أن تنفجر ، والاحتمال الآخر توجيه دفعة قوية من ضوء الليزر مركزة للغاية نحو سطح الشمس . والصعوبة كيف نتوصل إلى أسلوب يضمن ألا تتبدد الطاقة في مرحلة مبكرة أكثر مما ينبغي[3] ؟

هذا عن نهاية الشمس ولكن كيف ستكون نهاية الكون الكبير ؟ فنهاية الشمس قد لا تكون سببا في نهاية الكون ؛ ففي كل يوم تموت شموس وتولد شموس جديدة على العكس من ذلك فإن نهاية الكون سيكون سببا في نهاية الشمس .

---

[1] – انظر : قسم التأليف والترجمة في دار الرشيد ، **احتمالات نهاية الكون** ، ص 51 .

[2] – انظر : محمد الجزار ، **الكون بداية ونهاية** ، ص 144 .

[3] – انظر : هوبرت ريفز ، **نشأة وتطور الكون** ، ص 199 .

المطلب الثاني

أهم نظريات نهاية الكون

كيف ستكون عملية تطور الكون في المستقبل ؟ سؤال محير فالحقائق تبين أن الكون يتمدد لكن هل سيستمر هذا التمدد إلى الأبد أم أنه سيتوقف في يوم ما ؟ معرفة نهاية الكون أمر صعب ؛ لأنه يعتمد على جمع المعلومات ونماذج هندسية وفيزيائية كاملة للكون فلو كان الكون مفتوحا أي لا حدود له فانه سيستمر حتما في التمدد إلى ما لا نهاية أما إذا كان مغلقا على نفسه مثل الكرة فيطرح العلماء عدة احتمالات[1].

أهم النظريات التي تتحدث عن نهاية الكون :

أولاً – نظرية الدمار المفاجئ : وهي أحدث النظريات في فناء الكون ، ومفادها أن نهاية الكون قريبة جداً ، فهناك عدة دلائل تشير إلى ذلك منها : إن مادة نسيج الكون أصبحت غير مستقرة بعد عشرين مليار من السنين وهي مدة كافية ليتخلخل فيها نسيجه ومن ثمة يمكن أن يتغير جزء من مادته تغيرا مفاجئا في مكان ما فيسري في جميع الأجزاء بسرعة تقارب سرعة الضوء مدمرا كل شيء ، وينتهي الكون في أقل من ثانية وستبقى المادة مفتته في جزئيات ويمكن أن يعاد تشكيلها لينشأ منه كون جديد بأسلوب التغير التطوري .

---

[1] – انظر : حميد مجول النعيمي ، **فيزياء الجو والفضاء** ، ص 409 .

ثانياً – نظرية التمدد وانعدام الطاقة: فالكون لن يستمر في التمدد حتى تنعدم الجاذبية بل سيفنى قبل ذلك ؛ بسبب نفاد الطاقة وذلك حين يتحول كل الهيدروجين الذي في النجوم إلى هليوم فتذوى ثم تنطفي وتموت فالكون سيفنى بفناء النجوم[1].

ثالثاً – هناك نظرية تعتمد على معرفة هندسة الكون وعلى العلماء استنتاج الشكل الهندسي للكون عن طريق دراسة الكثافة الكونية ومقارنتها بالكثافة الحرجة والتي تبلغ$5*10^{-30}$ غم/سم^3 أي ثلاث ذرات هيدروجين في المتر المكعب . ولعلماء الفلك في ذلك ثلاث نماذج هي :

أولاً – الكون المفتوح : وهو الكون الذي تتحكم فيه الهندسة الزائدة ، أي هندسة القطع الزائد، وفي هذا الكون يكون عدد لا نهائي من الخطوط المتوازية ، ومجموع زوايا المثلث أصغر من 180 ، ويكون الكون على شكل سرج حصان[2] . هنا يتمدد الكون إلى ما لا نهاية وببطء متزايد، وإذا كانت الكثافة أدنى بكثير من الكثافة الحرجة يصبح توسع الكون سريعا جدا ، وتحصل هنا عدة حوادث ، منها انطفاء النجوم الواحدة تلو الأخرى ، فالنجوم ذات الكثافة العالية تدوم لوقت أطول من غيرها ، ولا يحل محلها نجوم أخرى جديدة ، فالغيوم السديمية تتمكن من التقلص وخلق نجوم جديدة ؛ ولكن بسبب تمدد الكون المستمر تصبح المادة في الفضاء متحللة وباردة بمقدار لا يسمح لها أن تتمكش[3]. بعد عشرة بلايين عام أو ما يقارب ستكون معظم النجوم في الكون قد انتهت محترقة ، والنجوم ذات الكتل الأكبر من كتلة الشمس يمكن أن تصبح ثقوب سوداء وهي أشد صغرا ولها مجال جذبي شديد بحيث لا يستطيع أي

---

[1] – انظر : حمادي العبيدي ، **الكون من الذرة إلى المجرة** ، ص147 – 148 .

[2] – انظر : أسامة علي خضر ، **القران والكون من الانفجار العظيم إلى الانسحاق العظيم** ، ص 810 .

[3] –انظر : سمير عازار ، **الكون** ، دار النهار للنشر ، ج1 ، ص 134 .

ضوء الإفلات منها وليس هناك دليل قطعي على أن الكون سوف يتمدد إلى الأبد[1]. ويتوقع العلماء أن تفقد النجوم كل ما يحيط بها من الكواكب وذلك عندما يقترب أحد النجوم إلى حد ما من نجم أخر ، وهذا يؤدي إلى جذب النجم الثاني لهذه الكواكب وإلى اختلال نظامها وسينتهي الأمر إلى تبعثرها في الفضاء ، وهذا لا يحدث بين النجوم إلا نادرا بسبب المسافات الشاسعة جدا بينها ، والتقاء النجوم يؤدي إلى حدوث ظاهرة أخرى فعندما يقترب نجم من أخر فإن أحد هذين النجمين قد يكتسب قدرا من الطاقة تساعد على الهروب من المجرة التي يوجد بها في الوقت الذي تقل فيه طاقة النجم الأخر ، وتقل بذلك السرعة التي يتحرك بها ويقترب تدريجيا من مركز المجرة في أثناء دورانه حول هذا المركز وهذا ما يطلق عليه تبخر المجرَّات ، وإذا تعددت هذه اللقاءات سوف يؤدي هذا إلى فقدان جزء كبير من كتلة كل مجرة وقد تصل إلى نحو 90 ٪ من كتلة المجرة وتقوم قوى التجاذب المركزية في كل مجرة بجذب كل ما تبقى بها من نجوم بطيئة وغبار كوني وغازات إلى قلب المجرة ومركزها ، وعندما تتحول المجرَّات إلى كتل مركزية عالية الكثافة قد تتحول إلى ثقوب سوداء هائلة الكتلة وتبخر المجرَّات حسب تقدير العلماء يكون بعد انقضاء مليون مليون مليون سنة من الانفجار الكبير[2]. وستمر النجوم الميتة إحداها بالأخر على مسافة جدا قريبة بحيث تفشل في الإمساك بكواكبها وسوف تنفصل هذه الكواكب وتنجرف بعيدا لتنطلق حرة خلال الفراغ وما يتبخر من المجرَّات ما يقارب من 90- 99٪ من النجوم المختلفة والباقي تشد إلى الداخل وتتجمع في مراكز المجرَّات مشكلة ثقوب سوداء عملاقة وإشعاع الخلفية الميكرويفي ستكون درجة حرارته فوق الصفر في حدود جزء من عشرة آلاف من البليون من الدرجة المئوية ويكون

---

[1] – انظر : ستيفن هوكنج ، **الثقوب السوداء** ، ص 211.

[2] – انظر : احمد مدحت إسلام ، **الكون في فكر الإنسان قديما وحديثا** ، ص 202 – 204 .

الكون خلاء شاسعاً من لا شيء فليس من مجرات ، وإنما توجد نجوم فحسب ليس لها كواكب[1] . وقد يحدث قبل ذلك حدث يغير مجرى التنبؤات وهو مرتبط بثبات أو عدم ثبات البروتون فإذا كان غير ثابت فيتفكك ويتحول الكون بعد 10^{30} سنة إلى فضاء متحلل من البوزيترونات والإلكترونات والفوتونات ويكون قطره 10^{20} مرة القطر الحالي فبعد أن تكون البوزيترونات والإلكترونات قد اندثرت بتلاقيها وبعد تبخر الثقوب السوداء لا يبقى من الكون المنتفخ بعد 10^{100} سنة إذا كان البروتون غير ثابت سوى إشعاع بسيط من الطاقة في محيط قد أدرك حرارة الصفر المجرد فهي فرضية غير كاملة وتطورها متعلق بإمكانية تفكك البروتون أو عدمه[2]. وأهمية انحلال البروتونات أنه يتوقع حدوثه بصفة خاصة للنجوم التي فرت من المجرَّات في عملية التبخر السابقة ، ويؤدي انحلال البروتونات والنيوترونات إلى إطلاق قدر كبير من الطاقة تتسبب في رفع درجة حرارة هذه النجوم ؛ لأن كل بروتون سيعطي عند انحلاله إلكترونات نشطة وبوزيترونات وفوتونات ترفع من درجة حرارة النجم ، وعند امتصاصها يؤدي التقاء الإلكترونات السالبة بالبوزيترونات الموجبة إلى فناء الجسيمات النووية وإطلاق طاقة عالية على هيئة فوتونات تساعد أيضا على رفع درجة حرارة النجم . وعندما يصبح عمر الكون 10^{68} سيقع حدث أخر ، فستختفي جميع الثقوب السوداء الهائلة التي تبقت بعد تبخر المجرَّات وستختفي تماما ، وأغلب نواتج انحلالها على هيئة فوتونات مع بعض الإلكترونات والبوزيترونات والنيوترونات . وهذه هي معلومات أو تصورات العلماء

---

[1] – انظر : فرانك كلوز ، **النهاية الكوارث الكونية واثرها في مسار الكون** ، ص 257 – 258 .

[2] – انظر : سمير عازار ، **الكون** ، ص 136 .

بناء على معلوماتهم الحالية للكون المفتوح المستمر في التمدد والاتساع بعد انقضاء كل هذه المدة من الزمان . [1]

القول في توسع الكون إلى ما لا نهاية بافتراض استمرار قوة الدفع إلى الخارج بمعدلات أقوى من قوى الجاذبية التي تشد الكون إلى الداخل في اتجاه مركزه هو افتراض خاطئ في الملاحظات الراهنة على الجزء المدرك في الكون . إن استمرار توسع الكون يؤدي إلى خفض درجة الحرارة بالتدريج حتى تنطفي ضوء نجومه بانفجارها أو بتحولها إلى أجسام باردة كالكواكب أو ثقوب سوداء تبتلع كل ما يدخل في دائرة جذبها من مختلف صور المادة والطاقة ، فالنموذج مستبعد في ضوء ما تفقده النجوم عن طريق إشعاعها من طاقة ، والطاقة والمادة أمران متكافئان ، واستمرار فقدان النجوم من طاقتها ينفي إمكانية استمرار الكون في الاتساع إلى ما لا نهاية ، وباستمرار التمدد يستمر انتقال الطاقة من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة كالكواكب حتى تأتي لحظة تتساوى فيها درجة حرارة جميع أجرامه فيتوقف الكون عن التمدد إن لم يكن عن إمكانية الوجود . فالاستمرار في التوسع مرتبط بالقوة الدافعة للمجرات إلى التباعد عن بعضها البعض وهي القوة الناتجة عن الانفجار ودرجات الحرارة العالية التي نتجت عن الانفجار[2] .

ثانياً – الكون المنغلق : وهو مثل ثقب أسود هائل مكتف بذاته ويحوي من المادة قدرا كبيرا بحيث أن المكان ينحني ليرتد مباشرة على نفسه فالكون متناهٍ ، ولو كان هناك ما هو خارجه

---

[1] – انظر : احمد مدحت إسلام ، **الكون في فكر الإنسان قديما وحديثا** ، ص 204 – 205

[2] – انظر : زغلول راغب النجار ، **من آيات الإعجاز العلمي** ، ط2 ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، 2005 ، ص 189 .

أو وراءه فإننا لا نستطيع الوصول إليه[1]. والمادة في الكون المغلق تسمح بانكماشة وعودته إلى تكوين كتلة مركزية مرة أخرى ، ويرى العلماء أن مثل هذا الكون المقفل مهما طال عمره قبل انكماشه سيمر بنفس المراحل التي يفترض أن يمر بها الكون المفتوح ولكن لا يدري أحد في أي مرحلة من هذه المراحل سيبدأ الكون في الانكماش ، فإذا حدث الانكماش بعد فترة طويلة وكان الكون يتكون من نجوم هالكة وثقوب سوداء وبعض الفوتونات والنيوترونات فهذا الانكماش سيؤدي إلى اكتساب الفوتونات بعض الطاقة نتيجة لحدوث التجاذب فيما بينها، وستؤدي الطاقة إلى رفع درجة حرارة النجوم ، وينتهي الأمر بانفجار هذه النجوم وتبخرها ، وتقترب الثقوب السوداء من بعضها حتى تلتحم معا جميعا في ثقب أسود كبير بالغ الضخامة ، وسيكون الثقب هو كل ما تبقى من هذا الكون ومماثلا للكتلة المركزية الأولى التي انفجرت عند نشأت الكون [2]. وهذا ما يسمى انكماش الكون وهناك رأيان حول انكماش الكون ونهايته هما :

أولاً – نظرية الانكماش العظيم : وهذه النظرية تؤمن بنظرية الانفجار التي تفسر بداية الكون وتؤيدها وتقول بانكماش الكون وعودته إلى نقطة البداية . والكون سوف يستمر في التمدد عشرة مليارات سنة أخرى على الأقل قبل أن يرتد على نفسه ، وبذلك يصل عمر الكون من بداية الانفجار إلى بداية الانكماش العظيم بين عشرين إلى خمسة وعشرين مليار سنة . وسوف يستمر الكون في الانكماش والارتداد على نفسه حتى يصل إلى نقطة الصفر نفس مدة التمدد من عشرين إلى خمسة وعشرين مليار سنة . وتعود المادة مجتمعة في حيز

---

[1] – انظر : فرانك كلوز ، **النهاية والكوارث الكونية** ، ص 230 .

[2] – انظر : احمد مدحت إسلام ، **الكون في فكر الإنسان قديما وحديثا** ، ص 205 – 206 .

غير متناهٍ في الصغر وبكثافة وحرارة تفوق التصور والخيال ، ولا تبقى المادة كما نعرفها بل تتحول إلى ما لا يعلمه أحد إلا الله[1] .

ثانياً – الكون المتذبذب : أي كون بغير بداية ولا نهاية هروب من الاعتراف بالخلق وجحود بالخالق . والكون متذبذب بين التكدس والانفجار أي بين الانكماش والتمدد في دورات متتابعة ولكنها غير متشابهة إلى ما لا نهاية[2]. وهنا احتمالية لحدوث انفجار عظيم آخر يولد كون جديد أخر ، ومن هنا جاءت تسميته بالكون المتأرجح . وقد يولد الانفجار الجديد عالماً يختلف عن كوننا الحالي بقوانينه ونظمه ومادته . تتفق النظريتان على انطواء الكون وعودته إلى نقطة البداية قبل الانفجار كما هو الحال في نهاية الكون في ثقب أسود وحيد أو نظرية الانكماش[3] . هذه النظرية لا تؤيدها الملاحظات العلمية فقد اقترح ريتشارد تولمان أن كل دورة من دورات تذبذب الكون لا تشابه ما قبلها من الدورات بافتراض أن النجوم تنشر إشعاعها في الكون فتتزايد أعداد فوتونات الطاقة ببطء فيأتي كل انفجار أعلى حرارة من السابق على الرغم من التدمير الكامل للكون ، وهو افتراض ساذج ، فكل عملية انكماش من انطواء للكون على ذاته يتم بكل ما فيه من مختلف صور المادة والطاقة والمكان والزمان وانغلاق ذلك كله في عملية تكديس يمر بها الكون[4].

ثالثاً – " نظرية التمدد والتقلص وبين التمدد والتقلص ، وكل دورة من هاتين الدورتين تدوم مليارات السنين مستخدمة ما فيهما من طاقة الإيدروجين وستنفد هذه الطاقة يوماً ، لأنها محدودة وعند نفادها تبرد المادة الموزعة في النجوم والسدم وسائر النجوم الأخرى فتتبدد كلها

---

[1] – رجا عرابي ، الكون والأرض والإنسان في القرآن ، ص

[2] – انظر : زغلول النجار ، **من آيات الإعجاز العلمي** ، ص 190 .

[3] – انظر : حميد مجول النعيمي ، **فيزياء الجو والفضاء** ، ص409 – 410 .

[4] – انظر : زغلول النجار ، **من آيات الإعجاز العلمي** ، ص 190 – 191 .

، ويصبح الكون غبارا مليئا بالإلكترونات والإشعاع ، وتلك هي النهاية التي سيلقاها الكون بعد مليارات من السنين لا نعلم إلى الآن عددها "[1].

الكون المنغلق مدته قصيرة نسبيا فسوف ينتهي بعد مائة مليار عام ، وتكون نهايته كجحيم من الكثافة والحرارة تماما ، وسوف يتباطأ اتساع الكون تدريجيا ، وبعد بلايين السنين ستقف حركة الاتساع تماما ثم تبدأ المجرَّات بالتراكض نحو نقطة واحدة وبسرعات متزايدة مع الزمن[2]. وفي الطور الأول من الانكماش يمكن للفلكيين ملاحظة الانحرافات نحو الأزرق ونحو الأحمر، فالكون سيكون عند إصدار الأجرام القريبة للضوء أكبر مما هو عند مشاهدة ذلك الضوء فسيبدو منحرفا نحو الموجات القصيرة في الطيف أي الأزرق ، أما ضوء الأجرام البعيدة فعلى العكس يكون قد صدر لحظة بدأ الكون توسعه لتوه ؛ أي عندما كان صغيراً ويكون منحرفاً نحو الأحمر. ستهبط درجة حرارة الخلفية الكونية للفوتونات والنيوترونات ثم ترتفع تبعا لانتقال الكون من طور التوسع إلى طور الانكماش[3] . وأهم الأحداث أنه بعد أربعة مليارات من السنين مجرة اندروميدا ستصطدم بمجرتنا فهي لا تبتعد عنا طبقا لقانون هابل للحركة التراجعية للمجرات وإنما تقترب بسرعة 93 كيلو متر في الثانية . فقد أصبحت أسيرة جاذبية مجرتنا فلن يكون الاصطدام رهيباً ولا يؤثر كثيراً على الحياة . ذلك أنَّ كثافة النجوم داخل المجرتين تقارب النجم الواحد لكل 35 سنة ضوئية مما يقلِّل احتمالية الاصطدام بين النجمين[4] . " أن يصل حجم الكون إلى 1 / 100 من حجمه الحالي حتى تصل درجة حرارة الفضاء إلى درجة حرارة الأرض في وقت النهار . وبعد بلايين السنين سيصل بريق الفضاء

---

[1] – حمادي ألعبيدي ، **الكون من الذرة إلى المجرة** ، ص 148 .

[2] – انظر : أميد شمشك ، **الانفجار الكبير** ، ص 87 .

[3] – ستيفن وينبرغ ، **الدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون** ، ترجمة محمد الاتاسي ، منشورات وزارة الثقافة ، سوريا – دمشق ، 1986 ، ص 198 .

[4] – انظر : سمير عازار ، **الكون** ، ص 132 – 133 .

إلى حد لا يحتمل . وبعد بضعة مئات الآلاف من السنين سترتفع درجة الحرارة إلى ملايين الدرجات ، وتبدأ النجوم بإطلاق صرخات الموت ، وهي تذوب في حساء كوني مؤلف من إشعاعات وإلكترونات ونوى الذرات . وفي ظرف أيام يتحول الكون كله حساء كوني يغلي غليانا هائلا ويستمر حجمه بالنقصان حتى يقترب حجمه إلى الصفر ثم يختفي "[1]. عندما يصبح حجم الكون خمس حجمه الحالي لا يعود من الممكن التفريق بين التجمعات المجرية ؛ لأن المسافات التي تفصلها عن بعضها قد زالت . ومع مزيد التقلص تبدأ الجزئيات ثم الذرات المكونة للكواكب بالتحول إلى جسيمات أولية والطبقات السطحية للنجوم تتحلل . بعد سبعمائة ألف سنة تكون الحرارة خارج النجوم تعادل الحرارة التي بداخلها وبمرور الوقت وازدياد ارتفاع الحرارة يصبح الكون شبيها بما كان عليه في بضعة الأجزاء من الثانية بعد الانفجار خليط ذو حرارة هائلة من الكواركات والالكترونات واللبتونات والنور .ثم تتوحد القوى الأربع المعروفة . وهنا يمكن لأي جسيم أن يتحول إلى جسيم أخر فتنتهي المسافات وتتعاظم الطاقة حتى إدراك مقاييس بلانك مجددا ثم يعود بالانفجار[2]. وربما يحدث شيء أخر بأنْ يعود الكون للتوسع مرة أخرى إلى أن يتوقف ويحدث طور أخر من الانكماش وهكذا حتى أبد الآبدين ، وإذا كان هذا مستقبلنا فلا بد انه كان كذلك ماضينا ولن يكون الكون الحالي سوى طورا تاليا لأخر انكماش ودون أن يكون هناك بداية للكون على الإطلاق ولكن هناك مشكلة أن نسبة الفوتونات إلى الجسيمات النووية أو بتحديد أكثر الانطروبية المقابلة لكل جسيم ستعاني خلال كل دورة تزايدا خفيفا والتزايد نتيجة لنوع من الاحتكاك يدعى اللزوجة الداخلية أو الحجمية ينجم عن الأطوار المتلاحقة من التوسع والانكماش، فسيبدأ الكون كل دورة بنسبة جديدة بين الفوتونات والجسيمات النووية وهي أكبر قليلا من سابقتها وهذه النسبة حاليا كبيرة ولكنها

---

[1] – أميد شمشك ، **الانفجار الكبير** ، ص 88 .

[2] – انظر : سمير عازار ، **الكون** ، ص 134 .

منتهية فكيف أمكن إذا للكون أن يعاني في الماضي عدد غير متناه من الانكماشات والتوسعات ؟[1] .

[1] – انظر : ستيفن وينبرغ ، **الدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون** ، 201 – 202 .

المطلب الثالث

الكون المفتوح و المغلق

السؤال المهم هل الكون سيتوسع إلى ما لا نهاية أو أن التوسع سيتوقف في المستقبل ؟ الإجابة على هذا السؤال يُحدد مستقبل الكون وكيفية نهايته ، ولكن الإجابة مرتبطة بعلم لا يعرف أحد مقداره بدقة وهو كثافة الكون . فإذا كانت كثافة الكون عالية تكون قوة الجاذبية كافية لمعادلة وحتى لقلب اتجاه الحركة التوسعية الناتجة عن الانفجار الأعظم فالكون ينحني على نفسه فينهار الكون في النهاية على نفسه ، وينتهي الأمر نحو الداخل ويسمى الانسحاق الأعظم . وإذا لم تكن الكثافة كافية لا تتمكن الجاذبية من التغلب على القوة التوسعية الناتجة عن الانفجار الأساسي فيتمدد الكون إلى ما لا نهاية ويبرد بشكل متواصل[1].

السؤال المهم في الإجابة على مصير الكون مرتبط بمعرفة مقدار كثافة الكون . نستطيع تقدير كثافة الكون من المشاهدات ، وإذا أحصينا النجوم التي يمكننا رؤيتها وجمعنا كتلتها معا سنحصل على أقل من واحد في المائة من الكثافة الحرجة . وإذا أضفنا كتل الغاز الموجودة في الكون لن نحصل إلا على حوالي واحد في المائة فقط من القيمة الحرجة[2]. ومعرفة مصير الكون ممكن عن طريق دراسة الكثافة الكونية ومقارنتها بالكثافة الحرجة ، والكثافة الحرجة تبلغ $5 * 10^{-30}$ غم/سم^3 أي ثلاث ذرات هيدروجين في المتر المكعب . فإذا كانت كثافة الكون أقل من الكثافة الحرجة فالكون سيستمر في توسعه للأبد ، وإذا كانت كثافة

---

[1] – انظر : سمير عازار ، **الكون** ، ص 131 .

[2] – انظر : ستيفن هوكنج ، **الثقوب السوداء** ، ص 209 .

الكون أكبر من الكثافة الحرجة فالكون سيعاني من الانسحاق والانهيار على نفسه[1]. لكن هناك أشياء لم نستطع بعد مشاهدتها كالثقوب السوداء فلا نستطيع مشاهدتها ولا نعلم شيئا عن وجودها إلا من التأثيرات والحوادث التي تسببها في الفضاء المحيط بها[2]. والدراسات الحديثة التي استخدم فيها تلسكوبات الراديو وأنواع أخرى من الإشعاعات على أن الكون يحوي على قدر كبير من المادة الكونية غير المضيئة مثل بعض النجوم المحترقة أو سحب الغازات والغبار الكوني غير المرئي وكثير من الثقوب السوداء قد تصل هذه المادة في مجموعها نحو 50 ٪ من الكثافة الحرجة المطلوبة لإحداث التجاذب وانكماش الكون[3]. فالسؤال يتعلق بطبيعة ومدى وفرة المادة المظلمة . ونظرية الأوتار الفائقة تطرح فرضية تقول: إنه يمكن أن يكون هناك كون كامل مظلم يعمل بالتوازي مع كوننا . فلو نظرنا إلى المجرَّات اللولبية فستبدو النجوم وهي تدور بسرعة أكبر من أن يُسمح لها بالبقاء ، فالنجوم المرئية ليس لديها من الكتلة المقدار الكافي للإبقاء على المنظومات متماسكة معا بواسطة الجاذبية ، لكنها تظل باقية مع ذلك . ومجموعات المجرَّات تدور إحداها حول الأخرى وتتحرك بسرعات أكثر مما ينبغي ، فلا بد من وجود شيءٍ آخر يبقيها متماسكة معاً . يمكن أن تكون هناك مادة معتمة منتشرة في كل مكان تتخلل المجرَّات ، وذات كتلة هائلة تزيد عن 90 ٪ من كتلة الكون[4]. كان الفلكيون في هار فارد يدرسون أشعة اكس من الفضاء في عام 1977 فوجدوا دلائل وإشارات على أن بعض العناقيد المجرية محاطة بهالات من الغبار التي تمتلك كتلة تعادل كتلة المجرَّات نفسها بخمسة أو عشرة أضعاف وهذا يجعل احتمال الكون المفتوح غير مؤكدة[5]. وهناك دليل أخر

---

[1] – انظر : أسامة علي خضر ، **القران والكون من الانفجار العظيم إلى الانسحاق العظيم** . ص 810 .

[2] – انظر : أميد شمشك ، **الانفجار الكبير** ، ص 86 .

[3] – انظر : احمد مدحت إسلام ، **الكون في فكر الإنسان** ، ص 201 .

[4] – انظر : فرانك كلوز ، **النهاية والكوارث الكونية** ، ص 231 – 232 .

[5] – انظر : قسم التأليف والترجمة في دار الرشيد ، **احتمالات نهاية الكون** ، ص 37 .

على وجود المادة المظلمة يأتي من مجموعات المجرَّات ، وهي أن المجرَّات ليست موزعة بانتظام تام عبر الفضاء ، بل متجمعة في مجموعات يتراوح محتواها بين بضعة مجرات وملايين منها ، وهذه المجرَّات قد تشكلت لأن المجرَّات تتجاذب معاً ، ونستطيع قياس السرعات التي تتحرك بها المجرَّات انفراديا ضمن المجموعات ، وقد وجد أن هذه السرعات كبيرة إلى حد يمكن أن يؤدي بالمجرَّات للتباعد مبعثرة بعضها عن بعض ما لم تكن متماسكة بالتجاذب الثقالي ، لكن الكتلة اللازمة لتأمين هذا التجاذب الثقالي تفوق كثيراً كتل مجرات المجموعة مجتمعة وتبقى الحالة ذاتها حتى لو اعتبرنا كتل المجرَّات الانفرادية اللازمة لتماسكها في أثناء دورانها حول مركزها ، لذلك نستنتج أنه لا بد من وجود مادة مظلمة إضافية في مجموعات المجرَّات ولكن خارج المجرَّات[1]. ويمكن أن تكون المادة المظلمة من البقايا التي تخلفت عن الأطوار المبكرة للكون . والنيوترينو (الجزء الحارَّ من المادة المظلمة) كان المعتقد أنه ليس له كتلة ، ولكن المشاهدات تبين أنه له كتلة صغيرة ، وإذا ثبت ذلك وجد أن هذه الكتلة لها القيمة الملائمة ، فجسيمات النيوترينو ستعطي من الكتلة ما يكفي لأنْ يصل بكثافة الكون إلى القيمة الحرجة[2]. فالانفجار خلَّفَ في البرهة الأولى فائضا من الفوتونات والنيوترينوات وبما أنها جسيمات لا تتفاعل مع المادة فقد بقي عددها شبه ثابت والنيوترينو الثقيل قد يتحول إلى نيوترينو خفيف بتحول جزء من كتلته إلى إشعاع ما فوق البنفسجي وبهذا تصبح فرضية الكون المنغلق أقرب إلى الواقع[3]. ومن المحتمل أن الكون البدائي قد مر بما يسمى الطور الانتقالي[4] وفي أثناء التحول تتطور شذوذات من عدم الانتظام

---

[1] – انظر : ستيفن هوكنج ، **الثقوب السوداء** ، ص 209 – 210 .

[2] – انظر : محمد باسل الطائي ، **خلق الكون** ، ص 104 .

[3] – انظر : سمير عازار ، **الكون** ، ص137 .

[4] – الطور الانتقالي عبارة عن تحول المادة من شكل لآخر مما يؤدي إلى انخفاض مقدار التناظر . (انظر: بول ديفيز ، **أسطورة المادة** ، 148)

يمكن أن يكون بعض هذه الشذوذات في الكون البدائي قد انهارت لتشكل ثقوبا سوداء فإذا كانت الثقوب صغيرة ستكون قد تبخرت في الماضي بسبب تأثيرات مبدأ عدم اليقين[1]، وإذا كانت ذات كتلة أكبر يمكن أن تكون ما زالت موجودة حتى اليوم ، إلا أن اكتشافها أمر شديد الصعوبة[2]. فلو لم يكن الكون منغلقا وكان مفتوحا فالنهاية واحدة ، فانه حسب القانون الثاني للديناميكا الحرارية أن الحرارة تنساب من الجسم الساخن إلى الجسم البارد ، وهذه العملية وحيدة الاتجاه واستطاع العلماء التعرف على الانتروبيا للتعبير عن ظاهرة التغير اللاإنعكاسي في أبسط حالة لجسم ساخن يلامس جسم بارد . والانتروبيا هي طاقة الحرارة مقسومة على درجة الحرارة ، فكمية صغيرة من الحرارة تنساب من الجسم الساخن إلى الجسم البارد ستفقد الجسم الساخن بعض الانتروبيا والجسم البارد سيكسب بعض منها . ولما كانت نفس كمية الطاقة الحرارية الكلية ثابتة ، بينما تنخفض درجة الحرارة للجسمين معاً ، فإن الانتروبيا في الجسمين سترتفع . وبالنسبة لحالة الشمس والنجوم الأخرى فتدفق الحرارة يمكن أن يستمر لعدة بلايين من السنين ، ولكنها ستنفد وستبرد الشمس إلى أن تصل إلى نفس درجة حرارة الفضاء المحيط بها والتحول نحو الاتزان ، وهذا أصبح معروفا باسم الموت الحراري للكون ، وهو مصير لا مجال للفرار منه . وهذا يبين لنا أن الكون ليس سرمدي البداية ؛ لأنه لو كان كذلك لكان قد مات بالفعل فيجب أن يكون للكون بداية[3]. ويثير العلماء وجود مجرات كاملة من المادة المضادة بنفس مقدار المجرَّات المصنوعة من المادة العادية وهذين النوعين من المادة والمادة المضادة تكوَّنا عند نشأت الكون بالانفجار بنفس المقدار ، وهما حاليا يتباعدان ،

---

[1] – مبدأ عدم اليقين : هو عبارة عن معتقد أساسي لنظرية الكم فالجسيمات دون الذرية والتي تخضع لميكانيكا الكم لا يمكن أن تحدد لها قيم محددة بدقة لكل صفاتها فالإلكترون لا يمكن أن يحدد له وضع محدد وكمية تحرك محددة في نفس الوقت . (انظر : ستيفن هوكنج ، **الثقوب السوداء** ، ص211)

[2] – انظر : ستيفن هوكنج ، **الثقوب السوداء** ، ص 216 .

[3] – انظر : بول دافيز ، **الدقائق الثلاث الأخيرة** ، ص 23 – 26 .

ولكنهما في المستقبل سوف يلتقيان بسبب انكماش الكون مما يؤدي إلى زوال هذا الكون ، وتحوله إلى إشعاع بسبب التقاء المادة بالمادة المضادة . [1]

إن الحياة سوف تنتهي بإحدى هذه الاحتمالات أو بغيرها من الاحتمالات غير المذكورة في هذا البحث ، وقد تأتي فجأة دون سابق إنذار . لكن ما أصبح حقيقة لدى العلماء أن الكون له بداية وله نهاية فهو ليس أزلي كما يزعم الملحدون . فإنَّ كانت له بداية رغم عدم اليقين في تحديد هذه البداية ، ستكون له نهاية حتى ولو لم نستطع أن نعرف هذه النهاية . فخالق هذا الكون قدَّر له نهاية هو أَعلمُ بها سبحانه وتعالى .

[1] – انظر : منصور حسب النبي ، **القران الكريم والعلم الحديث** ، ص 289 .

المبحث الرابع

الغاية والحكمة من نهاية الكون حسب تصور التوراة والقرآن

المطلب الأول : الغاية والحكمة من نهاية الكون حسب تصور التوراة

المطلب الثاني : – الغاية والحكمة من نهاية الكون حسب تصور القرآن

المطلب الأول

الغاية والحكمة من نهاية الكون حسب تصور التوراة

هناك إشارات في بعض أسفار التوراة يشير إلى أن الإنسان عندما يموت يرجع جسده الترابي إلى التراب ، وتعود الروح إلى الله (فيعود التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله واهبها)[1]. ويرد على لسان داود (لأن ما يحل بأبناء البشر يحل بالبهائم فكما يموت الواحد من الناس يموت الآخر من البهائم فلكليهما نسمة واحدة ، وليس للإنسان فضل على البهيمة فكل شيء باطل كلاهما من التراب وإليه يعودان . فمن يعرف أن روح الإنسان تصعد إلى العلاء وروح الحيوان تهبط إلى أسفل الأرض)[2]، وكذلك ما جاء (من يعلم روح بني البشر هل هي تصدر إلى فوق وروح البهيمة هل هي تنزل إلى الأسفل إلى الأرض فرأيت أنه لا شيء خير من أن يفرح الإنسان بأعماله لأن ذلك نصيبه) [3]. فهذه النصوص تؤكد حتمية الموت كما يراها داود والأنبياء عليهم السلام ، وتوضح أن التراب مصير كل جسد إنسان كان أو بهيمة ، ومع ذلك فإن النهاية التي ترد في التوراة تتوقف عند الموت فحسب ، فقد ورد على لسان داود : (لكل الأحياء يوجد رجاء فإن الكلب الحي خير من الأسد الميت لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون أما الموتى فلا يعلمون شيئا وليس لهم أجر بعد ؛ لأن ذكرهم قد نسي ومحبتهم وبغضهم وحسدهم هلكت منذ زمان ولا نصيب لهم بعد إلى الأبد في كل ما عمل تحت الشمس)[4] فإذا أخذنا الحكم في الموت على محمل الحياة الدنيا فإن

---

[1] – سفر الجامعة 12 : 7 .

[2] – سفر الجامعة 3 : 19 – 21 .

[3] – سفر الجامعة 3 : 21 – 22 .

[4] – سفر الجامعة 9 : 4 – 6 .

الإنسان ينقطع عن الحياة إذا مات ، وبالموت لم يعد له مجال لعمل الخير ونبذ الشر . ورغم أن النصوص تشير إلى حتمية الموت إلا أن بعضها يشير إلى اطمئنان غير عادي للمصير مثل ما جاء على لسان داود (مثل الغنم للهاوية يساقون الموت يرعاهم ويسودهم المستقيمون غدا وصورتهم تبلى الهاوية مسكن لهم إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه يأخذني)[1]. فالنبي داود يقول :" إنما الله سوف يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه يأخذني ، وعلى الرغم من غموض الخلفية إلا أن قناعة الإيمان بالله تصل عنده إلى حدود أن الله سيأخذه . وإذا حملنا المسألة على التأويل أو التفسير فإن الله سيأخذه في ملكوت الخلد والنعيم والرضا الإلهي "[2]. وعلى هذا فإن ثواب الرب وعقابه يجريان على هذه الأرض وخلال حياة الناس ، ويظهر ثواب الرب بشكل رئيسي بطول العمر (أكرم أباك وأمك لكي يطول عمرك في الأرض التي يعطيك الرب إلهك)[3]، وكذلك ما جاء (يا بني لا تنس شريعتي ولا ينس قلبك وصاياي فإنها تزيدك طول أيام وسني حياة وسلاما)[4] . ومع ذلك نجد أن الأشرار يكافؤون بطول أيامهم ورغد العيش ، والأخيار يموتون بحسرة ولم يذوقوا سعادة قط (لماذا يحيا الأشرار ويطعنون في السن ويزدادون قوة ذريتهم تتأصل أمامهم ونسلهم يتكاثرون في أثناء حياتهم بيوتهم آمنة من المخاوف وعصا الله لا تنزل عليهم)[5] والفريقين يمضيان إلى آخرة واحدة فأين العدالة (قد يموت المرء في وفرة رغده وهو ينعم بالدعة والطمأنينة والعافية تكسو جنبيه ومخ عظامه طريء وقد يموت آخر بمرارة نفس ولم يذق خيرا غير أن كليهما يواريهما التراب ويغشاهما

---

[1] – سفر المزامير 49 : 14 – 15 .

[2] – حسن الباش ، **القران والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان** ، ط1، الجزء الثاني ، دار قتيبة ، بيروت ، 2000 ، ص 241 .

[3] – سفر الخروج 20 : 12 .

[4] – سفر الأمثال 3 : 1 – 2 .

[5] – سفر أيوب 21 : 7 – 9 .

الدود)[1] ؛ فالشقي والسعيد مصيرهما واحد وهو التراب[2]. وفي أحيان أخرى يكون العقاب بسلب الخيرات والحرمان منها (هل خجلوا عندما اقترفوا الرجس كلا لم يخزوا قط ولم يعرفوا الخجل لذلك سيسقطون بين الساقطين وحين أعاقبهم يطوح بهم يقول الرب وسأبيدهم حقا إذ لا يكون في الكومة عنب ولا في التينة تين حتى أوراق الأشجار تذوي وتتساقط وما أغدقته عليهم من نعم يسلب منهم)[3]، وعلى العكس من ذلك نجد في بعض النصوص أن الموت مرحلة انتقالية لمرحلة نشور وقيامة وبعث من عالم الأموات وحساب وعقاب إما إلى الجنة أو النار (ويستيقظ كثيرون من الأموات المدفونين في تراب الأرض بعضهم ليثابوا بالحياة الأبدية وبعضهم ليساموا ذل العار والازدراء إلى الأبد ويضيء الحكماء كضياء الجلد وكذلك الذين ردوا كثيرون إلى البر يشعون كالكواكب إلى مدى الدهر)[4] . ونلاحظ أن النص يشير إلى قيام الأموات من التراب لأجل الجزاء للطائعين والعقاب للعصاه (فلنسمع ختام الكلام كله اتق الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو كل واجب الإنسان لأن الله سيدين كل عمل مهما كان خفيا سواء كان خيرا أم شرا)[5] ؛ فالإنسان محاسب على أعماله إنْ خيرا فخير وإنْ شرا فشر . (احفظوا رسومي وأحكامي فإن جزاء من عمل بها أن يحيا الحياة الدائمة)[6] ولا حياة دائمة في الدنيا بل في الآخرة في الجنة .

---

[1]– سفر أيوب 21 : 22 – 26 .

[2]– انظر: فراس السواح ، **الرحمن والشيطان**، ط1 ، دار علاء الدين ، دمشق – سورية ، 2000 ، ص152 .

[3]– سفر إرميا 8 : 12 – 13 .

[4]– سفر دانيال 12 : 2 – 3 .

[5]– سفر الجامعة 12 : 13 – 14 .

[6]– سفر حزقيال 18 : 9 .

فنلاحظ أن فكرة الثواب والعقاب قد تطورت على بني إسرائيل ، وهو مفهوم أكثر عالمية فهو يحاسب فيه الإله اليهود وغير اليهود ، ومع ذلك فالله وفِيّ لشعبه ومن هنا ظهرت فكرة البقية الصالحة التي ستنجو من الهلاك[1]. فنلاحظ حتى عندما تطورت فكرة الثواب والعقاب فقد اتخذت صفة العنصرية بأن الله سوف ينجي شعبه المختار .

لكن لماذا هذا التناقض في أسفار التوراة ؟ فتارة يكون في الدنيا ، وأخرى يكون بعد البعث من القبور .

يلاحظ أن مدوني التوراة خضعوا بشكل ما إلى مؤثرات نفسية واضحة انعكست على اللغة والمفاهيم وتنبعث من قناعات شخصية للمدونين فما ورد في سفر أيوب أن الشعور بالعدم يسيطر عليه ، فالموت ظلمة ويأس من كل شيء[2].

أما فكرة الثواب والعقاب لم تتطور في شكلها الحالي من خلال النصوص إلا بعد أن أرسى مؤلفين التوراة فكرة المسؤولية الأخلاقية على المستوى الفردي ، وربطها بالمسؤولية الفردية بالألوهية ربطا مباشرا حيث أصبح كل إنسان مسؤولاً مسؤولية مباشرة أمام الله عن أفعاله ، والتي على مقتضاها يتم الحكم عليه في النهاية ؛ لأن الوضع السابق على عصور الأنبياء لا يرتكز على المسؤولية الفردية بل يرتكز على المسؤولية الجماعية والوضع الجديد جمع بينهما (أنتم تقولون إن الله يدخر إثم الشرير لأبنائه لا إنه ينزل العقاب بالأثيم نفسه فيعلم)[3]. وكان ارميا وحزقيال بالإضافة لما ورد في سفر أشعياء وأيوب ودانيال من أهم الأنبياء الذين أثاروا هذه القضية وناقشوها في أسفارهم ، حيث اتخذت مسألة العدالة الإلهية اتجاهات

---

[1] – انظر : عبد الوهاب المسيري ، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية** ، ج5 ، ص 278 .

[2] – انظر : حسن الباش ، **القران والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان** ، ص 243 .

[3] – سفر أيوب 21 : 19 .

جديدة أكثر عمقا وأشد جدلا وبإثارة موضوع المسؤولية الفردية خاصة في الحياة الإنسانية بدأ في التطور أيضا مفهوم الثواب والعقاب خاصة في الحياة الأخرى بعد الموت ، وهذا أدى فيما بعد إلى ظهور فكرة البعث والجنة والنار لكي يكمل البناء الديني اليهودي ببعده الأخلاقي [1] .

[1] – انظر : محمد خليفة أحمد ، **تاريخ الديانة اليهودية** ، ص 151 .

المطلب الثاني

الغاية والحكمة من نهاية الكون في القرآن

الحياة في التصور الإسلامي ليست هي الفترة القصيرة التي تمثل عمر الفرد ، وليست الفترة المحددة التي تمثل عمر أمة من الناس ، وليست الفترة المشهودة التي تمثل عمر البشرية في هذه الحياة الدنيا . فالحياة في التصور الإسلامي تمتد طولا في الزمان ، وعرضا في الآفاق، وعمقا في العوالم ، وتنوعا في الحقيقة عن الفترة التي يراها ويظنها ويتذوقها من يغفلون الحياة الآخرة من حسابهم ولا يؤمنون بها . فالحياة في التصور الإسلامي تمتد في الزمان فتشمل الحياة الدنيا وفترة الحياة الأخرى التي لا يعلم مداها إلا الله تعالى ، وبالمقارنة معها تبدو فترة الحياة الدنيا قصيرة بالنسبة إليها . والشخصية الإنسانية في التصور الإسلامي يمتد وجودها في هذه الأبعاد من الزمان وهذه الآفاق من المكان ، وفي هذه الأعماق والمستويات يتسع تصورها للوجود كله ، والوجود الإنساني ويتعمق تذوقها للحياة وتكبر اهتماماتها وتعلقاتها وقيمها ، بينما الذين لا يؤمنون بالآخرة يتضاءل تصورهم للوجود الإنساني والكوني كله ،ويحشرون تصوراتهم وأنفسهم وقيمهم في ذلك الحجر الضيق الصغير في هذه الحياة الدنيا ، وينتج عن الاختلاف في التصور اختلاف في القيم والنظم وتبتني الحياة الآخرة في بنائه تصوراً واعتقاداً وخلقاً وسلوكاً وشريعةً ونظاماً[1].

يعيش الإنسان في الحياة الدنيا كما هو مقدر له وبعدها يموت ليحيا حياته الأخرى ثم يبعث يوم القيامة . وهذا هو اليوم الذي يسعى إليه الجميع وكل تطور في حياته إلى الموت ثم

---

[1] – انظر: أحمد فائز ، **اليوم الآخر في ظلال القران** ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، 1986 ، ط13 ، ص 3 – 4 .

إلى البعث والنشور ، إنما ليصل إلى ذلك اليوم المشهود وكل خوف من الموت هو خوف من البعث خوفا مما قدم الإنسان في هذه الدنيا ؛ لأن يوم القيامة هو اليوم الذي سيجتمع فيه الناس للحساب وأوضح القرآن جزءً من صورة ذلك اليوم وبين شيئا من هيئته فهو من الغيب الذي طالبنا الدين الحنيف بالإيمان به والعمل من أجله ، ويتضح مدى اهتمام القرآن بيوم القيامة في كثرة ما ذكر في السور القرآنية حتى لا تكاد تخلو سورة من ذكر اليوم الآخر. فهو يوم قيام الناس جميعا لله ، قال تعالى : { يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}[1] ، وهو يوم قيام للملائكة بما فيهم جبريل عليه السلام قال تعالى : { يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَابا }[2] فهو يوم قيام الناس والملائكة أمام رب العالمين[3].

لكن ما هي الحكمة والغاية التي من أجلها كان اليوم الآخر وبداية حياة جديدة ؟

هناك العديد من النقاط التي تبين الحكمة والغاية من اليوم الآخر ولا شك أن هناك بعض الأمور لم نستطع الوصول إليها ونبين ما تم التوصل إليه كما يأتي : –

أولاً :– حقيقة الحياة على الأرض أنها ابتلاء من الله تعالى وامتحان قال تعالى :{ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}[4] وشعور الإنسان أنه مبتلى وممتحن من الله بما قدره الله له من أيام يقضيها في الأرض وبما رزقه الله به من مال ومتاع وهذا الشعور هو سلاح المؤمن في مواجهة الغرور والغفلة ، ووقاية من الإفراط في المتع والشهوات، ولا عمل إلا بالاستعداد لهذا اليوم وفق منهج الله والذي يملك وحده الثواب

---

[1] – سورة المطففين : 6 .

[2] – سورة النبأ : 38 .

[3] – انظر : فؤاد الدقس ، **اليوم الآخر يوم بلا غد** ، دار الرضوان ، حلب – سورية ، 2000 ، ص 4 – 5 .

[4] – سورة الملك : 3 .

والعقاب، وحتى يجد الإنسان الحافز والمشجع على الخير في الدنيا ليصلحها وينميها لتليق بالإنسان الذي نفخ الله فيه من روحه وكرمه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا[1]. فالدنيا لا تصلح ولا يمكن العيش فيها إلا بالإيمان باليوم الآخر وإلا حصل الفساد العريض فالذي يمنع الناس من الوقوع في المعصية والخطأ والسرقة والاغتصاب وغيرها من انتهاكات حقوق الناس أمران هما: الوازع الإيماني ، والوازع السلطاني . والوازع السلطاني : هو قوة الحاكم في مدافعة الفساد وكلما كانت قوته أكبر ومراقبته أشد كان الفساد أقل فإذا ضعفت قوته وكثرت غفلته انتشر الفساد وزاد . والوازع الإيماني : هو الأثر الذي يحدثه الإيمان باليوم الآخر من الامتناع عن الفساد وكف الشرعن الآخرين ، فالذي يؤمن أن هناك جنة ونار ومجازاة وحساباً وعقاباً تجده من أبعد الناس عن الفساد خوفا من ذلك اليوم ، فإذا أجتمع الوازعان كان أعظم في صلاح الناس وأمن الغوائل[2].

ثانياً :- الإيمان بالغيب يجعل للمؤمن تصوراً عن حياة أخرى هي الدار الآخرة ، وهو ليس تصور لمجرد الرياضة الذهنية ، بل هو تصور يبنى عليه العمل والسلوك فمن آمن بالآخرة وأحب لقاء الله فلا بد أن يعمل ويسلك الطريق الموصلة إلى ذلك . وطريق الآخرة تجعل سالكها إنسانا ربانيا فهو بعيد عن الطمع ؛ لأنه يطمع في الآخرة ، بعيد عن الجزع ؛ لأن ما لا يدركه في الدنيا فهناك فرصة أخرى أوسع وأرحب ، ويعطيه قوة عجيبة في التضحية والفداء . أما الكافر بذلك اليوم لا يحب التضحية ؛ لأنه يخاف على أثمن ما يعتقد وجوده في

---

[1]- انظر: طه عبد الله العفيفي، **أسباب السلامة من أهوال القيامة**، دار الجيل، بيروت- لبنان، 1980، ص266

[2]- انظر: عبد المحسن بن زبن المطيري ، **اليوم الآخر في القران العظيم والسنة المطهرة**، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان، 2002، ص 43 .

الدنيا [1]. فالإيمان باليوم الآخر عقيدة وسلوكاً ، وهي تهدف في النهاية إلى السمو بقيمة الإنسان ، والتحكم في أهوائه ، فهو ليس سبيل يسلكه الإنسان لينجو في الآخرة فحسب ، وإنما هو يقين لازم لحياة الإنسان يجعل للحياة غرضا وفائدة ، ويوقظ في النفس الشعور بوجوب الترقي بها إلى أرفع درجات الحياة[2].

ثالثاً :- جاءت الرسل بمنهج الله ، وهو قائم على الثواب والعقاب ، من أحسن يثاب ويدخل الجنة ، ومن أساء يعاقب في النار ، ولم يكن هذا غريبا ؛ لأن الكون لا يمكن أن يقوم إلا على الثواب والعقاب . حتى الدول التي لا تؤمن بإله ، والتي تنكر قضية الدين لم تستطع أن تقيم مجتمعا دون أن تقوم على أساس الثواب والعقاب ، فمن يرتكب جريمة يعاقب ، ومن يفعل شيئاً حسناً يكافأ عليه . فالثواب والعقاب سنة الله في كونه . وبالنسبة للإنسان لا يمكن أن يتقدم مجتمع بشري ألغى فكرة الثواب والعقاب . وما دام هناك ثواب وعقاب فهناك اختيار بشري فمنهج الله قائم على أفعل أو لا تفعل وهناك اختيار هو ضرورة لتطبيق سياسة الثواب والعقاب[3].

رابعاً :- يسمى اليوم الآخر بيوم العدل الأكبر . ففي ذلك اليوم يعاد الخلق ثانية فتخلق الأرض بغير الصورة التي كانت عليها لتلائم الوضع الجديد بحكمة خالقها وعلمه ، فليس لشجر أو جبال أو بحار مكان ، إذ لا مسوغ لتسخيرها لعدم وجود من تسخر له ، وكذلك الشمس والنجوم . فيبعث الخلق للحساب بالقسط ، وتحشر كل الخلائق ليوفى كل عمله في يوم

---

[1] – انظر: يحي مراد ، **عالم الغيب بين الوحي والعقل** ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 2003 ، ص198 –199.

[2] – انظر : محمد أحمد عبد القادر ، **عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي** ، دار المعرفة الجامعية ، بلا مكان ، بلا سنة ، ص 38 .

[3] –انظر : محمد متولي الشعراوي ، **الدار الآخرة** ، ط1 ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، 2003 ، ج1 ، ص 19 – 20 .

العدل الإلهي . ويقضى أولا بين أضعف المخلوقات من الحيوانات ، وهذا أقصى درجات العدل التي لا يمكن أن يسمو أي مخلوق لمجرد التفكير فيها . ففي يوم العدل الأكبر يقتص من بغي عليه ممن بغى من بين المخلوقات غير المكلفة ، ثم تعود لصورتها الأصلية للتراب بعد المحاسبة[1]. هذا الحساب الإلهي لا يبخس أحداً حقه . وأعضاء الإنسان هي التي تشهد عليه ، فالعدل متوفر في ذلك اليوم، والحساب والجزاء بالقسط لا محاباة حيث لا يزكى الإنسان في ذلك إلا عمله الصالح في الحياة الدنيا ، فلا يوجد في الحساب مجال لعاطفة أو مكان لهوى . فأعمال الإنسان ونتائجها هي الكفيلة بحسابه ومن ثم نعيمه أو عذابه[2]. فالمرء عندما ينظر إلى تاريخ البشرية يجد ألوانا من الحق والخير والعدالة ، ولكنه يجد من ناحية أخرى وبشكل أوسع ألوانا شتى من الباطل والعدوان والشر والظلم . فهل خلق العالم ليكون سجلا للظلم ، ثم يذهب كل شي سدى ولا يعاقب الظالم على ظلمه ولا يرد للمظلوم حقه وقد يموت قبل أن يحقق العدل ؟ فطرة الإنسان الحق ترفض ذلك تماما ، فهي تؤمن إيمانا قاطعا بما قاله تعالى : { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسبين} [3] لذلك جاءت فكرة اليوم الآخر لتحقيق العدل الذي فقد في الحياة الدنيا[4].

خامساً :- أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأيده بالمعجزات وخوارق العادات بما لا يدع شك أنه رسول من عند الله ، وأنزل عليه الكتاب مصدقا لما بين يديه من الكتب السابقة ومعجزة خالدة إلى قيام الساعة . وجاء في القرآن تقرير عقيدة البعث ، وأنه وعد من الله

---

[1] – انظر: أحمد رضوان خلقي ، **البدء والعودة**، ط1، دار الحكمة، سورية – دمشق، 1998، ص336–337 .

[2] – انظر : محمد أحمد عبد القادر ، **عقيدة البعث** ، ص42 – 43 .

[3] – سورة الأنبياء : 47 .

[4] – انظر : الحارث بن أسد المحاسبي ، **التوهم رحلة الإنسان إلى عالم الآخرة** ، تحقيق محمد عثمان ، مكتبة القران ، القاهرة ، بلا سنة ، ص 20 .

للفصل بين عباده فيما اختلفوا فيه ؛ وليوقن الكفار أنهم كاذبون في مزاعمهم ومفترياتهم ويدخل المؤمنين جنات تجري من تحتها الأنهار . فربما يكون الحكمة من اليوم الآخر هو إنجاز وعد الله في دخول من شقي وكفر النار ومن آمن وعمل صالحا الجنة.

سادساً :- جاءت الأخبار أن الله يتجلى لعبادة المؤمنين ، وأنهم يرونه يوم القيامة زيادة في سرورهم ، والكافرون محرمون من هذه النعمة العظيمة ، قال تعالى :{ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}[1] فرؤية الله والأمر كذلك أسمى ما ينشده المؤمن ويتطلع إليه ، وحرمان الكافر من ذلك أشد ما يكون عليه حسرة . فربما كانت الحكمة من اليوم الآخر وهي تحقيق أسمى أماني المؤمن برؤية ربه عز وجل في ذلك اليوم[2].

سابعا :- قال تعالى : {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ }[3] النص يكشف لنا لو أنه لم يكن وراء هذه الحياة التي تنتهي بالموت حياة أخرى تكون فيها الرجعة إلى الله للحساب والجزاء وإقامة الحساب الإلهي ، لكانت عملية الخلق ضربا من العبث والله منزه عن ذلك . بل لا بد في كل ذلك غايات حكيمة تحددها إرادة الخالق المستندة إلى علمه المحيط بكل شيء . ولما كانت احتمالات العبث احتمالا مرفوضا عقليا ، كان لا بد من وجود حياة أخرى تظهر فيها تطبيقات الغاية من الحياة الأولى[4]. وعدم وجود اليوم الآخر لا يؤدي إلى عبث الخلق والإنسان والحرية والإرادة فقط بل يؤدي إلى عبث المنهج ذاته ، فلا يستقيم أحد من الناس

---

[1] - سورة القيامة : 22 – 23 .

[2] - انظر : عبد الحميد علي عز العرب ، **إطلالة على عقيدة البعث في الإسلام** ، دار المنار ، ميدان الحسين ، 1987 ، ص 94 – 96 .

سورة المؤمنون : 115 .

[3] - سورة المؤمنون : 115 .

[4] - انظر : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، **العقيدة الإسلامية وأسسها** ، ط11 ، دار القلم ، دمشق ، 2002 ، ص 535.

على المنهج الذي طلب إليهم أن يستقيموا عليه . لذا يستتبع حدوث اليوم الآخر وجود رقابة على كل الناس صغير وكبير يقومون بها ابتداء من النفس وانتهاء بأحداث الحياة حتى يحاسبوا عليها حسابا دقيقا عادلا لا ظلم فيه ؛ لذلك فرض الله على الإنسان رقابة تتجلى في عدة صور منها :

أولاً :- رقابة الله المباشرة فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

ثانياً : - جعل الله لكل إنسان ملكين غير منظورين يسجلان له كل أعماله وتصرفاته في كتاب يبدأ منذ انطلاق نفسه الأولى في هذه الأرض وحتى آخر نفس له عليها .

ثالثاً :- يشهد عليه يوم الحساب الله والملائكة والأشياء التي مارس بها العمل أو عمل عليها من خير أو شر ، فالأرض والجلود والألسنة والعيون والأيدي والأرجل كلهم يشهدون على الإنسان يوم القيامة[1].

وفي النهاية نجد أن اليوم الآخر ركن من أركان الإيمان ، وجزء من أجزاء العقيدة ، وهو العنصر الهام الذي يلي الإيمان بالله تعالى مباشرة ؛ لأن الآيات القرآنية التي ورد فيها الإيمان بالله وردة مقرونه باليوم الآخر ، قال تعالى : { لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ }[2] ، فالأيمان بالله يحقق المعرفة بالمصدر الأول الذي صدر عنه الكون . والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذي ينتهي إليه الوجود . وعلى ضوء المصدر والمصير يمكن للإنسان أن يحدد هدفه ويرسم غايته ويتخذ من الوسائل والذرائع ما يوصله إلى الهدف ويبلغ

---

[1]- انظر: عبد الودود يوسف ، **عقيدة اليوم الآخر المحرك الدائم للإنسان المسلم** ، دار الباز ، نزلة البطران- الهرم ، بلا سنة ، ص 37 ، 41 – 42 .

[2]- سورة البقرة : 177 .

به الغاية . وإذا فقد الإنسان هذه المعرفة فإن حياته تصبح بلا هدف أو غاية ، وعندئذ يفقد الإنسان سموه الروحي وفضائله العليا ، ويعيش كما تعيش الأنعام تسيرها غرائزها واستعداداتها الفطرية . فالإنسان غاية وهدف في هذه الحياة هي الخلافة عن الله في الأرض وكلف بالقيام بواجبات هذه الخلافة ، وهو مسؤول عنها أمام الله ، وحسبان غير هذا عدول عن الحق إلى الضلال[1].

وهكذا يتم العدل المطلق ، وتتحقق الغاية التي من أجلها خلق الله الإنسان على هذه الأرض والحياة بشكل عام ، وتسخير كل ما في الكون للإنسان . ونجد أن الحياة لم تخلق عبثا ، وإنما لها غاية وهدف وحكمة بالغة حتى في انتهاء هذه الحياة وبداية حياة جديدة ، تؤثر على سلوك الإنسان في حياته الدنيا بالدرجة الأولى ثم يجد الجزاء والمكافأة في الحياة الأخرى .

[1] – انظر : فؤاد الدقس ، **اليوم الآخر يوم بلا غد ، ص 11 –13** .

الخاتمة : –

من أهم ما تم التوصل إليه في هذا البحث ما يلي : –

أولاً – يتفق كل من التوراة والقرآن والعلم الحديث على أن للكون بداية ، وأنه ليس أزلياً ، وهذا يؤدي إلى الاعتراف بوجود الله ، أنه الخالق ، فما كان له بداية فلا بد له من خالق .

ثانياً – جاء في رواية الخلق في التوراة خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، وهذه الأيام ليست كأيام الدنيا بل المراد بها مدة طويلة . وهذا يتفق مع القران الكريم ، الذي يؤكد في كثير من آياته على نسبية الزمن . فالزمن يختلف من مكان لآخر ،فقد يطول اليوم في بعض المناطق ، ويقصر في أخرى . وعلى هذا فالأيام الستة ليست كأيامنا بل المراد بها أطوار . والعلم الحديث يؤكد أن الكون أحتاج إلى ملايين السنين حتى تم تكوينه .

ثالثاً – اختلفت التوراة والقرآن في رواية الخلق على تنزيه الله عن مشابهة الخلق ،فجاءت التوراة بلفظ يوهم التشبيه " استراح " . أما القرآن فقد جاء بلفظ " استوى " باستواء يليق بجلاله تعالى دون الوقوع في التشبيه والتجسيم .

رابعاً – نلاحظ التقديم والتأخير في عملية الخلق في التوراة . والقران كذلك يقدم خلق الأرض أولاً ، ثم في آية أخرى يقدم خلق السماوات ؛ مما يؤكد عدم ذكر ترتيب معين في عملية الخلق باستثناء خلق الإنسان الذي كان في التوراة والقرآن هو أخر المخلوقات التي تم خلقها .

خامساً – استخدام القرآن الكريم مصطلحات دقيقة صالحة لكل زمان ومكان فتفوق بذلك على التوراة والعلم الحديث .

سادساً – اتفقت التوراة والقرآن في خلق الإنسان من تراب . وهو على صورة الله ومثاله في التوراة مع التنزيه عن المشابهة . وخلق حواء من ضلع . والعلم يؤكد أن العناصر التي يتكون منها الإنسان كلها من عناصر الأرض .

سابعاً – اتفاق التوراة والقران في أن عملية الخلق كانت بالفعل والأمر ، والعلم الحديث يصل في نهاية المطاف إلى أن الخلق تم بقدرة الله وأمره .

ثامناً – التوراة والقرآن يذكران قواعد عامة في قصة خلق الكون ، ولا يتطرقان إلى التفاصيل الدقيقة ، بينما يسعى العلم إلى ذكر تفاصيل دقيقة أكثر من التوراة والقرآن.

تاسعاً – نلاحظ اتفاق التوراة مع القرآن في الغاية من خلق الكون ، وهي خدمة الإنسان ، ولكن التوراة تؤكد على أن البشر أنفسهم مخلوقين من أجل خدمة بني إسرائيل . في حين أن القرآن يؤكد على عدم وجود فرق بين البشر إلا بالتقوى وطاعة الله تعالى ، وأن الكون في خدمة البشر جميعا .

عاشراً – التوراة لا تصرح بالأحداث الكونية التي سوف تحصل في نهاية الزمان ؛ لعدم وضوح النصوص على خلاف القرآن الكريم الذي أكثر من هذه النصوص ، وجاءت بإشارات واضحة لا تحتمل التأويل ، والعلم الحديث يؤكد على كثير من الأحداث الكونية التي ستحصل في نهاية الزمان والتي قد ذكرها القرآن .

الحادية عشر – الجزاء والحساب هو مقصود القرآن من نهاية الزمان حتى لا تكون الحياة الدنيا عبثاً ولهواً بل لها غاية كبرى . أما التوراة فنجد الغموض في نصوصها المتعلقة باليوم الآخر .

الثانية عشر – نلاحظ تشابهاً بين نصوص التوراة مع الأساطير البابلية والسومرية في رواية الخلق ، وكذلك تتشابه نصوص القرآن مع بعض نصوص التوراة ، ويعود ذلك إلى أن الله تعالى لم يترك أمة بدون نذير وبشير ، فكان كل رسول يأتي بما جاء به الرسول الذي قبله ويصحح ما تطرق إليه التحريف ، ويأتي بما لم يعد يناسب ذلك الزمان ويبقي على ما هو صحيح . وكل هذه الأمور من مصدر واحد وهو الله . فربما كان سبب التشابه بين الأساطير البابلية والسومرية من ناحية والتوراة والقرآن من ناحية أخرى ، يعود إلى أن التحريف في التوراة لم يتطرَّق إلى كلِّ النصوص .

قائمة المصادر والمراجع : –

1 – القران الكريم من رواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية ، ط10 ، دار الفجر الاسلامي ، دمشق ، 2002 .

2 – العهد القديم ، ط6 ، تم جمعه بمصر الجديدة ، مصر ، 1995 .

3 – إبراهيم حسن النصيرات ، **ظواهر جغرافية في ضوء القران الكريم** ،ط1 ، الناشر فتحي نصيرات ، الأردن – عمان ، 1980.

4 – إبراهيم ناصر , **التوراة بين الحقيقة والأسطورة والخيال** ، ط1 , دار الحوار , سورية , 2005 .

5 – أحمد الحوفي ، **معاني السماء والأرض في القران** ، مؤسسة الخليج العربي ، القاهرة ، بلا سنة .

6 – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، ط2 ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، 2005 ، ج8 .

7 – أحمد حنفي ، **التفسير العلمي للآيات الكونية في القران** ، ط3 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1980.

8 – أحمد رضوان خلقي ، **البدء والعودة** ، ط1 ، دار الحكمة ، سورية – دمشق ، 1998.

9 – أحمد فائز ، **اليوم الآخر في ظلال القران** ، ط13 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، 1986.

10 – أحمد مدحت إسلام ، **الكون في فكر الإنسان قديما وحديثا** ، ط1، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2001.

11 – أسامة علي خضر ، **القران والكون من الانفجار العظيم إلى الانسحاق العظيم** ، ط1، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء – اليمن ، 2004.

12 – إسحاق عظيموف ، **استكشاف الأرض والكون** ، ترجمة احمد محمد ، ط1، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2003.

13 – إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي ، **النهاية في الفتن والملاحم** ، صححه أحمد عبد الشافعي ، ط3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 2004.

14 – إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، **تفسير القران العظيم** ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، ج3 .

15 – أكرم إدريس ، **الفلك أمام عظمة القران** ، مكتبة الأسد ، دمشق ،2000 .

16 – ألفانا مصطفى حمود ، موسوعة الفلك ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، 1994

17 – ألكسندر هايدل , **الخليقة البابلية قصة النشوء والتكوين عند قدماء العراقيين وانعكاساتها على العهد القديم** , ترجمة ثامر مهدي , ط1, بيت الحكمة , بغداد – العراق , 2001.

18 – أميد شمشك ، **الانفجار الكبير أو مولد الكون** ، ترجمة أور خان محمد علي ، ط1 ، دار البشير ، عمان – الأردن ، 1998.

19 – برايان غرين ، **الكون الأنيق** ، ترجمة فتح الله الشيخ ، ط1 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – لبنان ، 2005.

20 – بركات بطاينة ، مقدمة في علم الفلك ، ط1 ، اربد ، 1994 .

21 – بول دافيز ، **الدقائق الثلاث الأخيرة** ، ترجمة هاشم احمد محمد ، الهيئة المصرية العامة ، مصر ، 1997 .

22 – بول ديفيز وجون جريبين ، **أسطورة المادة** ، ترجمة علي يوسف علي ، الهيئة المصرية العلمية للكتاب ، مصر ، 1998.

23 – توماس ت آرني ، **استكشاف ومقدمة في علم الفلك** ، ترجمة احمد محمود ألحصري وسعيد الأسعد ، ط1، دار طلاس ، دمشق ، 1998.

24 – جان بوتيرة , **ولادة اله التوراة والمؤرخ** , ترجمة عبد الهادي عباس وجهاد الهوا ش , ط1, دار الحصاد , سورية – دمشق , 1999.

25 – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، **البذور السافرة في أحوال الآخرة** ، تحقيق أبو عبد الله محمد الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، بلا سنة .

26 – جلال عبد الفتاح ، **موسوعة عالم الفضاء** ، ط2، المكتب العربي للمعارف ، القاهرة – مصر ، 1998.

27 – جمال الدين محمد بن مكرم ، **لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت ، 1956 .

28 – جورجى كنعان , **مفهوم الالوهة في الذهن العربي القديم** , ط2, بيسان , بيروت , 1996.

29 – جون فايفر ، **بداية الكون من الأفلاك إلى البشر** ، ترجمة محمد الشحات ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، 1959 .

30 – جيمس فريزر , **الفولكلور في العهد القديم** , ترجمة نبيلة إبراهيم , الهيئة المصرية , 1972.

31 – الحارث بن أسد المحاسبي ، **التوهم رحلة الإنسان إلى عالم الآخرة** ، تحقيق محمد عثمان ، مكتبة القران ، القاهرة ، بلا سنة .

32 – حامد صادق قتيبي ، **الكون والإنسان في التصور الإسلامي** ، ط 1، مكتبة الفلاح ، الكويت ، 1980.

33 – حسن الباش ، **القران والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان** ، ط1، دار قتيبة ، بيروت ، 2000.

34 – حسن السيد أبو العينين ، **من الإعجاز العلمي في القران الكريم في ضوء الدراسات الجغرافية الفلكية والطبيعية** ، ط2 ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، 2005.

35 – حسن حامد عطية ، **خلق السموات والأرض في ستة أيام في العلم والقران** ، ط1 ، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله ، تونس ، 1992.

36 – حسن ظاظا ، **الشخصية الإسرائيلية** ، ط1، دار القلم ، دمشق ، 1985 .

37 – حمادي العبيدي ، **الكون من الذرة إلى المجرة** ، ط1، دار وحي القلم ، دمشق – سوريا ، 2002.

38 – حميد مجول النعيمي وفياض عبد اللطيف النجم ، فيزياء الجو والفضاء ، ط1 ، التعليم العالي والبحث العلمي ، الجمهورية العراقية ، 1981.

39 – خالد صناديقي ، **اليوم الآخر ونهاية الزمان** ، ط1، دار علاء الدين ، دمشق – سورية ، 2001.

40 – داود سلمان السعدي ، **القيامة بين العلم والقران** ، ط2، دار الحرف العربي ، بيروت – لبنان ، 1999.

41 – داود سليمان السعدي ، **أسرار الكون في القران الكريم** ، ط1، دار الحرف العربي ، بيروت – لبنان ، 1996.

42 – رجا عرابي ، **الكون والأرض والإنسان في القران العظيم** ، ط1، دار الخير ، دمشق – بيروت ، 1994.

43 – زغلول راغب النجار ، **من آيات الإعجاز العلمي** ، ط2، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، 2005.

44 – زكريا هميمي ، **الإعجاز العلمي في القران الكريم** ، ط1، مكتبة مد بولي ، القاهرة ، 2002.

45 – زيدان عبد الفتاح قعدان ، **مدينة الله في الأرض** ، ط1، دار البشير ، عمان – الأردن ، 1998.

46 – زينون كاسيدوفسكي , **الواقع والأسطورة في التوراث** , ترجمة حسان اسحق , ط1, دار الأبجدية , سورية – دمشق , 1990.

47 – ستيفن هوكنج ، **الثقوب السوداء** ، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي، ط1 ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي – الإمارات ، 1995.

48 – ستيفن وينبرغ ، **الدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون** ، ترجمة محمد الاتاسي ، منشورات وزارة الثقافة ، سوريا – دمشق ، 1986 .

49 – سعد الدين السيد صالح ، **العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية** ، ط2، مكتبة الصحابة ، جدة ، 1998 .

50 – سعد بن منصور بن كمونه اليهودي ، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ، دار الأنصار ، القاهرة ، بلا سنة .

51 – سعدون محمود الساموك ، **مقارنة الأديان** ، ط1، دار وائل ، عمان – الأردن ، 2004.

52 – سلامه غنمي , **التوراة والأناجيل بين التناقض والأساطير** ، ط1, دار الأحمدي للنشر , القاهرة , 2000.

53 – سليم الجابي ، **النظرية القرآنية الكونية حول خلق العالم** ، ط1، دار الجيل ، 1995.

54 – سليمان الطراونه ، **الإعجاز العلمي في القران** ، ط1، دار الفرقان ، الأردن – عمان ، 2000.

55 – سليمان عمر قوش ، **الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القران الكريم** ، ط2 ،دار الثقافة والسياحة ، الدوحة ، 1995 .

56 – سمير عازار ، **الكون** ، دار النهار للنشر .

57 – السيد الجميلي ، **الإعجاز العلمي في القران** ، ط2، دار الوسام ، بيروت – لبنان ، 1992.

58 – سيد قطب ، **في ظلال القران** ، دار الشروق ، بيروت ، 1973.

59 – سيد وقار احمد حسيني ، **القران الكريم للعلوم الفلكية**، ترجمة زكريا زيتوني ، فصلت ، حلب ، 1999.

60 – شفيق عبد الرحمن علي ، **الجغرافيا الفلكية دراسة في المقومات العامة** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بلا سنة .

61 – شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي , **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة** ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، بلا سنة.

62 – صالح موسى درادكة ،**الإنسان في القران الكريم** ، شرين للنشر ، عمان – الأردن ، 1988.

63 – صبري الدمرداش ، للكون إله قراءة في كتاب الله المنظور ، ط1 ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، 2001 .

64 – طالب ناهي الخفاجي ، **نظرتنا المعاصرة إلى الكون** ، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد – العراق ، 1986.

65 – طلال غزال ، **قصة الخلق من التكوين إلى التكوير**، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 2001.

66 – طه عبد الله العفيفي ، **أسباب السلامة من أهوال القيامة** ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، 1980.

67 – عابد توفيق الهاشمي ، **مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة**، ط1 ، دار الفرقان ، عمان – جبل الحسين ، 1982.

68 – عاطف عبد الغني ، **صدام الأصوليات نهاية إسرائيل أو نهاية العالم** ، ط1 ، دار الخيال ، بلا مكان ، 2000.

69 – عامر علي غبرة ، **نشأة الكون حتى عصر الفضاء**، ط1 ، دار معد ، دمشق ، 1994.

70 – عبدو محمد الأحمر ، **الكون والنسبية بين القرآن والنظرية** ، مكتبة الأسد ، دمشق ، 1994 .

71 – عبد الحميد علي عز العرب ، **إطلالة على عقيدة البعث في الإسلام** ، دار المنار ، ميدان الحسين ، 1987.

72 – عبد الراضي عبد المحسن ، **المعتقدات الدينية لدى الغرب** ، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث ، السعودية – الرياض ، 2001.

73 – عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ط11 ، دار القلم ، دمشق ، 2002.

74 – عبد الستار نوير ، **رسالة الإنسان في الحياة ومقتضياتها** ، دار الثقافة ، الدوحة ، 1987.

75 – عبد السلام الشافعي وعبد العاطي الشافعي ، **عن آيات الله في الكون** ، ط1 .

76 – عبد العليم خضر ، **هندسة النظام الكوني في القران**، ط2 ، تهامة ، السعودية ، 1984.

77 – عبد العليم عبد الرحمن خضر، **الظواهر الجغرافية بين العلم والقران** ،ط1، الدار السعودية ، جدة ، 1985.

78 – عبد الغني عبود ، **اليوم الآخر والحياة المعاصرة**، ط1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1978.

79 – عبد المجيد النجار ، **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل** ، ط3 ، الدار العربية للعلوم ، بلا مكان ، 2005.

80 – عبد المجيد همو , **بابل ولصوص اليهود** , ط1 , دار معد , سورية – دمشق , 1996.

81 – عبد المجيد همو ، الكتاب ما بين موسى وعزرا ، كيف نشأت اليهودية ، ط1 ، دار الأوائل ، سورية – دمشق ، 2003 .

82 – عبد المحسن بن زبن المطيري ، **اليوم الآخر في القران العظيم والسنة المطهرة** ، ط1، دار البشائر الإسلامية ، بيروت – لبنان ، 2002.

83 – عبد المنعم الحفني ، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ، مكتبة مدبولي ، بلا دار ، 1994 .

84 – عبد الهادي ناصر ، **نظرات في القران والكون** ، ط1، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، 1995.

85 – عبد الودود يوسف ، **عقيدة اليوم الآخر المحرك الدائم للإنسان المسلم** ، دار الباز ، نزلة البطران – الهرم ، بلا سنة.

86 – عبد الوهاب المسيري ، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية** ، ط1، دار الشروق ، القاهرة ، 1999،.

87 – عبد الوهاب عبد السلام طويلة ، **المسيح المنتظر ونهاية العالم** ، ط1، دار السلام ، مصر – القاهرة ، 1999.

88 – عبدو محمد خير الأحمر ،**الكون والنسبية بين القران والنظرية** ، مكتبة الأسد ، دمشق ، 1994.

89 – عدنان الشريف ، **من علم الفلك القرآني الثوابت العلمية في القران** ، ط1، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، 1991.

90 – عدنان الشريف ، **من علوم الأرض القرآنية الثوابت العلمية في القران** ، ط1، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، 1993.

91 – عرفان عبد الحميد ، **اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية** ، ط1، دار عمار ، الأردن – عمان ، 1997.

92 – عصام الدين حفني , **اليهودية بين الأسطورة والحقيقة** , دار المروج , بيروت , 1985

93 – عفاف عبد الغفور حميد ، **الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة** ، ط1، دار عمار ، الأردن – عمان ، 2001.

94 – علاء الدين المدرس , **الظاهرة القرآنية والعقل**, ط1 , العاني , بغداد , 1986.

95 – علي الأمير ، الكون العميق ، **دار الشؤون الثقافية العامة** ، بغداد – العراق ، 1986

96 – علي عبد الواحد وافي ، **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام** ، دار نهضة مصر ، الفجالة – القاهرة ، 2003.

97 – علي عبد الواحد وافي ، **اليهودية واليهود** ، ط3، دار نهضة مصر ، الفجالة – القاهرة ، 2002.

98 – عماد علي حسن ، **الإسلام واليهودية** ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 2004.

99 – عماد مجاهد ، **الموسوعة الفلكية الحديثة** ، ط1، دار الفارس ، عمان – الأردن ، 2002 .

100 – عمرو خالد ، **إني جاعل في الأرض خليفة** ، ط1، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، 2006.

101 – الغنيمي التفتازاني ، **الإنسان والكون في الإسلام** ، دار الثقافة ، الفجالة – القاهرة ، 1995.

102 – غوردن فريزر وايغيل ليلستول ، **البحث عن اللانهاية حل أسرار الكون** ، ترجمة مكي الحسيني واحمد ألحصري ، ط1، دار طلاس ، دمشق ، 1997.

103 – فؤاد الدقس ، **اليوم الآخر يوم بلا غد** ، دار الرضوان ، حلب – سورية ، 2000 .

104 – فاروق أحمد الدسوقي ، **استخلاف الإنسان في الأرض** ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، 1980 .

105 – فراس السواح ، دين الإنسان ، ط2 ، دار علاء الدين ، دمشق، 1995 .

106 – فرج الله عبد الباري أبو عطا الله ، **اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام** ، ط2 ، دار الوفاء ، المنصورة ، 1992.

107 – فري بيتو ، **إبداع الفنان نظرة شمولية للكون** ، دار الحوار ، 2005.

108 – فوزي حميد ، **الجغرافية القرآنية برهان خارق على عظمة الخالق** ، ط1 ، دار الصفدي ، دمشق ، 1993.

109 – فوزي محمد حميد ، **عالم الأديان بين الأسطورة و الحقيقة** ، ط2، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، طرابلس ، 1999.

110 – قحطان الدوري ورشدي عليان ، **أصول الدين الإسلامي**، ط2 ، دار الفكر ، عمان – الأردن ، 2002.

111 – قسم التأليف والترجمة في دار الرشيد ، **احتمالات نهاية الكون** ، دار الرشيد ، بيروت ، 1988 .

112 – كارل ساغان ، **الكون** ، ترجمة نافع أيوب لبس ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1993.

113 – كارم محمود عزيز ,**أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم** , ط1، دار الحصاد , سورية – دمشق , 1999.

114 – كارم محمود عزيز ، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم ،

115 – كارين آرمسترونغ , **الله والإنسان على امتداد 4000 سنة من إبراهيم الخليل حتى العصر الحاضر** , ترجمة محمد الجورا , ط2, دار الحصاد , سورية – دمشق , 2002.

116 – كمال محمد بزي ، **المعارف والعلوم الحديثة في القران الكريم** ، ط1، دار النون ، بيروت – لبنان ، 1995.

117 – محمد أحمد عبد القادر ، **عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي** ، دار المعرفة الجامعية ، بلا مكان ، بلا سنة.

118 – محمد أحمد كعورة ، **نظريات نشأة وطبيعة الكون** ، بدون دار ، السودان ، 1984

119 – محمد الجزار ، الكون بداية نهاية ، ط1 ، مركز الكتاب ، مصر – القاهرة ، 2001.

120 – محمد الزحيلي ، **التكريم الإلهي للإنسان** ، ط1 ، الدار الشامية ، بيروت – لبنان ، 1995.

121 – محمد الصادقي ، **عقائدنا** ، ط1، دار الصادق ، بيروت ، 1972 .

122 – محمد الطاهر بن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، الدار التونسية ، تونس ، 1985.

123 – محمد العثيمين ومحمد هراس وأخرون ، **شرح العقيدة الواسطية** ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، بلا سنة.

124 – محمد باسل الطائي ، التحقيق العلمي لتراث المتكلمين المسلمين ، بحث مقدم إلى مؤتمر تحقيق التراث ، جامعة آل البيت.

125 – محمد باسل الطائي ، **خلق الكون بين العلم والإيمان** ، ط1، دار النفائس ، بيروت – لبنان ، 1998

126 – محمد بن احمد الأندلسي ، **البحر المحيط** ، ط2 ، دار الفكر ، 1983.

127 – محمد بن احمد الأنصاري ، **الجامع لأحكام القران** ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، 1967.

128 – محمد بن جرير الطبري ، **جامع البيان في تفسير أي القران** ، المطبعة اليمنية ، مصر ، 1321 .

129 – محمد بن عمر بن حسين القرشي الرازي ، **التفسير الكبير** ، ط3 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

130 – محمد بن محمد العمادي ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم** ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .

131 – محمد بن محمد بن محمود الماتريدي ، **تأويلات أهل السنة** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، 2004 .

132 – محمد جلاء ادريس ، **التأثير الإسلامي في الفكر الديني اليهودي** ، مكتبة مدبولي ، بلا مكان ، 1993.

133 – محمد جمال الدين الفندي ، **السماوات السبع** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1973.

134 – محمد جمال الدين الفندي ، **الكون الغامض وجود من العدم إلى العدم** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر 1994 .

135 – محمد خليفة أحمد ، **تاريخ الديانة اليهودية** ، ط1، دار قباء ، مصر – القاهرة ، 1998.

136 – محمد سيد طنطاوي ، **التفسير الوسيط للقران الكريم** ، دار المعارف ، القاهرة ، 1992.

137 – محمد علي الخولي , **التحريف في التوراة** , ط1, دار الفلاح , الرياض – السعودية , 1990.

138 – محمد علي آل عمر ، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين ، ط1 ، بلا دار ، 2003 .

139 – محمد فياض ، إعجاز القرآن في بيان خلق الإنسان ،ط1، دار الشروق ،القاهرة ، 1999

140 – محمد متولي الشعراوي ، **الدار الآخرة** ، ط1، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، 2003.

141 – محمد متولي الشعراوي ، **منهج الله في الكون** ، دار القلم ، بيروت – لبنان ، 2000.

142 – محمد محمود الصواف ، **المسلمون وعلم الفلك** ، السعودية للنشر ، جدة ، 1997 .

143 – محمود عكام ، **الكون والإنسان** ، ط2، فصلت للدراسات والترجمة ، حلب – سوريا ، 1999.

144 – محمود مصطفى ، **الجيولوجيا من درب الإيمان** ، ط1، دار المعرفة ، دمشق ، 1995.

145 – مصطفى اللمعي ، **عندما تقوم القيامة** ، المختار الإسلامي ، القاهرة ، 1988

146 – مصطفى حسين ، مع القرآن في الكون إعجاز وهداية ، بلا دار ، بلا مكان ، 1987 .

147 – مفيد عرنوق , **التوراة والتراث السوري** , ط2، دار النضال ، بيروت ، 1987.

148 – منسي يوحنا ، **حل مشاكل الكتاب المقدس** ، مكتبة المحبة ، القاهرة ، بلا سنة.

149 – منصور محمد حسب النبي ، **الكون والإعجاز العلمي للقران** ، ط3 ، دار الفكر العربي ، مدينة نصر ، 1996.

150 – موريس بوكاي , **التوراة والانجيل والقران والعلم الحديث** ، ترجمة حسن خالد ، ط3، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1990.

151 – موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي ، **دلالة الحائرين** ، ترجمة حسين اتاي ، مكتبة الثقافة الدينية ، ميدان العتبة ، 1988.

152 – موفق محادين , **دورة الدين اليهودي** , ط1 ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت – لبنان ، 1997.

153 – ميرسيا الياد ، **تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية** ، ترجمة عبد الهادي عباس ، ط1، دار دمشق ، دمشق ، 1987 ، ج2.

154 – ناجح المعموري , **الأسطورة والتوراة قراءة في الخطابات الميثولوجية** , ط1، دار الفارس , عمان , 2002.

155 – ناصر الدين أبي سعيد بن عمر الشيرازي البيضاوي ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1988.

156 – نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ، **قاموس الكتاب المقدس** ، ط11، دار الثقافة ، القاهرة ، 1997.

157 – نخبة من العلماء الأمريكيين ، الله **يتجلى في عصر العلم** ، ترجمة الدمرداش سرحان ، عالم المعرفة ، بيروت – لبنان ، بلا سنة.

158 – نخبة من المتخصصين ، **نشأة العالم والبشرية** ، قدم له ونشره الأب يوحنا ثابت ، جامعة الروح القدس ، لبنان ، 1982.

159 – نزيه القميحا ، **القران يتجلى في عصر العلم** ، تحقيق السيد نزار فضل الله ، ط1 ، دار الهادي ، بيروت ، 1997.

160 – هارون يحيى ، **خلق الكون** ، ط1، دار الرسالة ، بيروت – لبنان ، 2003 .

161 – هاني خليل رزق ، **موجز تاريخ الكون** ، ط1 ، دار الفكر العربي ، دمشق – سورية ، 2003.

162 – هوبرت ريفز ، **نشأة وتطور الكون** ، ترجمة هدى علي جمال ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، 1992.

163 – يحي مراد ، **عالم الغيب بين الوحي والعقل** ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 2003.

164 – يسر محمد مبيضين ، **اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة** ، ط 1 ، مكتبة الغزالي ، أدلب ، 1992 .

SUMMARY

Thanks to Allah and Peace be upon his final prophet Allah has created creatures, sent prophets to them, given them the Holy Quran and prophets come in succession in a beautiful parade, and Allah gave them the way which is full of realities of absentism to human beings and helpers to man to identify the Allah's open book through demonstrating some facts of the Universe which is not a purpose in itself but a way of thinking of Allah's creation, and coming to the existence of the Creator which has the biggest influence in deepening the Man's faith. So this study has included two chapters and a conclusion as follows :-

Introduction: It included the problem of the study and its purposes and the method followed in the study and the previous studies and the list of references and sources.

In the first Chapter: the study has limited the creation of the Universe as in Tawrat and the mention of Tawrat stories and comparisons and how the stories of the creation of the Universe were affected by others people's culture and the creation of the Universe as in the Quran and the meaning of the skies and Earth and the period of the creation of the Universe as the modern Science depicts and the most important theories of the creation of the Universe and the evidences of the genuiness of the most famous theory and stating the purpose and the meaning of the creation of the Universe as the Tawrat and the Holy Quran depict.

In the Second Chapter: the study showed of the end of the Universe as the Tawrat and the Quran and Modern Science depict/ and the most important events that will contribute to the end of the Universe, and the most important theories of the end of the Universe. It showed the purpose and the meaning of the end of the Universe in Al Tawrat and the Quran.

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.